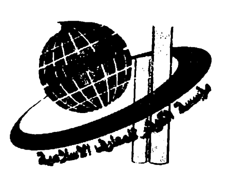

موسوعة
الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام
الجزء السابع والثامن
تأليف
باقر شريف القرشي

موسوعة
الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

الجزء السابع

من تراثه
العلم والتعليم والمغيبات

تأليف
باقر شريف القرشي



موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام

تأليف : العلّامة الشيخ

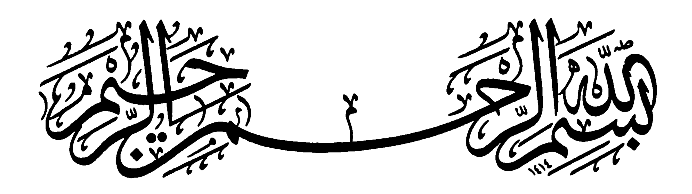
باقر شريف القرشي

الناشر : مؤسّسة الكوثر للمعارف الإسلامية

المطبعة : دار الحسنين عليهما السلام للطباعة والنشر

الطبعة الأولى : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

عدد النسخ : ٢٠٠٠ نسخة



﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾

البقرة : ٢٤٧

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾

الإسراء: ٨٥

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾

آل عمران : ٤٤

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ
وَلَٰكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾

آل عمران : ١٧٩

﴿تِلْكَ مِن أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ
مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾

هود : ٤٩

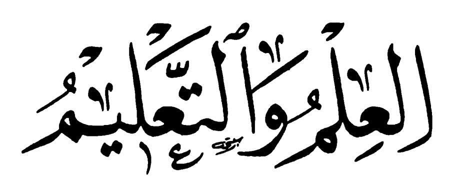
تقديم

أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو رائد النهضة الفكرية والعلمية في دنيا الإسلام ، والعقل المفكّر في عالم الإنسانية ، الذي استوعب أسرار الكون ودقائق الموجودات بذاتياتها وجنسها وفصلها وغوامض محتوياتها ، كما أحاط بما يتحقّق من بعده على مسرح الحياة من أحداث وشؤون أسماها العلماء بالملاحم والمغيّبات ، وقد استمدّ ذلك كلّه من أخيه وابن عمّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فقد غذّاه بمواهبه وعبقرياته ، وأفاض عليه معارفه وعلومه ليكون امتداداً لوجوده ومبلّغاً لرسالته ، تلك الرسالة العظمى التي غيّرت مجرى التاريخ ، وأضاءت سماء الكون بما تحمله من القيم والمبادئ التي لم تعرفها الإنسانية من قبل ، فكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي وعاها ، وانطبعت في دخائل نفسه فكان هو الأمين عليها ، والمبلِّغ لها من بعد الرسول صلى الله عليه وآله .

ويعرض هذا الجزء من الموسوعة إلى فضل العلم والحثّ على تعلّمه ، وإلى بعض العلوم التي فتقها وأسّسها ، كما يتعرّض إلى كوكبة من الملاحم والمغيّبات التي أخبر عنها ، راجياً من الله تعالى أن أكون قد واكبت الحقّ وسايرت بدقّة وأمانة سيرة هذا الإمام الملهم العظيم الذي هو نسخة من التقوى والمواهب لا ثاني لها في تاريخ عظماء الإنسانية سوى الرسول محمّد صلى الله عليه وآله ... إنّه تعالى وليّ التوفيق



١٥/ صفر /١٤٢٠هـ


العلم والتعليم

ومن أهمّ البرامج السياسية في حكومة الإمام عليه السلام نشر التعليم، ومحو الأُمّية، وإشاعة العلم بين الناس فقد اتّخذ جامع الكوفة مدرسة ومعهداً لإلقاء محاضراته العلمية وقيمه الفكرية، والتي كان منها الدعوة إلى الله تعالى، وإظهار فلسفة التوحيد وإقامة الإيمان بالله تعالى على ضوء الأدلّة العلمية الحاسمة التي لا تقبل الجدل والتشكيك، بالاضافة إلى مواعظه العملاقة التي كانت تهزّ أعماق النفوس خوفاً ورهبة من الله تعالى.

وقد تخرّج من مدرسته جماعة من عظماء الإسلام أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر، وحجر بن عدي، وكميل بن زياد، وأبي الأسود الدؤلي، وميثم التمّار، وغيرهم من الذين أقاموا صروح النهضة العلمية في الإسلام.

وعلى أي حال فإنّا نعرض ـ بإيجاز ـ لبعض ما أُثر عن هذا الإمام الملهَم العظيم من الكلمات القيّمة في تبجيل العلم، وذمّ الجهل، وتكريم العلماء، وبعض العلوم التي أقامها، وفيما يلي ذلك:

الإشادة بالعلم:

أمّا العلم فهو من أفضل المحاسن التي يتحلّى بها الإنسان ويسمو إلى أرقى مستويات الكمال، وبالعلم تكون نهضة الأُمم وبلوغها إلى أهدافها، ومستحيل أن تحتلّ أُمّة من الأُمم مركزاً مهمّاً تحت الشمس وهي قابعة في أسر الجهل.

وقد أشاد إمام المتّقين كثيراً بالعلم، ولنقرأ بعض أحاديثه:

١ ـ قال عليه السلام في حديثه مع تلميذه العالم كميل بن زياد :

يا كُمَيْلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ . وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ .

يا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ .

يا كُمَيْلُ ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ : أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ[١] .

حكى هذا الكلام أهمّية العلم ، وأنّه أثمن شيء في الحياة ، ولا يقاس به المال الذي هو شريان الحياة .

وقد تميّز العلم على المال ؛ فإنّ العلم ينمو بإنفاقه على الطلاب والسائلين ، وأمّا المال فإنّه يفنى بالإنفاق ،كما أنّ العلماء باقون على امتداد التاريخ وأمّا أصحاب الثروات العظيمة فأنّهم يفنون بموتهم وتتلاشى ثرواتهم من بعدهم.

٢ ـ قال عليه السلام :

« الْعِلْمُ إِحدى الْحَيَاتَيْنِ »[٢] .

ما أروع هذه الكلمة التي أحاطت بقيمة العلم ، فهو إحدى الحياتين اللـتين يخلد بهما الإنسان.

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٦٤.

(٢) مستدرك نهج البلاغة : ١٨٠.

٣ ـ قال عليه السلام :

« الْعِلْمُ تُحْفَةٌ فِي الْمَجَالِسِ ، وَصَاحِبٌ فِي السَّفَرِ ، وَأُنْسٌ فِي الْغُرْبَةِ . . . »(١) .

حقّاً إنّ العلم زينة المجالس ، فبه تزهو وتسمو وتتميّز عن بقيّة المجالس العارية من العلم ، كما أنّه صاحب وصديق مؤنس في السفر وأُنس في الغربة.

أهمّية العالم :

وتحدّث الإمام عن أهمّية العالم ، وسموّ مكانته الاجتماعية وإنّ موته خسارة على الناس ، قال عليه السلام :

« إذا مَاتَ الْمُؤْمِنُ الْعالِمُ ثُلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثَلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ »(٢) .

تكريم العالم :

وحثّ الإمام عليه السلام على تكريم العالم وتبجيله والاعتراف له بالفضل ، قال عليه السلام :

« مِنْ حَقِّ الْعالِمِ عَلَيْكَ إِذا أَتَيْتَهُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيْهِ خاصَّةً ، وَعَلَى الْقَوْمِ عامَّةً ، وَلَا تَجْلِسْ قُدّامَهُ ، وَلَا تُشِرْ بِيَدِكَ ، وَلَا تَغْمِزْ بِعَيْنِكَ ، وَلَا تَقُلْ : قالَ فُلانٌ خِلَافَ قَوْلِكَ ، وَلَا تأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا تَلِحَّ عَلَيْهِ فِي السُّؤالِ فَإِنَّما هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ الْمُرْطِبَةِ الَّتِي لَا يَزالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْها شَيْءٌ »(٣) .

وتحدّث الإمام عليه السلام بهذه الكلمات عن حقوق العالم ، ولزوم رعايته واحترامه

---

(١) مستدرك نهج البلاغة : ١٨٦ .

(٢) مستدرك نهج البلاغة : ١٧٧ .

(٣) العقد الفريد ٢ : ٢٢٤ .

تكريماً لعلمه وإشادة بفضله لأنّه مصدر عطاء وفيض للمجتمع توجيهاً وسلوكاً وآداباً.

أخذ المحاسن من كلّ علم :

قال عليه السلام : « **الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصىٰ ، فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ** »[١].

وهذه الكلمة من روائع الحكم ، ومن محاسنها فإنّ العلم كنز لا يحصى ما فيه ، وعلى المرء أن يختار أبدع وأروع ما فيه ، وقد نظم بعض الشعراء هذه الكلمة الحكمية للإمام عليه السلام بقوله :

ما حوى العلم جميعاً رجل　　لا ولو مارسه ألف سنه

أنّما العلم بعيد غوره　　فخذوا من كلّ شيء أحسنه[٢]

تشجيعه للحركة العلمية :

كان الإمام عليه السلام يدعو المجتمع إلى العلم ويحثّهم عليه ، وقد خطب في الكوفة فقال : « **مَنْ يَشْتَرِي عِلْماً بِدِرْهَمٍ ؟** ». فقام الحارث الأعور فاشترى صحفاً بدرهم ثمّ جاء بها إلى الإمام عليه السلام ، فكتب له بها علماً كثيراً[٣] ، وقد دلّت هذه البادرة على مدى تشجيعه للعلم ، وحثّه على تدوينه وكتابته.

العمل بالعلم :

وأكّد الإمام على ضرورة العمل بالعلم في كثير من أحاديثه كان منها ما يلي :

---

(١) معجم الأُدباء ١ : ٧٣.

(٢) التمثيل والمحاضرة ـ الثعالبي : ١٦٥.

(٣) تقيد العلم : ٩٠. طبقات ابن سعد ٦ : ١١٦.

١ ـ قال عليه السلام :

« الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ : فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ ؛ وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ »(١).

والمراد من قوله عليه السلام : فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه ، أي أنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه ، ولم يسر على ضوئه فإنّ الله تعالى يسلبه عنه .

٢ ـ قال عليه السلام :

« وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ؛ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غيرِ طَرِيقٍ ... وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ . فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ : أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ ؟ ! »(٢).

أنّ الذي لا يهتدي بعلمه كالسالك في الطرق الملتوية القاتمة التي تهوي به إلى مستوى سحيق من الانحطاط ما له من قرار .

٣ ـ قال عليه السلام :

«أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَىٰ اللِّسَانِ ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ ... »(٣).

٤ ـ قال عليه السلام :

« رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ »(٤).

---

(١) تصنيف نهج البلاغة : ٢٣٠٢ .

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ١١٠ .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ١٠٩ .

(٤) المصدر السابق : ١١٠ .

وكثير من هذه الكلمات الذهبية أدلى بها أمير البلاغة والبيان وهي تهيب بالعلماء أن يعملوا بما علموا وأن تتوافق أعمالهم مع أقوالهم الداعية إلى الهدى والصلاح.

أنواع طلاب العلم:

تحدّث الإمام عليه السلام عن أصناف طلبة العلوم فقال:

«طَلَبَةُ هـٰذا الْعِلْمِ عَلىٰ ثَلَاثَةِ أَصْنافٍ، أَلَّا فَاعْرِفُوهُمْ بِصِفَاتِهِمْ:

صِنْفُ مِنْهُمْ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ لِلْمِراءِ وَالْجَدَلِ.

وَصِنْفُ لِلْإسْتِطَالَةِ وَالْحِيَلِ.

وَصِنْفٍ لِلْفِقْهِ وَالْعَمَلِ.

فَأَمّا صاحِبُ الْمِراءِ وَالْجَدَلِ فَإِنَّكَ تَراهُ مُمَارِياً لِلرِّجالِ فِي أَنْدِيَةِ الْمَقالِ، قَدْ تَسَرْبَلَ بِالتَّخَشُّعِ، وَتَخَلّىٰ عَنِ الْوَرَعِ، فَدَقَّ اللهُ مِنْ هـٰذا حَيْزُومَهُ، وَقَطَعَ مِنْهُ خَيْشُومَهُ.

وَأَمّا صاحِبُ الْإِسْتِطَالَةِ وَالْحِيلِ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيلُ عَلىٰ أَشْباهِهِ مِنْ أَشْكَالِهِ، وَيَتَواضَعُ لِلْأَغْنِياءِ مِنْ دُونِهِمْ، فَهُو لِحَلَوائِهِمْ هاضِمٌ، وَلِدِينِهِ حاطِمٌ، فَأَعْمَى اللهُ بَصَرَهُ، وَمَحىٰ مِنَ الْعُلَماءِ أَثَرَهُ.

وَأَمّا صاحِبُ الْفِقْهِ وَالْعَمَلِ، فَتَراهُ ذا كَآبَةٍ وَحُزْنٍ، قامَ اللَّيْلَ فِي حِنْدِسِهِ، وَانْحَنىٰ فِي بُرْنُسِهِ يَعْمَلُ وَيَخْشىٰ فَشَدَّ اللهُ مِنْ هـٰذا أَرْكانَهُ، وَأَعْطَاهُ اللهَ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمانَهُ»[١].

---

(١) مستدرك نهج البلاغة: ١٧٧.

وألمّ هذا الحديث الشريف بأنواع طلبة العلم وحكى أهدافهم ، فبعضهم يطلبه لأغراضه الشخصية من دون أن يبتغي به رضا الله تعالى والدار الآخرة ، وهؤلاء هم الأخسرون عملاً ، وأكّد الإمام هذا المعنى في حديث آخر له قال :

« لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ حَمَلُوهُ بِحَقِّهِ لَأَحَبَّهُمُ اللهُ وَأَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلٰكِنَّهُمْ حَمَلُوهُ لِطَلَبِ الدُّنْيا فَمَقَتَهُم اللهُ وَهانُوا عَلَى النّاسِ »(١).

إنّ من يطلب العلم ويتحمّل الجهد الشاقّ في سبيله إن كان هدفه رضا الله والدار الآخرة فاز في دنياه وآخرته ، وإن كان هدفه رغبات الدنيا والتفوّق على غيره فقد خسر خسراناً مبيناً.

ذمّ أهل الرأي :

ذمّ الإمام عليه السلام أهل الرأي الذين يفتون بآرائهم من دون علم قال عليه السلام :

« تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ القَضِيَّةُ في حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ القَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيها بِخِلافِ قَوْلِهِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ القُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ الْإِمامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُم ، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً ـ وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ ! أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِالْإِخْتلَافِ فَأَطَاعُوهُ !

أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ !

أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَىٰ إِتْمَامِهِ !

أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ ، فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَىٰ ؟

أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ

---

(١) بحار الأنوار ٢ : ٣٧.

تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، وَقَالَ : وفِيهِ ﴿ تِبْيَانُ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً ، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾[١].

عرض الإمام عليه السلام إلى ما يفتي به العاملون بآرائهم وأقيستهم ، وأنّها على ضلال يا له من ضلال ، فهي متناقضة متباينة ليس فيها بصيص من نور الإسلام وهديه .

بذل العلم :

وحثّ الإمام عليه السلام العلماء على بذل العلم وإشاعته بين الناس ، فقد جاء في كتابه :

« إِنَّ اللهَ لَمْ يأْخُذْ عَلَى الْجُهّالِ عَهْداً بِطَلَبِ الْعِلْمِ حَتّىٰ أَخَذَ عَلَى الْعُلَماءِ عَهْداً بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجُهَّال ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ »[٢].

لقد عنى الإمام بصورة إيجابية بإشاعة العلم ونشره بين الناس ، وقد حثّ العلماء وألزمهم بتعليم المجتمع وتثقيفه والسهر على رفع مستواه الفكري .

حثّه على جودة الخطّ :

حثّ الإمام عليه السلام أصحابه وجهاز حكومته على جودة الخطّ ، وقال لهم :

« الْخَطُّ الْحَسَنُ يُزِيدُ الْخَطَّ وُضُوحاً »[٣].

ومن الجدير بالذكر أنّ المصحف الكريم لم يكن منقّطاً ، وأوّل من نقّطه

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ١٩.

(٢) أُصول الكافي ١ : ٤١.

(٣) صبح الأعشى ٣ : ٢٥.

أبوالأسود الدؤلي ، وذلك بتلقين وإرشاد من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[١].

أنواع العلـوم :

كان الإمام عليه السلام خزانة من العلوم والمعارف لم يعهد له نظير في عظماء الدنيا وعباقرة العالم ، وقد فتق أبواباً من العلوم تربو على ثلاثين علماً لم يكن يعرفها العرب وغيرهم من قبل حسبما يقول العقّاد ، وقد أثر عنه القول :

« الْعُلُومُ أَرْبَعَةٌ : الْفِقْهُ لِلأَدْيانِ ، وَالطِّبُّ لِلأَبْدانِ ، وَالنَّحْوُ لِلِّسانِ ، وَالنُّجُومُ لِمَعْرِفَةِ الزَّمانِ »[٢].

وقد أعرب الإمام عليه السلام عن أساه وحزنه لأنّه لم يجد من يبثّ إليه علومه حتى تستفيد منها العامّة وتتطوّر بها الحياة ، وقد قال عليه السلام : « **إِنَّ هاهنا** ـ وأومأ إلى صدره الشريف ـ **لَعِلْماً جَمّاً ، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً** »[٣].

لقد كان صدره الشريف خزانة لعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهو باب مدينة علمه ووارث علومه وحكمه وآدابه ، وعلى أي حال فإنّا نعرض إلى بعض العلوم التي أثرت عنه وهي :

١ ـ علم النحـو

والشيء المحقّق الذي لا ريب فيه هو أنّ أوّل من وضع علم النحو وأرسى قواعده هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ونعرض إلى بعض البحوث المرتبطة به ، وهي :

---

(١) صبح الأعشى ٣ : ١٤٩ . مفتاح السعادة ١ : ٨٩، أنّ أوّل من نقّط المصحف الإمام عليّ عليه السلام .

(٢) مفتاح السعادة ١ : ٣٠٣.

(٣) المصدر السابق ١ : ٤٣.

في اللغـة :

النحو في اللغة الطريق والجهة والقصد ، ومنه انتحاه إذا قصده ، سمّي به هذا العلم ، وذلك لينحي سمت كلام العرب في تصرّفه من اعراب وغيره من ليس منهم فيضارعهم في اللحن ، وقد عرض أبو الأسود ما أخذه من الإمام في هـذا العـلم فعرضه عليه فقال له : « **مَا أَحْسَنَ هـٰذا النَّحْوَ الَّذِي نَحَوْتَ** » ، ولذلك سمّي هذا النحو نحواً [١] في الاصطلاح.

أسبـاب وضعه :

وذكر المؤرّخون عدّة أسباب مختلفة لوضع هذا العلم الذي أصبح من أبرز العلوم العربية ، ومن أكثرها فائدة وهي :

١ ـ روى الأصمعي قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : جاء أعرابي إلى عليّ عليه السلام فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، كيف تقرأ هذه الحروف : لا يأكـله إلّا الخاطون ، كلّنا والله يخطو ؟ فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال :

« **يا أَعْرابِيُّ ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ** » .

قال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان الله ليظلم عباده ، ثمّ التفت الإمام إلى أبي الأسود الدؤلي فقال :

« **إِنَّ الْأَعاجِمَ قَدْ دَخَلَتْ فِي الدِّينِ كافَّةً فَضَعْ لِلنَّاسِ شَيْئاً يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلىٰ صَلَاحِ أَلْسِنَتِهِمْ** » ورسم له الرفع والنصب والخفض [٢].

٢ ـ سمع الإمام أعرابياً يقرأ الآية : ﴿ **أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ** ﴾

---

(١) تاج العروس ١٠ : ٣٦٠. النزهة ٣ : ١. المثل السائر : ٧. لسان العرب ١٥ : ٣١٠.

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ـ أبو الحاتم أحمد الرازي : ٧٢. النزهة : ٨.

قرأ بخفض الرسول ، وقال الاعرابي برئت من رسول الله ، فأنكر عليه الإمام وأرشده إلى الصواب وهو النصب ، ثمّ رسم لأبي الأسود صناعة النحو[١] .

هذه بعض الأسباب التي حفّزت الإمام إلى وضعه لعلم النحو وتأسيسه له .

القواعد التي وضعها الإمام عليه السلام :

وذكر المؤرّخون أنّ الإمام عليه السلام دفع إلى أبي الأسود رقعة مكتوباً فيها :

« الْكَلَامُ كُلُّهُ : اسْمٌ ، وَفِعْلٌ ، وَحَرْفٌ ، فَالاسْمُ مِنْ أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمّىٰ ، وَالْفِعْلُ مَا اُنْبِئَ بِهِ ، وَالْحَرْفُ مَا أَفَادَ مَعْنىً . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَسْماءَ ثَلَاثَةٌ : ظَاهِرٌ وَمُضْمَرٌ ، وَاسْمٌ لَا ظَاهِرٌ وَلَا مُضْمَرٌ . . . » .

ثمّ وضع أبو الأسود بابي العطف والنعت ، ثمّ بابي التعجّب والاستفهام إلى أن وصل إلى باب إنّ وأخواتها ما خلا لكن ، فلمّا عرضها على الإمام أمره بضمّ لكن إليها ، وكلّما وضع باباً من أبواب النحو عرضه عليه[٢] .

وفي رواية أنّ أبا الأسود دخل على عليّ فوجده مطرقاً مفكّراً ، فسأله عن سبب ما به ، فذكر له أمر اللحن وما فشا من الخطأ في ألسنة الناس ، وأنّه يريد أن يضع كتاباً في اُصول العربية ، فانصرف عنه وهو مغموم فألقى الإمام عليه رقعة كتب فيها :

« الْكَلَامُ كُلُّهُ : اسْمٌ ، وَفِعْلٌ ، وَحَرْفٌ ، فَالاسْمُ مِنْ أَنْبَأَ عَنِ الْمُسَمَّىٰ ، وَالْفِعْلُ مَا اُنْبِئَ بِهِ ، وَالْحَرْفُ مَا أَفَادَ مَعْنىً ـ أي في غيره ـ . . . » .

ثمّ أمره أن ينحو نحوه وأن يزيد عليه ، فجمع أبو الأسود أشياء وعرضها عليه فكان من ذلك حروف النصب كان منها : إن وأن وليت ولعلّ وكأنّ ، ولم يذكر « لكنّ »

---

(١) الخصائص ٢ : ٩ .

(٢) النزهة ـ ابن الأنباري : ٤ . ضحى الإسلام ٢ : ٢٨٥ .

فأشار عليه الإمام بإدخالها عليها [١].

وعلى أي حال فإنّ علم النحو واضعه ومؤسّسه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله [٢].

٢ ـ علم الفقه

من العلوم التي وضع أُسسها وأقام مناهجها علم الفقه الشريف.

يقول ابن أبي الحديد: « ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أمّا أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمّد وغيرهما، فأخذوا عن أبي حنيفة، وأمّا الشافعي فقرأ على محمّد بن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد » [٣].

وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام، وينتهي الأمر إلى عليّ عليه السلام، وأمّا مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عباس، وقرأ عبدالله بن عباس على عليّ بن أبي طالب، وإن شئت رددت إليه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

وأمّا فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كان من بينهم

---

(١) أنباء الرواة ١: ٤.

(٢) معجم الأُدباء ١٤: ٤٢ ـ ٥٠. شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١: ٢٠.

(٣) أعلن أبو حنيفة أنّه تتلمذ عند الإمام الصادق عليه السلام واستفاد منه بقوله: « لولا السنّتان لهلك النعمان » يعني بالسنتين اللتين تتلمذ فيهما عند الإمام عليه السلام يراجع في ذلك موسوعة حياة الإمام الصادق للمؤلّف.

عمر بن الخطّاب وعبدالله بن عباس ، وكلاهما أخذ عن عليّ عليه السلام .

أمّا ابن عباس فظاهر ، وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرّة :

لولا عليّ لهلك عمر .

وقوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن .

وقوله : لا يفتين أحد في المسجد وعليّ حاضر .

فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه . . .

وقد روت العامّة والخاصّة قوله صلى الله عليه وآله : « **أَقْضاكُمْ عَلِيٌّ** » ، والقضاء هو الفقه ، فهو إذن أفقههم ، وروى الكلّ أيضاً أنّه صلى الله عليه وآله قال له ـ وقد بعثه إلى اليمن قاضياً ـ : « **اللّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ ، وَثَبِّتْ لِسانَهُ** » ، قال عليه السلام : فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين ، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستّة أشهر ، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية[١] ، والذي قال في المنبرية صار ثمنها تسعاً ، وهذه المسألة لو فكّر فيها الفرضي فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر لهذا الجواب فما ظنّك بمن قاله بديهة وأقضيته ارتجالاً[٢] .

٣ ـ علم تفسير القرآن

من العلوم التي أخذت عنه علم تفسير القرآن الكريم ، فقد أخذ أكثر تفسيره منه ومن تلميذه حبر الأُمّة عبدالله بن عباس ، وقد قيل له : أين علمك من علم

---

(١) ذكرنا عرضاً مفصّلاً لأقضيته في كتابنا : (قضاء الإمام) ، وهو أحد أجزاء هذه الموسوعة .

(٢) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١ : ١٨ ـ ١٩ .

ابن عمّك ؟ فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط[١] ، وقد أفردنا جزء خاصّاً من موسوعة الإمام إلى ما أُثر عنه في تفسير القرآن الكريم ، ومن المؤكّد أنّ المصحف الذي قيل عنه إنّه مصحف الإمام عليه السلام قد أدرج فيه أسباب النزول ومعاني الكلمات وبيان ما فيه من الأحكام .

٤ ـ علم الفلك والحساب

من العلوم التي أخذت عنه علم الفلك والحساب ، فقد قال عليه السلام عن خلق السماء :

« ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً ، وَقَمَراً مُنِيراً ، في فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ[٢] مَائِرٍ[٣] »[٤] .

وقال عليه السلام عن كيفيّة خلق السماء :

« وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ ، فَالْتَحَمَتْ عُرَىٰ أَشْرَاجِهَا ، وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا »[٥] .

ذهب بعض علماء الفلك في هذا العصر إلى أنّ أوّل نشوء الكون كان نتيجة انفجار كبير فشاع في الكون سكون وظلام دامس ، ثمّ بدأت الذرات تتجمّع في

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١ : ١٩ .

(٢) **الرقيم** : من أسماء الفلك .

(٣) **المائر** : المتحرّك .

(٤) نهج البلاغة : ١٥ .

(٥) نهج البلاغة : ٣٧ .

مناطق معيّنة ، مشكلة أجراماً ، ثمّ ما لبثت أن بدت فيها التفاعلات النووية التي جعلت هذه الأجرام نجوماً مضيئة ، وفي قول الإمام عليه السلام : « **فَالْتَحَمَتْ عُرَىٰ أَشْرَاجِهَا** » تشبيه لنجوم المجرة بالحلقات المرتبطة ببعضها بوشاح الجاذبية ، والتأثير المتبادل وبعد نشوء النجوم الملتهبة الدائرة بدأت تقذف بالحمم التي شكّلت الكواكب السيارة كالأرض وغيرها وهو ما عبّر عنه الإمام عليه السلام بالفتق بعد الارتتاق .

ثمّ قال عليه السلام :

« **وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَىٰ نِقَابِهَا ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ** ـ أي بقوّته ـ ، **وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ** » .

علّق عليها لبيب وجيه بيضون بقوله :

قوله عليه السلام : « **وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ** » يشير عليه السلام بذلك إلى ما أثبته العلم الحديث من أنّ الشهب تغذّي بعض أجرام الكواكب بما نظّمه لها من التفاتق فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب .

ثمّ قال عليه السلام :

« **وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ** » : أي أمسك الكواكب من أن تضطرب في الهواء بقوّته .

« **وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ** » ، أي تلتزم مراكزها لا تفارق مداراتها .

قال عليه السلام :

« **وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا ، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا ، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا ، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا ، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا ، وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا** »[١] .

---

(١) نهج البلاغة : ٣٧، الخطبة ٩١.

لقد عرض الإمام عليه السلام بصورة موضوعية ودقيقة إلى علم الفلك ، وبيّن مقدار ما فيه من الأنظمة الهائلة .

أمّا علم الحساب ، فقد أقام مناهجه وبين غوامضه ، وقد عرض لها بعض المختصّين بهذا العلم كان منها ما يلي :

مقدار قطر الشمس :

سأل شخص الإمام عليه السلام عن مقدار قطر الشمس ، فأجاب الإمام عليه السلام مرتجلاً : « **تِسْعُمائَةَ فِي تِسْعُمائَةِ مِيلٍ أي ٨١٠٠٠٠ مِيلٍ** » .

ومن المعلوم أنّ الميل في صدر الإسلام يساوي أربعة آلاف ذراع بذراع اليد ، وهو من المرفق إلى رؤوس الأصابع ، فلو قسنا ذراع رجل متوسط القامة بالانجات ثمّ حوّلنا (٤٠٠٠) إلى انجات فياردات فأميال لوجدنا أنّ ما أخبر به الإمام عليّ عليه السلام **٨١٠٠٠٠** ميل على ما كان معروفاً في صدر الإسلام تعادل **٨٦٥٣٨٠** ميلاً على ما هو معروف اليوم من أنّ الميل **١٧٦٠** ياردًا وأنّ كتب الفلك تنصّ أنّ قطر الشمس يساوي (**٨٦٥٣٨٠**) ميلاً فما أخبر به عليّ عليه السلام يطابق تمام الانطباق مع ما تجده في كتب الفلك اليوم وذلك بعد تحويل الميل في صدر الإسلام إلى الميل الانكليزي الذي يعادل (١٦٠) ياردًا [(١)] .

مسألة الجمال :

كان **١٧** جملاً مشتركة بين ثلاثة أشخاص ، فجاؤوا عليّاً عليه السلام وقالوا : إنّ نصف هذه الجمال لأحدنا وثلثها لآخر وتسعها لثالثنا ، ونريد أن نقسّمها بيننا على أن لا يبقى باق .

---

(١) نظرة الإسلام إلى العلم الحديث : ١٧ .

فدعا عليّ عليه‌السلام بجمل له وأضافه إلى الجمال ، فكانت ١٨ جملاً ، فأعطى نصف الجمال ـ أي نصف ١٨ جملاً ـ إلى مَن له النصف ، أي أعطاه ٩ جمال .

وأعطى ثلث الـ ١٨ إلى مَن كان له الثلث ، أي أعطاه ٦ جمال .

وأعطى تسع الـ ١٨ إلى مَن كان له التسع ، أي أعطاه جملين ، ثمّ أرجع الجمل الذي أضافه إلى بيته(١) .

وبهذا ينتهي الحديث عمّا خاضه وأبدعه الإمام عليه‌السلام في علم الفلك والحساب .

٥ ـ علم الحيوان

من العلوم المهمّة التي خاضها الإمام عليه‌السلام علم الحيوان تحدّث فيها عن خصائصها وبديع صنعها وتركيبها ، انظروا إلى بعض أحاديثه عنها :

وصف الطيور :

ووصف الإمام عليه‌السلام الطيور وصفاً دقيقاً وملمّاً بجميع أصنافها ، قال عليه‌السلام :

« ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ ، وسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ؛ وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ، وَمُسْلِّمَةً لَهُ ، وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الْأَرْضِ ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا ، وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا ، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ ، وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ ، وَالْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ .

(١) نظرة الإسلام إلى العلم الحديث : ٣٧ .

كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ[1] أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً وَنَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ.

فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيه؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ»[2].

أرأيتم هذا الوصف الدقيق الرائع للطيور المختلفة ألوانها البديعة مظاهرها التي تأخذ بأعماق النفوس ألوانها فتعالى الله في صنعه وخلقه وهي من آيات الله تعالى ومن شواهد وحدانيّته.

وصف الطاووس:

وبعدما أدلى الإمام في وصف مطلق الطيور ذكر عجيب صنع الطاووس قال عليه السلام:

«وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ.

إِذَا دَرَجَ إِلَىٰ الْأُنْثَىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَىٰ رَأْسِهِ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ، عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ[3].

يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ[4].

---

(١) العبالة: الضخامة.

(٢) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ٢: ٧٠، خطبة ١٦٠.

(٣) القلع: شراع السفينة. عنجه: جذبه.

(٤) يختال: أي يعجب. يميس: يتبختر.

يُفْضِي[١] كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ[٢] بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ[٣] لِلضِّرَابِ أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَىٰ مُعَايَنَةٍ[٤]، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَىٰ ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ.

وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ[٥]، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَي جُفُونِهِ، وأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَىٰ الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ، لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ[٦]!

تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ، وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ، وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ[٧].

فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ: جَنىً جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ[٨].

---

(١) **يفضي**: أي يسافد أُنثاه كما تسافد الديكة.

(٢) **يؤر**: أي يأتي أُنثاه بملاقحة فيفرز فيها مادة تناسله.

(٣) **المغتلمة**: من اغتلم، أي غلبة الشهوة.

(٤) أي أحيلك إلى معاينة الطاووس فتجد ذلك صدقاً على ما أقول.

(٥) **تسفحها**: أي ترسلها مدامعة، وقد أبطل الإمام دعوى من يقول إنّ أُنثاه تلد لا من لقاح فحل.

(٦) المراد من كلامه عليه السلام أنّه لو صحّ ما ذكروه في الطاووس من أنّ تلقيحه يكون بانتقال الماء في جوف الذكر إلى الأُنثى عندما تترشفه لجرى ذلك في الغراب أيضاً، وذلك لشبهه للطاووس بذلك، ومنشأ الزعم في الغراب إخفاؤه لسفاده حتى ضرب به المثل فقيل أخفى من سفاد الغراب.

(٧) **القصب**: جمع قصبة، هي عمود الريش. **المداري**: جمع مدرى، وهو آلة مصنوعة من حديد أو خشب على شكل أسنان المشط يسرّح بها الشعر. **الدارات**: هالة القمر. **العقيان**: الذهب الخالص.

(٨) **جنى**: أي جمع من كلّ زهر لوناً.

وَإنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ[١]، أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ.

وَإنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ[٢].

يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ[٣]، وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ[٤]، وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ[٥]؛ فَإِذَا رَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً[٦] بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ.

وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ[٧] خَفِيَّةٌ، وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ.

وَمَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ، وَمَغْرَزُهَا إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ[٨]، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ[٩]؛ إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ.

---

(١) **الموشّى**: المنقوش.

(٢) **المكلّل**: المزيّن بالجواهر.

(٣) **المختال**: الزاهي بحسنه.

(٤) **سرباله**: لباسه.

(٥) **الوشاح**: نظامان من لؤلؤ وجوهر.

(٦) **زقاً**: صاح. **معول**: رافع صوته.

(٧) **ظنوب**: عظم حرف الساق. **الصيصة**: هي الشوكة.

(٨) **الصقال**: الجلاء.

(٩) **المعجر**: الثوب. **الأسحم**: الأسود.

وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ، أَبْيَضُ يَقَقٌ[١]، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ.

وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ، وَبَرِيقِهِ، وَبَصِيصِ[٢] دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ.

وَقَدْ يَنْحَسِرُ[٣] مِنْ رِيشِهِ، وَيَعْرَىٰ مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَىٰ، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ[٤] أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً[٥]، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ[٦]، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ!

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ! فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ»[٧].

وألمّ هذا الوصف الرائع بخلقة الطاووس وما فيه من العجائب التي يذهل

---

(١) **اليقيق**: شديد البياض.

(٢) **البصيص**: اللمعان.

(٣) **ينحسر**: وهو من حسره أي كشفه.

(٤) **ينحت**: يسقط.

(٥) **العسجدية**: الذهب.

(٦) **العمائق**: هي العميقة أو القعر.

(٧) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ٢: ٧٣ ـ ٧٥.

الفكر البشري من إدراكها ، فسبحان المصوّر الذي خلق الطاووس بهذه الكيفيّة التي يقصر الوصف عن بيانها إلّا أنّ باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله أحاط بذكر عجائب هذا الطائر الغريب في شكله والعجيب في خلقته.

الخفّاش :

وصف الإمام الخفّاش وصفاً دقيقاً وملمّاً بجميع خواصّه وصفاته قال عليه السلام :

« وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ ، وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ ؛ وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا [١] عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا . وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا [٢] ، وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ائْتِلَاقِهَا [٣] ، فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَىٰ أَحِدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا ؛ فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ .

فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا [٤] ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَىٰ الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا [٥] ، أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَىٰ مَآقِيهَا ،

---

(١) **العشا** : ضعف البصر.

(٢) **سبحات النور** : أطواره ودرجاته.

(٣) **الائتلاق** : اللمعان. البلج : وضوح الضوء وظهوره.

(٤) **أوضاح النهار** : بياض الصبح.

(٥) **الوجار** : مكمنها الذي تأوي إليه.

وَتَبَلَّغَتْ[١] بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً، وَالنَّهَارَ سَكَناً وَقَراراً! وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَىٰ الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا[٢] الآذَانِ غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ[٣]، إِلَّا أَنَّكَ تَرَىٰ مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً[٤].

لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ.

فَسُبْحَانَ الْبَارِيءِ لِكُلِّ شَيْءٍ، عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ!»[٥].

أرأيتم هذا الوصف الدقيق للخفّاش الذي تفرّد عن بقيّة الطيور بخصائصه ومميزاته، ولم يحط علماً بهذه الأوصاف إلّا باب مدينة علم النبيّ ﷺ الذي غذّاه النبي بعلومه ومعارفه.

الجـراد:

ووصف عليه السلام خلقة الجراد بقوله:

«وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا

---

(١) **تبلّغت**: اكتفت.

(٢) **شظايا**: جمع شظية، وهي شقق الأُذن.

(٣) **القصب**: جمع قصبة، وهي عمود الريشة.

(٤) **أعلاماً**: ذي رسوم ظاهرة.

(٥) نهج البلاغة: ٤٦.

حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ـ أي مضيئة كالقمر ـ ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ[١] . يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا ، وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّىٰ تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا ، وَتَقْضِي مِنْهُ شَهَوَاتِهَا »[٢] .

أرأيتم هذا الوصف الرائع الدقيق الذي أحاط بكنه هذا المخلوق وبصفاته وخواصّه .

النملة :

انظروا إلى وصف الإمام للنملة ، وما فيها من عجائب الإبداع وجمال الأسلوب قال عليه السلام :

« وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عِظِيمِ الْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ ، لَرَجَعُوا إِلَىٰ الطَّرِيقِ ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلٰكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ ! أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ صَغِيرِ مَا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَسَوَّىٰ لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ !

انْظُرُوا إِلَىٰ النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَىٰ أَرْضِهَا ، وَصُبَّتْ عَلَىٰ رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَىٰ جُحْرِهَا ؛ وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا .

تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا ؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ

---

(١) يقصد بالمنجلين : رجليها .

(٢) نهج البلاغة : ٨٥، الخطبة رقم ١٨٥ .

بِوِفْقِهَا؛ لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ -أي الجامد-! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً! فَتَعَالَىٰ الَّذِي أَقَامَهَا عَلَىٰ قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَىٰ دَعَائِمِهَا! لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَىٰ خَلْقِهَا قَادِرٌ.

وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَىٰ أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ.

وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ»(١).

٦ - علم الكلام

من العلوم التي وضع أُصولها وقواعدها علم الكلام، ومنه أخذ المتكلّمون مناهج بحوثهم.

يقول ابن أبي الحديد: «ومن كلامه اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى، ومنه ابتدأ، فإنّ المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر، ومنه تعلّم الناس هذا الفنّ، تلامذته وأصحابه لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبدالله بن محمّد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام.

وأمّا الأشعرية فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن إسماعيل أبي بشر

---

(١) نهج البلاغة: ٨٤، الخطبة ١٨٥.

الأشعري ، وهو تلميذ أبي علي الجبائي ، وأبو علي أحد مشائخ المعتزلة ، فالأشعرية ينتهون بآخره إلى أُستاذ المعتزلة ومعلّمهم هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وأمّا الإمامية والزيدية فانتمائهم إليه ظاهر »[(١)].

ونهج البلاغة طافح بالبحوث الكلامية خصوصاً فيما يتعلّق بالتوحيد الذي هو الأساس لهذا العلم قال عليه السلام :

« الْحَمْدُ لِلّٰهِ الدَّالِّ عَلَىٰ وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ أَزَلِيَّته ؛ وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ .

لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ[(٢)] ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ ؛ الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَىٰ حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ[(٣)] ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ[(٤)] ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ[(٥)] ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ ، وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ[(٦)] ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالْبَاطِنِ لَا بَلَطَافَةٍ .

بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ .

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ[(٧)] ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١ : ١٧ .

(٢) **لا تستلمه المشاعر** : لا تصل إليه الحواس .

(٣) **النصب** ـ بالتحريك ـ : التعب .

(٤) **الأداة** : الآلة .

(٥) **تفريق الآلة** : فتح الأجفان بعضها عن بعض .

(٦) **البائن** : المنفصل عن خلقه .

(٧) أي من كيّفه بكيفيات المحدَّثين .

وَمَنْ قَالَ : « كَيْفَ » فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « أَيْنَ » فَقَدْ حَيَّزَهُ .

عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ »[١] .

وهذه اللوحة من كلامه عليه‌السلام صميم البحوث الكلامية التي عرضت إلى صفات الله تعالى الثبوتية والسلبية .

٧ ـ علم الطبيعة ـ الفيزياء

من العلوم التي تستند معرفتها وبرامجها إلى الإمام عليه‌السلام هو علم الطبيعة الفيزياء ، وهذه بعض نظرياته :

قال عليه‌السلام : « **وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ** »[٢] .

إنّ كثيراً من الحيوانات لا ترى الألوان ، بل ترى الصور سوداء أو بيضاء فقط ، أمّا الإنسان فإنّه يرى الألوان السبعة التي هي ألوان الطيف المرئي ، والتي تنحصر أطول موجاتها بين (٠،٤) مكرون (البنفسجي) و(٠،٨) مكرون (الأحمر) ، أمّا الأضواء التي تقع أطوال موجاتها خارج هذا المجال ، فإنّ الإنسان لا يراها ، ومنها الأشعة فوق البنفسجية ، والأشعة تحت الحمراء ، إذن فقدرة الإنسان البصرية محدودة .

أمّا الله تعالى فهو يرى كلّ جسم ، وكلّ لون مهما كان نوعه أو لطافته ، وقد وجد بقدرة الله تعالى أنّ النحلة تستطيع أن تميّز بين أنواع الزهور وهي تطير في أعلى السماء[٣] .

---

(١) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ٢ : ٥٣ .

(٢) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ١ : ١٠٨ .

(٣) تصنيف نهج البلاغة : ٣١٢ .

وقال عليه السلام: «**فِي التَّجارِبِ عِلْمٌ مُسْتأْنَفٌ**»، فهو حقّاً واضع الطريقة التجريبية في العلوم الطبيعية، وهو بذلك يسبق «بيكون» قروناً، الذي نَسب إليه الغربيّون وضع الطريقة التجريبية[١].

٨ـ الكهرباء

أشار الإمام عليه السلام إلى الكهرباء الذي هو مفتاح التقدّم والتطوّر في حياة الإنسان، فقد كان عليه السلام جالساً على نهر الفرات وبيده قضيب، فضرب به على صفحة الماء وقال: «**لَوْ شِئْتُ لَجَعَلْتُ لَكُمْ مِنَ الْماءِ نُوراً وَناراً**».

وفي قوله عليه السلام دلالة إلى ما في الماء من طاقة يمكن أن تولّد النور وهو الكهرباء والنار وهو الطاقة الحرارية... وأنّا نجد في الماء عنصرين: هما الهيدروجين والأوكسجين.

الأوّل قابل للاحتراق وإعطاء النور، والثاني يساعد على الاحتراق ويعطي الحرارة.

وأبعد من ذلك فإنّ وجود الماء الثقيل في الماء الطبيعي بنسبة ٢ إلى ١٠٠٠٠ يجعله أفضل مصدر طبيعي للهيدروجين الثقيل الذي نسمّيه (الدوتيريوم) وهذا النظير المشعّ هو حجر الأساس في تركيب القنبلة الهيدروجينيّة القائمة على اندماج ذرّتين من الدوتيريوم لتشكيل الهليوم، علماً بأنّ الطاقة الناتجة عن هذا الاندماج والتي هي منشأ طاقة الشمس تفوق آلاف المرّات الطاقة الناتجة عن القنبلة الذرية التي تقوم على انشطار اليورانيوم...

إنّ هذه المعاني الدقيقة والأسرار العميقة تضمّنها قول الإمام عليه السلام الذي هو

---

(١) نظرة الإسلام إلى العلم الحديث: ٧٤.

باب مدينة علم النبيّ ﷺ ، وهو القائل :

« بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَىٰ مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ ! »(١).

٩ ـ علم الطبّ

وأثرت عن الإمام عليه‌السلام الكثير من الآراء الذهبية في علم الطب تدلّ على استيعابه لهذا العلم ، ومعرفته الكاملة بأسراره وهو القائل فيما يحتويه جسم الإنسان من الأجهزة والأنظمة العجيبة :

أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ — وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

دَواؤُكَ فِيكَ وَمَا تُبْصِرُ — وَداؤُكَ مِنْكَ وَمَا تَشْعُرُ

عرض المرحوم الحاجّ محسن شلاش هذين البيتين على الدكتور جاك عبود طالباً منه تحليلهما على ضوء علم الطب فأجاب بعد المقدّمة ما يلي :

« لقد ثبت في الاكتشافات الأخيرة بأنّ المناعة الموجودة في الإنسان طبيعية أو مكتسبة هي الخطّ الأمامي والاستحكام الدفاعي الذي يصدّ هجمات العوارض الخارجية عن الإنسان ، مكروبية كانت أو فيزيائية ، حيث آخر ما وصلت إليه النظريات في الطب الوقائي الحديث استثمار هذه المناعة وتقويتها بالطرق الطبيعية أو الفيزيائية ، فإذا دخلت أو نفذت العوارض الخارجية إلى جسم الإنسان وأصبحت داء يتطلّب العلاج ، فالدواء موجود في جسم الإنسان الذي فيه إمكان تعبئة عامّة من جيوش جرّارة مكنونة في الإنسان لمحاربة هذه الآفة العرضية ، ومثال ذلك إذا أُصيب الجسم بمرض (أنتاني) يحدث ارتفاعاً فورياً في حرارة الجسم (الحمى)

---

(١) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ١ : ٣٦.

التي ليست هي بمرض ، وإنّما هي ظاهرة من ظواهر القوى المحاربة للدفاع ، وإذا أُصيب شخص بذات الرئة مثلاً ولم ترتفع حرارة جسمه من الحمى بالنسبة المطلوبة يتشائم الأطباء من عواقب المرض لقلّة الدفاع أو عدمه ، وفي علم المناعة الطبيعية الموجودة في الإنسان تؤيّد هذا القول تأييداً فنّياً لا مناقشة فيه ، وتقتصر مهمّة الطبيب في اتّباع طرق المعالجة التي ترشده عليه الطبيعة ، وعليه أن يتّبع ذلك الإرشاد ، ويعزو النقص الحاصل بما توصّل إليه العلم الحديث عن بصيرة كاستعمال مواد (السلفا والبنسلين) التي تشلّ حركة المكروبات وتضعّفها عن النمو والتكاثر فيصبح حينئذٍ في استطاعة الجسم اكتساحها : « **وَداؤُكَ مِنْكَ وَمَا تَشْعُرُ** ».

لقد فرضت المشيئة وقوانينها الطبيعية لصيانة الجسم من الخلل من قواه إلى حدّه المحدود ، وهيّأت له أسباباً للبقاء من طرق المعيشة والانتعاش من مواهب الطبيعة في جميع أنحاء المعمورة ، وحسبما يلائم كلّ محيط منها بحكم الطبيعة التي يجب على الإنسان أن يشعر فيها ويتبعها كما أرشد فيها هذا الكلام ، وأرشد إلى وجود المدارك والحواس التي ترشد الإنسان إلى ما يتطلّبه هذا الجسم من تلك المواهب فعليه أن يتطلّع الشعور بها ويتبعها لصيانة الجسم من العلل ؛ لأنّ الطبيعة تجعله يدرك في احتياجه إلى الهواء الطلق وأشعة الشمس والمواد الغذائية الرئيسية بكمياتها وأنواعها التي تؤمّن نموّ ذلك الجسم ، والمحافظة على كيانه المطلوب ، ويشعر بحدود ما يتحمّله الجسم من الأتعاب وما يتطلّبه من الراحة والنوم ، وما هو المفروض من ضرورة التجنّب عن الأغذية المصطنعة من تصرفات الإنسان على خلاف مقتضيات الطبيعة أو الغريبة عن طبيعة ذلك المحيط الذي يعيش فيه ، فإذا قصر عن تطبيق هذه الواجبات أو أسرف فيها جهلاً أو قهراً أو اختياراً فيكون دائه منه بطبيعة الحال كما جاء في هذا الكلام :

أَتَحْسَبُ أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ ... وَفِيكَ انْطَوَى الْعالَمُ الْأَكْبَرُ

لست مغالياً إذا قلت : إنّ هذا الكلام ينجرّ إلى بحوث فلسفية عالية قد يكون معظمها ليس من اختصاص الأطباء ، ولكنّني أشرح منها ما أستطيع .

حقّاً إذا تأمّل الإنسان في عظمة الكون ، وتبصّر في انطواء هذا العالم يحسب نفسه جرماً صغيراً إلّا أنّه لو تبحّر في تركيب جسمه ، ودرس علم التشريح بدقائقه وعلم الفسلجة الحديثة من جميع نواحيه لأخذه الهول من عظمة تكوين هذا الجسم الذي كلّ عضو من أعضائه كوّن في بابه يحتوي على ملايين من الحجيرات تقوم بأعمال ذات اختصاص مرتبطة ببعضها بغاية الدقّة والإحكام ، وحفظ التوازن والانتظام ومع هذه العظمة في تكوينه فإنّه حقّاً جرم صغير غير أنّه المكون الصانع أضاف في طبيعة هذه المنظومة لهذا الجسم كوناً آخر أعظم شأناً هو (الدماغ) الذي رفع ذلك الجرم الصغير إلى الجرم الكبير ، وجعل فيه انطواء هذا العالم الأكبر ، ذلك الدماغ الذي لم يكتشف العلم جميع مكنوناته ا الدقيقة ولم يتوصّل إلى الوقوف على كيفيّة قيامه بمهمّاته التي من نتيجتها العقل والتعقّل ذلك العقل الذي جعل الإنسان متمكّناً من التغلب على عظمة هذا الكون ، وممارسة انطواء مقتضيات السيطرة على هذا العالم »[١] .

وانتهى حديث الدكتور جاك عبود في تحليل كلام الإمام عليه السلام ، وكان ذلك قبل ثلاثين عاماً ، والآن قد تطوّر الطبّ إلى مرحلة هائلة في العمليات ، وغرس الأعضاء وغيرها .

وقد اكتشف حديثاً أنّ بعض الأعضاء إذا كان مصاباً بدُمّل ونحوه فإنّه يعالج بأخذ زرقة من العضو الصحيح ، وتزرق فيه ، وما يدرينا لعلّ الطبّ قد يكتشف أنّ في بصاق الإنسان وغيره من فضلاته دواءاً لبعض الأمراض ، وبذلك تكون صيدلية كامنة

---

(١) اسبوع الإمام عليه السلام : ١٩٥ ـ ١٩٦ .

في جسم الإنسان لعلاج بعض أمراضه.

أمّا الدماغ فهو المخلوق العجيب الذي تجسّدت فيه عظمة الخالق المبدع العظيم، فقد انطوت فيه العوالم وذلك بما فيه من خزائن أسرار وعجائب اكتشف العلم بعضها، وجهل القسم الأكبر منها.

الوقاية من الأمراض:

ووضع الإمام منهجاً خاصّاً للوقاية من الأمراض والسّلامة من العلل قال عليه السلام:

« لَا تَجْلِسْ عَلَى الطَّعامِ إِلَّا وَأَنْتَ جَائِعٌ، وَلَا تَقُمْ مِنْهُ إِلَّا وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ، وَجَوِّدِ الْمَضْغَ، وَاعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى الْخَلَاءِ إِذا نِمْتَ فَإِذا اسْتَعْمَلْتَ هٰذِهِ اسْتَغْنَيْتَ عَنِ الطِّبِّ »[1].

إنّ الإسراف في الطعام والشراب، هما من أهمّ الأسباب التي تؤدّي إلى مرض الإنسان وانهيار صحّته، فإنّه ـ على الأكثر ـ يسبّب السمنة التي هي من موجبات مرض السكر وارتفاع ضغط الدم ومرض القلب، وقد وضع الإسلام دستوراً كاملاً للصحّة العامّة قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾.

ومن المؤكّد أنّه لو امتنع الإنسان من الإفراط في تناول الطعام وغيره لما احتاج إلى الطبّ، وقد أكّد الإمام ذلك بقوله:

« يَضُرُّ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ فِي ثَلاثَةِ أَشْياءَ: الْإِفْراطُ فِي الْأَكْلِ إِتِّكالاً عَلَى الصِّحَّةِ، وَتَكَلُّفُ حَمْلِ مَا لَا يُطاقُ إِتِّكالاً عَلَى الْقُوَّةِ، وَالتَّفْرِيطُ فِي الْعَمَلِ إِتِّكالاً عَلَى الْقُدْرَةِ ».

---

(١) مستدرك نهج البلاغة: ١٢٦.

رضاع الطفل من ثدي أُمّه :

وأكّد الإمام عليه السلام على ضرورة رضاع الطفل من لبن أُمّه ، قال عليه السلام :

« مَا مِنْ لَبَنٍ يَرْضَعُ بِهِ الصَّبِيُّ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَيْهِ مِنْ لَبَنِ أُمِّهِ »(١) .

وقد أثبت الطبّ أنّ رضاع الطفل من لبن أُمّه يعود عليه بالنفع العميم ، فإنّ اللبن من ثدي معقّم ، وفيه من التراكيب ما يتناسب مع سنّ الطفل ، وأمّا إطعام الطفل بغيره فإنّه يسبّب له الكثير من الأمراض .

وقد بحثنا عن ذلك بصورة مفصّلة ونافعة في كتابنا (نظام الأُسرة في الإسلام) ، وبهذا العرض الموجز ننهي الحديث عمّا أُثر عن الإمام عليه السلام في علم الطب .

١٠ ـ علم الجيولوجيا

من العلوم التي عرض عليه السلام لها علم الجيولوجيا وذلك في بعض خطبه وأحاديثه والتي منها :

١ ـ قال عليه السلام :

« وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَال ، وَأَرْسَاهَا عَلَىٰ غَيْرِ قَرَار ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعائِمَ » .

الأرض كبقيّة الكواكب قائمة بقدرة الله تعالى وعظيم أمره في الفضاء ، لا تستند إلى قائمة تعتمد عليها ، ومن المضحك الرواية المفتعلة أنّها قائمة على قرن ثور ، فإنّها قد وضعتها اللجان التي أقامها معاوية لافتعال الحديث .

(١) مستدرك نهج البلاغة : ١٧١ .

٢ ـ قال عليه السلام :

« **فَطَرَ الخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ ، وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ** »[١] .

إنّ الجبال التي خلقها الله تعالى والتي هي من عجائب مخلوقاته قد جعلها أوتاداً في الأرض من أن تميد بأهلها .

٣ ـ قال عليه السلام :

« **وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا** ـ أي الأرض ـ **بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ**[٢] **الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا**[٣] **، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ**[٤] ... »[٥] .

تحدّث عليه السلام عن الجبال وأنها هي التي تمسك الأرض أن تميد بأهلها ، وبالاضافة لذلك فإنّ لها أهمّية بالغة فإنّها تحافظ على التربة ، وعلى سطح الأرض من الزوال والانتقال ، فإنّ سطح الأرض لو كان خالياً من الجبال لكان عرضة للتغيير المستمر .

١١ ـ علم الفسلفة

ومن العلوم التي وضع أُصولها وقواعدها ، الفلسفة الإلهيّة ، وهو أوّل من تبحّر فيها وتكلّم وفقاً لطريقة الاستدلال الحرّ والبرهان المنطقي ، وتعرّض لمسائل فلسفية لم يتعرّض لها فلاسفة العالم في وقته ، فاهتم بهذا الشأن اهتماماً بالغاً ، وحتى في

---

(١) نهج البلاغة ـ محمّد عبده : ٧ .

(٢) **الشناخيب** : القمم .

(٣) **الصياخيد** : وهي الصخور الشديدة .

(٤) **الميدان** : الاضطراب .

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة : ٣٥ .

أحلك ساعات الحرب ؛ إذ أنّ اعرابياً قام إليه يوم الجمل فسأله :

يا أمير المؤمنين ، أتقول إنّ الله واحد .

فحمل الناس عليه وقالوا : يا اعرابي ، أمَا ترى ما في أمير المؤمنين من تقسم القلب .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

« **دَعُوهُ فَإِنَّ الَّذِي يُرِيدُهُ الْأَعْرابِي هُوَ الَّذِي نُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْمِ** » .

ثمّ قال :

« **إِنَّ الْقَوْلَ فِي أَنَّ اللهَ واحِدٌ عَلىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسامٍ :**

فَوَجْهانِ لَا يَجُوزانِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَوَجْهانِ يَثْبُتانِ فِيهِ .

فَأَمَّا اللَّذانِ لَا يَجُوزان عَلَيْهِ :

فَقَوْلُ الْقائِلِ : وَاحِدٌ يَقْصُدُ بِهِ بابَ الْأَعْدادِ ، فَهٰذا لَا يَجُوزُ لِأَنَّ مَا لَا ثانِيَ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بابِ الْأَعْدادِ ، أَما تَرىٰ أَنَّهُ كَفَرَ مَنْ قالَ : إِنَّهُ ثالِثُ ثَلَاثَةٍ .

وَقَوْلُ الْقائِلِ : هُوَ واحِدٌ مِنَ النَّاسِ ، يُرِيدُ بِهِ النَّوْعَ مِنَ الْجِنْسِ ، فَهٰذا مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ تَشْبِيهٌ وَجَلَّ رَبُّنا عَنْ ذٰلِكَ وَتَعالىٰ .

وَأَمّا الْوَجْهانِ اللَّذانِ يَثْبُتانِ فِيهِ :

فَقَوْلُ الْقائِلِ : هُوَ واحِدٌ لِيْسَ لَهُ فِي الْأَشْياءِ شِبْهٌ ، كَذٰلِكَ رَبُّنا .

وَقَوْلُ الْقائِلِ : إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدِيُّ الْمَعْنىٰ ، يُعْنىٰ بِهِ أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْمٍ ، كَذٰلِكَ رَبُّنا عَزَّ وَجَلَّ »[١] .

(١) بحار الأنوار ٢ : ٦٥.

حرمة تعلّم السحر:

حرّم الإمام علم السحر لأنّه يؤدّي إلى شيوع الضلال بين الناس ، ويدعو إلى التأخّر والانحطاط ، فقد أثر عنه أنّ :

« السَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ في النَّارِ » .

إنّ الإسلام يدعو إلى التطوّر والتقدّم في ميادين العلوم ، والسحر يقف حائلاً دون تطوّر الحياة فلذا حرّمه الإمام .

حرمة تعلّم التنجيم :

أمّا علم النجوم فإن كان المراد من تعلّمه معرفة الأنواء الجوية فلا إشكال في جوازه ، وإن كان المراد منه ربط الأحداث بالنجوم ، وأنّها علّة مؤثّرة في تكوين الأُمور فهذا من الكفر ، وقد نهى الإمام عليه السلام عنه . فقد انبرى إليه منجّم لمّا أراد السير إلى حرب الخوارج فقال له : إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك ، فقال عليه السلام له :

« أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ ؟ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ ؟ فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ » .

ثمّ أقبل على الناس وقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ في بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَىٰ الْكَهَانَةِ ، وَالْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ! وَالْكَافِرُ في النَّارِ ! »[١] .

---

(١) المكاسب المحرّمة ٢ : ٢٧٩ ـ باب التنجيم .

الملاحم والمغيبات
التي أخبر عنها الإمام

أمّا الإخبار بالمغيّبات والملاحم التي تحقّقت بعد ذلك على مسرح الحياة فإنّها من مختصّات الأنبياء وأوصيائهم ؛ لأنّها تكون شاهد صدق على نبوّتهم ، وآية واضحة على رسالتهم ، وقد أخبر الرسول الأعظم ﷺ عن كثير من الأُمور التي ستتحقّق من بعده ، وفعلاً قد تحقّقت ، وكان من بين ما أخبر به ما يلي :

١ ـ أنّه أخبر يوم الخندق بفتح الشام وفارس واليمن ، وتحقّق جميع ذلك في حياته وبعد وفاته ، فقد رف لواء الإسلام على هذه المناطق ، وارتفعت فيها كلمة التوحيد ، وأقبرت الأفكار الجاهلية وعاداتها .

٢ ـ أحاط وصيّه وباب مدينة علمه الإمام عليه السلام علماً بشهادته ، أنّه يقتله شبيه عاقر ناقة صالح ، ولم تمض السنون حتى عمّمه المجرم الأثيم ابن ملجم بالسيف ، وهو ماثل بين يدي الله تعالى ، وذكره سبحانه بين شفتيه .

٣ ـ أخبر سيّدة نساء العالمين بضعته فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها أوّل أهل بيته لحوقاً به ، ولم تمض إلّا أيام حتى التحقت به .

٤ ـ أخبر المسلمين بشهادة ولده وريحانته الإمام الحسين على صعيد كربلاء ، وفعلاً فقد استشهد أبو الأحرار في كربلاء بأيدي الطغمة الحاكمة من بني اُميّة .

٥ ـ أخبر نساءه بأن إحداهنّ تكون صاحبة الجمل الأدبب ، وتنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة ، وفعلاً فقد خرجت عائشة على وصيّ رسول الله ﷺ وأخيه ونفسه ، مطالبة بدم عثمان الذي أفتت بكفره ومروقه من

الدين، وقد نبحتها كلاب الحوأب في طريقها لاحتلال البصرة، كما قتل من معسكرها ومعسكر الإمام خلق كثير.

٦ ـ أعلم النبيّ صلى الله عليه وآله الصحابي العظيم الطيّب ابن الطيّب عمّار بن ياسر عن شهادته على أيدي الفئة الباغية، وأنّ آخر شرابه من الدنيا ضياح من لبن، وفعلاً فقد استشهد هذا العملاق بأيدي الفئة الباغية من جند معاوية، وكان آخر شرابه من الدنيا ضياح من لبن سقته إحدى السيّدات في جيش الإمام عليه السلام.

٧ ـ أنّه أسرّ إلى أهل بيته أنّهم المستضعفون من بعده، وقد جرى عليهم الظلم والاعتداء من بني أُميّة وبني العباس، وتجرّعوا من الغصص والنكبات ما لا نظير لها في فضاعتها ومرارتها، فكانوا حقّاً من المستضعفين ومن المعذّبين في الأرض.

وكثير من أمثال هذه الأحداث أخبر عنها الصادق الأمين، وقد جرت كلّها كما أخبر صلى الله عليه وآله، وقد أدلى بكثير من الأحداث الجسام التي قالها إلى وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وقبل التحدّث عن الملاحم والأحداث التي أخبر عنها قبل وقوعها نتعرّض إلى ما أثر عنه من سعة علومه، وإحاطته الكاملة بما سيجري في الدنيا، ولنستمع إلى ذلك:

١ ـ أنّه لمّا بايعه الناس بالخلافة خرج إلى الجامع النبوي معتمّاً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لابساً بردته، منتعلاً بنعله، متقلّداً سيفه، فارتقى المنبر وشبّك بين أصابعه فوضعها في أسفل بطنه ثمّ قال:

« يا مَعْشَرَ النّاسِ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، هٰذا سَفَطُ الْعِلْمِ، هٰذا لُعابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، هٰذا ما زَقَّنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله زَقّاً زَقّاً.

سَلُونِي فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

أَمَا وَاللهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الْوِسادَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْها لَأَفْتَيْتُ أَهْلَ التَّوْراةِ بِتَوْراتِهِمْ حَتّىٰ تَنطِقُ التَّوْراةُ فَتَقُولَ : صَدَقَ عَلِيٌ ما كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ .

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتّىٰ يَنْطِقَ الْإِنْجِيلُ فَيَقُولُ : صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ .

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الْقُرْآنِ بِقُرآنِهِمْ حَتّىٰ يَنْطِقَ الْقُرآنَ فَيَقُولَ : صَدَقَ عَلِيٌّ مَا كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتَاكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيَّ ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْقُرآنَ لَيْلاً وَنهاراً ، فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدُ يَعْلَمُ بِمَا أُنْزِلَ فِيهِ ؟

وَلَوْلَا آيَةُ فِي كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا كَانَ ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ يَمْحُو اللهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ ﴾ .

ثُمَّ قالَ : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحبَّةَ ، وَبَرأَ النَّسَمَةَ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ آيَةٍ فِي لَيْلٍ أُنْزِلَتْ أَوْ فِي نَهارٍ ، مَكِّيِّها وَمَدَنِيِّها ، سَفَرِيِّها وَحَضَرِيِّها ، ناسِخِها وَمَنْسُوخِها ، وَمُحْكَمِها وَمُتَشابِهِها ، وَتأْوِيلِها وَتَنْزِيلِها لَأَخْبَرْتُكُمْ . . . »(١) .

أرأيتم سعة معارفه وعلومه وما يحمله من كنوز قد حوت أسرار الكون ، ومن المؤسف أنّ هذا العملاق العظيم يقرن بأعضاء الشورى الذين لا يفقهون بعض ما يفقهه الإمام .

٢ ـ روى الأصبغ بن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه‌السلام على منبر الكوفة ، فحمد

---

(١) بحارالأنوار ١٠ : ١١٧ ـ ١١٨ ، وقريب منه في فرائد السمطين . مناقب الخوارزمي : ٩١ .

الله وأثنى عليه ثمّ قال:

«أَيُّها النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنَّ بَيْنَ جَوانِحِي عِلْماً جَمّاً»(١).

٣ ـ قال عليه السلام:

«فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِئَةً وَتُضِلُّ مِئَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا»(٢).

٤ ـ قال عليه السلام وهو على منبر الكوفة:

«سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَأَنَا لَا أُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ دُونَ الْعَرْشِ إِلَّا أَجَبْتُ عَنْهُ، لَا يَقُولُها بَعْدِي إِلَّا مُدَّعٍ أَوْ كَذَّابٌ»(٣).

٥ ـ قال عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ»(٤).

ومن المؤكّد أنّه لم يتفوّه أحد من الصحابة وغيرهم بمثل هذا الكلام كما يقول ابن عبد البر(٥).

---

(١) المصدر السابق ١٠: ١٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢: ٢٨٦. بحار الأنوار ١٠: ١٢٦.

(٣) بحار الأنوار ١٠: ١٢٨.

(٤) الاستيعاب ٣: ٣٩.

(٥) الرياض النضرة: ١٩٨. الصواعق المحرقة: ٧٦. المناقب ـ الموفّق بن أحمد الخوارزمي: ٩١. فضائل الصحابة ـ ابن حنبل ٢: ٦٤٦.

على أي حال فقد وهب الله هذا الإمام العظيم من العلوم والمعارف والحكمة ما لا يحصى ، كما أحاطه علماً بما سيجري في الكون من أحداث ، وقد أخبر عن بعضها ، وتحقّقت على مسرح الحياة ، وقد اصطلح العلماء على تسمية ما أخبر به من الأحداث بالملاحم ، كان منها ما يلي :

إخباره بقتل الحسن عليه السلام

عندما اغتال ابن ملجم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فغشى عليه ولده الحسن عليه السلام فأخذ يبكي على أباه مهما ساعدته الجفون ، فسقطت قطرات من دموعه على وجه الإمام فأفاق ، فلمّا رآه قال له مهدّئاً روعه :

« يا بُنَيَّ ، مَا هٰذَا الْبُكاءُ ؟ لَا خَوْفُ وَلَا جَزَعُ عَلىٰ أَبِيكَ بَعْدَ الْيَوْمِ . يا بُنَيَّ ، لَا تَبْكِ ، فَأَنْتَ تُقْتَلُ بِالسُّمِّ . . . »[1] .

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام : ٥٧٣ .

إخباره بقتل الحسين عليه السلام

استشفّ الإمام عليه السلام من وراء الغيب بما يجري على ولده ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام من القتل والتنكيل ، فأشاع ذلك بين الناس ، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل ، وقد أدلى الإمام عليه السلام بذلك في كثير من المناسبات وهذه بعضها :

١ ـ روى عبدالله بن نجي عن أبيه أنّه سافر مع الإمام عليه السلام إلى صفّين ، وكان صاحب مطهرته ، فلمّا حاذى نينوى ، تألّم الإمام وفزع كأشدّ ما يكون الفزع ، ورفع صوته بأسى وحزن قائلاً :

« **صَبْراً أَبا عَبْدِاللهِ ، صَبْراً بِشَطِّ الْفُراتِ** » ، وبهر عبدالله وانبرى قائلاً :

من ذا أبو عبدالله ؟

فأجابه الإمام بنبرات تقطر حزناً قائلاً :

« **دَخَلْتُ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ذاتَ يَوْمٍ وَعَيْناهُ تَفِيضانِ ، فَقُلْتُ :**

يا نَبِيَّ اللهِ ، هَلْ أَغْضَبَكَ أَحَدٌ ؟ مَا شَأْنُ عَيْنَيْكَ تَفِيضانِ ؟

قالَ : قَامَ مِنْ عِنْدِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اُمَّتِي تَقْتُلُ الْحُسينَ ابْنِي .

ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ أَنْ اُرِيكَ مِنْ تُرْبَتِهِ ؟

قُلْتُ : نَعَمْ.

فَمَدَّ يَدَهُ، فَقَبَضَ. فَلَمَّا رَأَيْتُهَا لَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ أَنْ فَاضَتَا»[١].

٢ ـ روى هرثمة بن سليم قال: غزونا مع عليّ بن أبي طالب غزوة صفّين، فلمّا نزلنا بكربلاء صلّى بنا صلاة، فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها شيئاً فشمّها، ثمّ قال:

«واهاً لَكِ أَيَّتُها التُّرْبَةُ، لَيُحْشَرَنَّ مِنْكِ قَوْمٌ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ».

وعجب هرثمة من حديث الإمام، ولم يكن من الذاهبين إلى إمامته، فلمّا رجع من صفّين حدّث زوجته جرداء بنت سمير بما سمعه من الإمام، وكانت شيعة له فقالت له: دعنا منك أيّها الرجل فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلّا حقّاً...

ولم تمض الأيام حتى بعث المجرم ابن زياد بجيوشه إلى كربلاء لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان هرثمة من جملة الخارجين لحربه، فلمّا انتهى إلى كربلاء ورأى الحسين وأصحابه تذكّر قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فكره حربه، وأقبل إلى الإمام الحسين عليه السلام فأخبره بما سمعه من أبيه فقال له الإمام:

«مَعَنا أَنْتَ أَمْ عَلَيْنا؟».

ـ لا معك ولا عليك، تركت أهلي وولدي، وأخاف عليهم من ابن زياد..

فنصحه الإمام قائلاً:

«وَلِّ هارباً حَتّىٰ لَا ترى لَنا مَقْتَلاً، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَرىٰ مَقْتَلَنا الْيَوْمَ أَحَدٌ وَلَا يَغِيثُنا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارِ...».

وانهزم هرثمة وولّى هارباً، ولم يشترك في حرب الإمام الحسين[٢].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣: ٥٧ ـ ٥٨. المعجم الكبير ـ الطبراني، رواه في ترجمته الإمام الحسين عليه السلام ٣: ١٠٦.

(٢) وقعة صفّين: ١٥٧. نهج البلاغة ٣: ١٧٠.

٣ ـ روى أبو جعفة قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب، وأنا أسمع، فقال: حديث حدّثنيه عن عليّ بن أبي طالب، قال: نعم، بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده، ويقول: «**هاهُنا، هاهُنا**».

فبادر إليه رجل فقال له: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: «**ثَقْلُ آلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هاهُنا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ**».

وانبرى الرجل قائلاً: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟

فأجابه الإمام:

«**وَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ تَقْتُلُونَهُمْ، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ يُدْخِلُكُمْ اللهُ بِقَتْلِهِمْ النَّارَ**»(١).

٤ ـ روى الحسن بن كثير عن أبيه أنّ عليّاً أتى كربلاء فوقف بها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء...

فأجابه الإمام بأذى وأسى قائلاً:

«**ذاتُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ...**»، ثمّ أومأ بيده إلى موضع منها، فقال:

«**هاهُنا مَوْضِعُ رِحالِهِم** ـ أي خيمهم ـ»، وأشار بيده إلى مكان آخر منها فقال:

«**هاهُنا مُهْراقُ دِمائِهِمْ**»(٢).

٥ ـ روى أبو حبرة قال: صحبت عليّاً حتى أتى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

«**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذا نَزَلَ بِذُرِّيَّةِ نَبِيِّكُمْ الْبَلَاءَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟**»

فأجابوه: إذاً نبلى الله فيهم بلاءً حسناً...

---

(١) وقعة صفّين: ١٥٨.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٦٩. وقعة صفّين: ١٥٨.

وردّ عليهم الإمام مفنّداً لمزاعمهم قائلاً:

«وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَيَنزِلَنَّ بَيْنَ أَظْهرِكُمْ وَلَتَخرُجُنَّ إِلَيْهِمْ فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ».

ثمّ قال:

«هُـم أَوْرَدُوهُ بِـالْغُرُورِ وَعَـرَّدُوا أَحَبُّوا نَجاةً لا نَجاةَ وَلا عُذْرُ»[1]

لقد رفع الكوفيّون آلاف الرسائل إلى سيّد الأُباة وزعيم الأحرار الإمام الحسين عليه السلام لينقذهم من عنف الأمويّين وظلمهم فاستجاب لهم، فلمّا حلّ في ديارهم اجتمعوا عليه فقتلوه مع السادة العلويّين من أبنائه واخوانه وأبناء عمومته، ومعهم النخبة الصالحة من أشراف الدنيا من أصحابه، ومثّلوا شرّ تمثيل بأجسامهم الطاهرة، ورفعوا رؤوسهم على الرماح هدية لابن مرجانة وسيّده يزيد... فكانت مأساة مروعة لم يشهد لها مثيل في تأريخ البشرية.

٦ ـ روى أبو هرثمة قال: كنت مع عليّ بنهر كربلاء، فمرّ بشجرة تحتها بعر غزلان فأخذ من التراب قبضة فشمّها، ثمّ قال:

«يُحْشَرُ مِنْ هٰذَا الظَّهْرِ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ»[2].

٧ ـ روى الطبراني بسنده أنّ الإمام عليّ عليه السلام قال:

«لَيُقْتَلَنَّ الْحُسَيْنُ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ التُّرْبَةَ الَّتِي يُقْتَلُ فِيها بَيْنَ النَّهْرَيْنِ»[3].

٨ ـ روى ثابت عن سويد بن غفلة أنّ الإمام عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّي مررت بوادي القرى فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فأستغفر له...؟

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٩٠. المعجم الكبير ـ الطبراني ٣: ١١٠، الرقم ٢٨٢٣.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ١٩١. المعجم الكبير ـ الطبراني ٣: ١١٨، الرقم ٢٨٢٥.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ١٩٠. المعجم الكبير ـ الطبراني ٣: ١١٧، الرقم ٢٨٢٤.

فردّ عليه الإمام :

« مه إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، وَلَا يَمُوتُ حَتّىٰ يَقُودَ جَيْشَ ضَلَالَةٍ ، صاحِبُ لُوائِهِ حَبِيبُ بْنُ حِمازٍ ... » .

فقام إليه رجل وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا حبيبُ بنُ حِمازٍ ، وإنّي لكَ شيعةٌ !

وكرّر الإمام قوله : « **أَنْتَ حَبِيبُ** » فيجيب : نعم ، فقال عليه السلام :

« **إِيْ وَاللهِ إِنَّكَ لَحامِلُها ، وَلَتَحْمِلَنَّها ، وَلَتَدْخُلَنَّ مِنْ هٰذَا الْبابَ** » ، وأشار إلى باب الفيل ، وهو أحد أبواب مسجد الكوفة .

قال ثابت : والله ما مات حتى رأيت ابن زياد قد بعث عمر بن سعد إلى قتال الحسين ، وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمة الجيش ، وحبيب بن حِماز صاحب رايته ، فدخل بها من باب الفيل(١) .

٩ ـ روى عبد السمين : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب :

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَاللهِ مَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ مَضىٰ ، وَلَا شَيْءٍ يَكُونُ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ » .

قال : فقام إليه سعد بن أبي وقّاص وقال : يا أمير المؤمنين ، اخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرةٍ ؟

فقال : « **وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ حَدَّثَنِي خَلِيلِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَنَّكَ سَتَسْأَلُنِي عَنها وَمَا فِي رَأْسِكَ وَلِحْيَتِكَ مِنْ شَعْرَةٍ إِلَّا وَفِي أَصْلِها شَيْطَانٌ جَالِسٌ ، وَإِنَّ فِي بَيْتِكَ لَسَخْلاً يَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنِي ...** » ، وعمر يومئذٍ يدرج بين يدي أبيه(٢) .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٦ .

(٢) كامل الزيارات : ٧٤ .

١٠ ـ خطب الإمام عليه السلام فكان من بنود خطابه :

« سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَاللهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ فِئَةٍ تُضِلُّ مائةً ، أَوْ تَهْدِي مائةً إِلَّا أَنْبأْتُكُمْ بِناعِقِها وَسائِقِها ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخْبَرْتُ كُلَّ واحِدٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَدْخَلِهِ وَجَمِيعِ شأْنِهِ » .

فانبرى له الوغد الخبيث تميم بن اُسامة ، فقال له ساخراً : كم في رأسي طاقة شعر ؟

فرمقه الإمام بطرفه وقال له :

« أَما وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ أَيْنَ بُرْهانُهُ لَوْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ ، وَلَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِقِيامِكَ ، وَمَقالِكَ ، وَقِيلَ لِي : إِنَّ عَلىٰ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرِ رَأْسِكَ مَلَكاً يَلْعَنُكَ ، وَشَيْطَاناً يَسْتَفِزُّكَ ، وَآيَةُ ذٰلِكَ أَنَّ فِي بَيْتِكَ لَسَخْلاً يَقْتُلُ ابْنَ رَسُولِ اللهِ ، وَيَحُضُّ عَلىٰ قَتْلِهِ » .

قال ابن أبي الحديد : « كان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام كان ابنه حصين ـ وهو ابن تميم ـ يومئذٍ طفلاً صغيراً يرضع اللبن ، ثمّ عاش إلى أن صار على شُرْطة عبيدالله بن زياد ، وأخرجه عبيدالله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعّده على لسانه إن أرجأ ذلك ، فبلغ ابن سعد بذلك ، فقتِل عليه السلام صَبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته »[١] .

١١ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للبراء بن عازب :

« يا بَراءُ ، يُقْتَلُ ابْنِي الْحُسَيْنُ وَأَنْتَ حَيٌّ لَا تَنْصُرُهُ ؟ » .

فقال البراء : لاكان ذلك يا أمير المؤمنين .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٤ .

ولم تمض الأيام حتى استشهد سيّد شباب أهل الجنّة بتلك القتلة المروعة التي أذابت القلوب ، وكان البراء حيّاً ، فتذكّر مقالة الإمام ، وندم كأشدّ ما يكون من الندم ، وقال : أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأُقتل دونه[١].

١٢ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

«كَأَنِّي بِالْقُصُورِ قَدْ شُيِّدَتْ حَوْلَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ ، وَكَأَنِّي بِالْأَسْواقِ قَدْ حَفَّتْ حَوْلَ قَبْرِهِ ، وَلَا تَذْهَبُ الْأَيّامُ وَاللَّيالِي حَتّىٰ يُسارَ إِلَيْهِ مِنَ الْآفاقِ ، وَذٰلِكَ بَعْدَ انْقِطاعِ بَنِي مَرْوانَ... »[٢].

وتحقّق ما أخبر به الإمام عليه السلام ، فقد استشهد الإمام أبو الأحرار بأيدي العصابة الأموية المجرمة ، وقد جهدوا على طمس قبر الإمام عليه السلام وإخماد ذكره ، ولما انقرضت دولتهم وتمزّقت أشلاؤهم ظهر مرقد سيّد الشهداء عليه السلام كأعزّ مرقد في دنيا الإسلام ، تهفو إليه القلوب ، وتشدّ إليه الرحال من كلّ فجّ عميق ، فالسعيد الذي يحظى بزيارته ، ويلثم أعتاب مرقده وضريحه.

لقد أصبح مرقد أبي الأحرار رمزاً للكرامة الإنسانية ومناراً مشرقاً لكلّ تضحية تقوم على الشرف والكرامة ، سلام الله عليك يا أبا عبدالله وعلى أبنائك وأصحابك.

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٤.

(٢) مسند الإمام زيد : ٤٧.

إخباره بعدد الجيش الذي جاء لنجدته

ولمّا أرسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة ليستنفر أهلها ، ويستعين بهم في حرب الجمل ، قال عليه السلام لابن عبّاس :

« سَوْفَ يَأْتِي وَلَدِي الْحَسَنُ هٰذَا الْيَوْمَ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافِ فارِسٍ وَراجِلٍ ، وَلَا يَنْقُصُ واحِدٌ وَلَا يَزِيدُ واحِدٌ » .

قال ابن عباس : فلمّا وصل الحسن بالجند لم تكن لي همّة إلّا مسألة الكاتب عن عدد الجند فسألته عن ذلك فقال : عشرة آلاف فارس وراجل لا ينقص واحد ولا يزيد واحد ، فعلمت أنّ ذلك العلم من الأبواب التي علّمه بها رسول الله صلى الله عليه وآله[1] .

---

(١) بحار الأنوار ٤١ : ٣٢٨.

إخباره بشهادة كوكبة من أصحابه

واستشفّ وصي رسول الله ﷺ ومستودع أسراره من وراء الغيب ما يجري على خُلّص أصحابه الذين غذّاهم بمواهبه وحكمته من القتل والتنكيل والاعدام من بعده على يد الطغمة الحاكمة الأموية .

وهؤلاء بعض الشهداء من أصحابه الذين استبيحت دماؤهم لا لذنب اقترفوه وإنّما لولائهم للإمام رمز العدالة الإنسانية ، وهم :

١ ـ عمرو بن الحمق رضي الله عنه :

وهو من أعلام الإسلام ، ومن ألمع شهداء الفضيلة ، استباح الطاغية الفاجر ابن هند دمه ؛ لأنّه من خلّص أصحاب الإمام ، وأمر أن يطاف برأسه من العراق إلى الشام ... وقد أحاط الإمام عليه السلام عمراً بذلك في حديثه التالي فقد قال له :

« أَيْنَ نَزَلْتَ يا عَمْرُو ؟ ».

في قومي .

« لَا تَنْزِلَنَّ فِيهِمْ ».

وقد نهاه عن النزول والاستيطان في قومه لأنّهم لا يحموه إن نزلت به كارثة ، وقد أمره الإمام بالنزول في بني عمرو بن عامر من الأزد لأنّهم لا يسلموه عند الشدّة .

ثمّ التفت إليه بألم وحزن قائلاً :

«إِنَّكَ لَـمَقْتُولٌ بَـعْدِي ، وَإِنَّ رَأْسَكَ لَـمَنْقُولٌ ، وَهُـوَ أَوَّلُ رَأْسٍ يُـنْقَلُ فِـي الْإِسْلَامِ ، وَالْوَيْلُ لِقَاتِلِكَ . . .

أَمَا إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا أَسْلَمُوكَ بِرُمَّتِكَ إِلَّا هٰذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عامِرٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُسْلِمُوكَ وَلَنْ يَخْذُلُوكَ».

ولمّا أفلت دولة العدل والحقّ وآل الحكم إلى ابن هند أوعز إلى شرطته وعملائه بإلقاء القبض عليه ، ولمّا علم عمرو بذلك استولى عليه الذعر والخوف ، فنزل في قومه من بني خزاعة ، فسلّموه إلى الشرطة ، ونفّذ فيه الإعدام ، وحملوا رأسه هدية إلى معاوية بالشام ، وطيف به في البلدان[١] .

فكان أوّل رأس طيف به في الإسلام ، وهو يحمل مشعل النور والكرامة ويهدي الناس للتي هي أقوم .

وأمر الطاغية بحمل الرأس الشريف إلى زوجته آمنة بنت الشريد ، وكانت في سجونه ، وألقت الشرطة رأس زوجها في حجرها فذعرت وانهارت قواها وأخذت دموعها تتبلور على سحنات وجهها قائلة : واحزناه لصغره في دار هوان ، وضيق من ضيمة سلطان ، نفيتموه عنّي طويلاً ، وأهديتموه إليَّ قتيلاً ، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية ، وأنا له اليوم غير ناسية . . . والتفتت إلى الحرسي بشجاعة قائلة :

ارجع به أيّها الرسول إلى معاوية فقل له ولا تطوه دونه ، أيتم الله ولدك ، وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك . . . ، وبادر الشرطي إلى معاوية فأخبره بمقالتها فغضب وورم أنفه ، وأمر بإحضارها في بلاطه ، فأحضرتها جلاوزته فبادرها قائلاً :

أنتِ يا عدوّة الله صاحبة الكلام الذي بلغني ؟

---

(١) الاستيعاب ٢ : ٥١٧.

فأجابته بشجاعة وصلابة غير حافلة بسلطانه قائلة: نعم غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء، إن نفع الاجتهاد وإن الحقّ لمن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك، وإنّ الله بالنقمة لمن ورائك....

والتفت أحد خدمة السلطة إلى معاوية قائلاً:

أقتل هذه يا أمير المؤمنين، فوالله ما كان زوجها أحقّ بالقتل منها.

فسخرت منه وقالت ببطولة نادرة:

تبّاً لك، ويلك بين لحييك كجثمان الضفدع، ثمّ أنت تدعوه إلى قتلي كما قتل زوجي بالأمس... إن تريد إلّا أن تكون جبّاراً في الأرض، وما تريد أن تكون من المصلحين...

وبهر معاوية وقال لها:

لله درّك اخرجي، ثمّ لا أسمع بك في شيء من الشام.

لقد خاف من بقائها في الشام لئلا تبثّ الوعي السياسي بين الشاميّين فقد جهد معاوية على إبقائهم على غفلتهم وجهلهم.

وخرجت المرأة من الشام بعد أن أفحمت معاوية بمنطقها الفيّاض[1].

٢ ـ ميثم التمار رضي الله عنه:

أمّا ميثم التمار فهو من خيار أصحاب الإمام، وقد ملئ إيماناً وصدقاً وإخلاصاً للإمام عليه السلام، وقد عهد إليه الإمام بالكثير من علومه، وأطلعه على بعض الأُمور الغيبية، وكان ميثم يتحدّث عنها، فأنكرها قوم من الكوفيّين، ونسبوه إلى المخرقة[2].

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام ٢: ٣٧٨ ـ ٣٨٢.

(٢) **المخرقة**: وهم الذين يفتعلون الكذب.

كان ميثم عبداً لامرأة من بني أسد اشتراه الإمام منها وأعتقه، وقال له:

«مَا اسْمُكَ ؟ ».

سالم.

وراح الإمام يخبره بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في شأنه قائلاً:

«إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله أَخْبَرَنِي أَنَّ اسْمَكَ الَّذِي سَمّاكَ بِهِ أَبُوكَ فِي الْعَجَمِ مَيْثَم».

وبهر ميثم وقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين فهو والله اسمي !!

« فارْجعْ إِلىٰ اسْمِكَ، وَدَعْ سالِماً فَنَحْنُ نُكَنِّيك بِهِ ».

واتّصل ميثم بالإمام اتّصالاً وثيقاً، فكان من أقرب الناس إليه، وألصقهم به، وأخبره الإمام بما يجري عليه من النكبات والخطوب من بعده قائلاً:

« يا مَيْثَمُ، إِنَّكَ تُؤْخَذُ بَعْدِي وَتُصْلَبُ، فَإِذا كانَ الْيَوْمُ الثَّانِي ابْتَدَرَ مِنْخَرُكَ وَفَمُكَ دماً، حَتّىٰ تَخْضَبُ لِحْيَتُكَ، فَإِذا كانَ الْيَومُ الثَّالِثُ طُعِنْتَ بِحَرْبَةٍ يُقْضىٰ عَلَيْكَ، فانْتَظِرْ ذٰلِكَ.

وَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُصْلَبُ فِيهِ عَلىٰ بابِ دارِ عَمْرُو بْنَ حُرَيْثٍ إِنَّكَ لَعاشِرُ عَشْرَةٍ، أَنْتَ أَقْصَرَهُمْ خَشَبَةً، وَأَقْرَبَهُمْ مِنَ الْمَطْهَرَةِ - وهي الأرض - **وَلَأُرِيَنَّكَ النَّخْلَةَ الَّتِي تُصْلَبُ عَلىٰ جِذْعِها... »**.

وسار ميثم مع الإمام فأراه النخلة التي يصلب عليها، فكان ميثم يأتيها ويصلّي عندها، ويقول: بوركت من نخلة، لك خلقت ولي نبتِّ.. ولم يزل يتعاهدها بعدما أخبره الإمام، وقطعت النخلة وبقي جذعها، فلم يزل ميثم يتعاهدها، وكان يلقى عمرو بن حريث فيقول له: إنّي مجاورك فأحسن جواري، ولم يعلم ابن حريث ماذا يريد ميثم، فكان يقول: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم.

وحجّ ميثم في السنة التي استشهد فيها ، فدخل على أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة فقالت له :

ـ من أنت ؟

ـ عراقي ، وأنا مولى للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

وانبرت أُمّ المؤمنين قائلة :

ـ أنت هيثم ؟

ـ بل أنا ميثم .

وعجبت أُمّ المؤمنين وراحت تقول له :

ـ سبحان الله ! ! والله لربّما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بك عليّاً في جوف الليل . . ! !

وسألها ميثم عن الإمام الحسين عليه السلام فأخبرته أنّه في بستان له فقال لها : اخبريه أنّني أحببت السلام عليه ، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين .

وكان كلامه هذا كلام مودّع آيس من الحياة ، ودعت أُمّ سلمة بطيب فطيّبت به لحيته ، وقال لها ميثم : أما أنّها ـ أي لحيته ـ ستخضّب بالدم . .

ـ من أنبأك بهذا ؟ !

ـ أنبأني سيّدي . . .

وغرقت أُمّ سلمة بالبكاء وراحت تقول :

ليس ـ أي الإمام ـ سيّدك وحدك هو سيّدي وسيّد المسلمين . . .

ثمّ ودّعته ، وانصرف ميثم يجدّ في السير لا يلوي على شيء حتى انتهى إلى الكوفة ، فألقت الشرطة القبض عليه وأدخلته على الطاغية ابن مرجانة ، فانبرى شخص فقال لابن زياد معرّفاً بميثم :

هذا كان من آثر الناس عند أبي تراب ، وطفق ابن زياد قائلاً :

ويحكم هذا الأعجمي ؟ !

ـ نعم .

والتفت الطاغية بغضب وسخرية إلى ميثم قائلاً :

ـ أين ربّك ؟

ـ بالمرصاد .

ـ بلغني اختصاص أبي تراب بك ؟

ـ قد كان ذلك فما تريد ؟

ـ يقال إنّه أخبرك بما ستلقاه ؟

ـ نعم .

ـ ما أخبرك أنّي صانع بك ؟

ـ أخبرني أنّك تصلبني عاشر عشرة أقربهم من المطهرة .

لأخالفنّه .

ويحك كيف تخالفه ؟ إنّما أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ، وجبرائيل أخبر عن الله ، كيف تخالف هؤلاء ؟ أما والله لقد عرفت الموضع الذي أُصلب عليه أين هو من الكوفة ، وأنّي لأوّل خلق الله أُلجم في الإسلام بلجام كما يلجم الفرس . . .

فأمر ابن مرجانة باعتقاله في السجن فأُدخل فيه ، وكان معه في السجن المجاهد الكبير المختار بن عبيدة الثقفي ، فأخبره ميثم بما سمعه من الإمام أمير المؤمنين قائلاً له :

إنّك تفلت من السجن ، وتخرج ثائراً بدم الحسين ، فتقتل هذا الجبّار ، وتطأ

بقدمك هذا على جبهته وخدّيه..

وبقي ميثم مع المختار في السجن، ولم يمض مزيد من الوقت حتى تشفّع في المختار عبدالله بن عمر إلى يزيد في إطلاق سراحه لأنّه كان زوجاً لأُخت المختار، فشفّعه فيه يزيد وكتب إلى ابن زياد بإطلاق سراحه، وكان قد عزم على قتله فأخرجه من السجن، وأمره بالخروج من الكوفة، ثمّ اُخرج ميثم وقال له بعنف:

لأمضين حكم أبي تراب فيك..

فأخذته الجلاوزة وجاؤوا به إلى الخشبة التي عيّنها الإمام ليصلب عليها، فلمّا رآها ميثم تبسّم وخاطبها قائلاً:

لي خُلقت ولي غذيت..

ورفعته الجلاوزة على الخشبة، فاجتمع الناس حوله، فجعل يحدّثهم بفضائل الإمام وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس، ويذكر مخازي ومساوئ بني اُميّة، فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد، فأمر بلجمه.

فكان أوّل شخص اُلجم في الإسلام، فلمّا كان اليوم الثاني فاضت منخراه دماً، وفي اليوم الثالث طعن بحربة فاستشهد صابراً محتسباً.

لقد تحقّق جميع ما أخبر به الإمام عليه السلام في شأنه، رحم الله ميثم يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

٣ ـ رُشيد الهَجري رضي الله عنه:

أمّا رُشيد الهَجري فهو من أفاضل أصحاب الإمام عليه السلام ومن أكثرهم إيماناً ومعرفة به، وكان الإمام يسمّيه «رشيد البلايا»، وقد أحاطه علماً بما يجري عليه من بعده من صنوف التنكيل، وقد روت ابنته قنوة قالت: سمعت أبي يقول:

قال لي أمير المؤمنين:

« يا رَشِيدُ ، كَيْفَ صَبْرُكَ إِذا أَرْسَلَ إِلَيْكَ دَعِيُّ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَلِسانَكَ » .

فقال له أبي : يا أمير المؤمنين ، آخر ذلك إلى الجنّة ؟

« يا رَشِيدُ ، أَنْتَ مَعِي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ » .

وأخبره الإمام مرّة أُخرى بشهادته حينما خرج معه إلى بستان فاستظلّا تحت نخلة ، فقام صاحب البستان إلى النخلة فالتقط منها رطباً وقدّمه لهما ، فقال رشيد : « ما أطيب هذا الرطب ؟

ـ **« أَمَا إِنَّكَ سَتُصْلَبُ عَلىٰ جِذْعِها »** .

فكان رشيد يتعاهدها ويتعبّد تحتها ، واجتاز عليها مرّة فرأى سعفها قد قطع فشعر بدنو أجله ، ومرّ عليها مرّة أُخرى فرأى نصفها قد جعل زنوقاً يستسقى عليه فأيقن بدنو أجله[(١)] . ولم يمض قليل من الوقت حتى أرسل خلفه زياد بن أبيه ، فلمّا مثل عنده قال له :

ـ ما قال لك خليلك ـ يعني الإمام ـ إنّا فاعلون بك ؟

ـ تقطعون يدي ورجلي وتصلبوني .

ـ أما والله لأكذّبن حديثه ...

وأمر الطاغية بإطلاق سراحه ، فلمّا خرج ندم على ذلك وأمر بإرجاعه إليه ، فلمّا حضر عنده قال له :

لا نجد لك شيئاً أصلح ممّا قال صاحبك ، إنّك لا تزال تبغي لنا سوء إن بقيت ... اقطعوا يديه ورجليه ...

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام ٢ : ٣٢٧.

وبادرت الجلاوزة إلى قطع يديه ورجليه وهو يتكلّم ، فغاظ ذلك زياداً فأمر الجلاوزة بصلبه خنقاً ، فقال لهم رشيد :

بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه ـ أراد بذلك قطع لسانه ـ ، فأمر زياد بقطع لسانه .

فقال لهم رشيد : نفّسوا عنّي حتى أتكلّم كلمة واحدة فأمهلوه .

فقال : وهذا تصديق خبر أمير المؤمنين عليه‌السلام أخبرني بقطع لساني[1] .

ففي ذمّة الله ما عاناه هذا العبد الصالح الذي هو من خيار المؤمنين من الظلم والاعتداء من قبل هؤلاء الفسقة المجرمين .

٤ ـ جويرية بن مسهر العبدي رضي‌الله‌عنه :

أمّا جويرية بن مسهر فهو من أفذاذ المؤمنين ، وعلم من أعلام الإسلام ، أخلص للإمام وتولّاه ، وتغذّى ببعض علومه ومعارفه ، دخل على الإمام فكان مضطجعاً فقال له جويرية :

أيّها النائم ، استيقظ فلتضربنّ على رأسك تخضب منها لحيتك ، فتبسّم الإمام وأخبره بما يقاسيه من بعده من ولاة الجور قائلاً :

« أُحَدِّثُكَ يا جُوَيْرِيةُ بِحَدِيثِكَ ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُعْتَلَنَّ[2] إِلَى الْعُتُلِّ الزَّنِيمِ ، وَلَيَقْطَعَنَّ يَدَكَ وَرِجْلَكَ ، وَلَيَصْلِبُنَّكَ تَحْتَ جِذْعِ كافِرٍ[3] »[4] .

---

(١) سفينة البحار ٢ : ٣٢٧ . بحار الأنوار ٤١ : ١٢٢ .

(٢) **تعتلن** : أي تجذبن .

(٣) **الجذع الكافر** : القصير .

(٤) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٩ .

ولم تمضِ الأيام حتى استدعاه زياد الأخ اللّاشرعي لمعاوية فأمر بقطع يده ورجله ، وصلبه على جذع قصير[١] .

وقد ألّف هشام بن محمّد السائب كتاباً في فاجعته وفاجعة اخوانه الشهداء رشيد الهجري وميثم التمّار[٢] .

٥ ـ مزرع رضي الله عنه :

أمّا مزرع فهو من خيار أصحاب الإمام عليه السلام ، وقد أخبره الإمام عن شهادته ، وأنّه يقتل ويصلب بين شرفتين من شرف المسجد .

وفي أيام الحكم الأسود من حكومة معاوية ألقى القبض عليه زياد بن أبيه فقتله وصلبه بين شرفتين من شرف المسجد[٣] .

٦ ـ حجر بن عدي رضي الله عنه :

أمّا حجر بن عدي فهو علم من أعلام الإسلام ، ومن كبار صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكان صديقاً حميماً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد أخبره الإمام عن شهادته من بعده وذلك حينما عمّمه ابن ملجم بالسيف ، فقد قال له بعطف ورفق :

« **كَيْفَ بِكَ إِذا دُعِيتَ إِلَى الْبَرائَةِ مِنِّي فَمَا عَساكَ أَنْ تَقُولَ ؟** » ، فأجابه حجر بإيمان وصدق :

والله يا أمير المؤمنين لو قطّعت بالسيف إرباً إرباً ، وأُضرمت النار لي وأُلقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك .

فأجابه الإمام :

---

(١) ـ (٣) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢ : ٢٩٤ .

«وُفِّقْتَ لِكُلِّ خَيْرٍ يا حِجْرُ، جَزَاكَ اللهُ خَيْراً عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ»[١].

ولمّا أفلت دولة الحقّ، وقامت دولة الباطل والجور دولة معاوية الذي أقام حكمه على سبّ الإمام وانتقاصه وجعل ذلك فرضاً واجباً على ولاته وعمّاله يشيعونه في بلاد المسلمين، ولمّا ولي المغيرة بن شعبة على الكوفة خطب الناس وتعرّض في خطابه إلى سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فانبرى إليه حجر كالأسد منكراً عليه قائلاً:

كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله، وأنا أشهد أنّ من تذمّون وتعيّرون لأحق بالفضل، ومن تزكّون أوْلى بالذمّ.

ووثب قوم من أصحاب حجر فقالوا بمثل مقالته، فالتفت المغيرة إلى حجر قائلاً: يا حجر، قد رمى بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك. يا حجر، اتّق غضب السلطان، اتّق غضبه وسطوته، فإنّ غضبة السلطان ممّا تهلك أمثالك كثيراً...[٢].

ولم يزل حجر متحمّساً في ولائه للإمام أمير المؤمنين غير حافل بالأزمات والخطوب التي يعانيها من ولاة معاوية، وقد قيل للمغيرة: اعدمه، فامتنع من ذلك، ولم تزل بطانته تلحّ عليه في قتله فقال لهم:

- إنّي قد قتلته..

- كيف ذاك؟

سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة..

وولي من بعد المغيرة زياد بن أبيه الكوفة فجعل حجر يواصل نشاطه ضدّ

---

(١) بحار الأنوار ٢٤: ٢٩٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ١٤٢.

السلطة ، وقد خطب زياد يوم الجمعة فأطال في خطابه حتى ضاق وقت الصلاة ، فانبرى إليه حجر منكراً عليه تأخير الفريضة قائلاً :

ـ الصلاة .

ـ فلم يعن الطاغية به ، ومضى في خطابه ، فقام حجر رافعاً صوته :

ـ الصلاة .

ولم يحفل الطاغية بكلام حجر فاسترسل في خطابه فخشي حجر فوت الصلاة فضرب يده كفّ من الحصى ورمى به صوب الطاغية ، وثار الناس معه ، فلمّا رأى ذلك زياد ورم أنفه وانتفخت أوداجه ، وقال :

ما أنا بشيء إن لم أمنع ساحة الكوفة من حجر وأدعه نكالاً من بعده ، ويل أُمّك يا حجر ، سقط العشاء على سرحان ثمّ تمثّل :

أبلغ نصيحة إن راعى أبلها سقط العشاء به على سرحان

وأرسل زياد جماعة من وجوه الكوفة فأمرهم أن يردوا حجر عن خطته ، فامتنع حجر وأبى إلّا الإنكار على السياسة الأموية ، وأخيراً أمر زياد شرطته أن يأتوه به ، فانطلقت الشرطة لإلقاء القبض عليه ، إلّا أنّها لم تستطع ذلك ، فقد التفّ حوله جمهور من المؤمنين فمنعوا الشرطة من القبض عليه ، وكان قيس بن فهدان الكندي يلهب نار الثورة في النفوس ، ويدعو إلى حماية حجر وأصحابه فكان يقول :

يا قوم حجر دافعوا وصاولوا وعن أخيكم ساعة فقاتلوا

لا يلقين منكم لحجر خاذل أليس فيكم رامح ونابل

وفارس مستلئم وراجل وضارب السيف لا يزايل

وتحصّن حجر وأصحابه فلم يتمكّن منهم زياد ، فجمع الزعماء وأبناءالبيوت ، فقال لهم :

يا أهل الكوفة ، أتشجون بيد وتأسون بأُخرى ، أبدانكم معي وأهواءكم مع حجر لهجاجة ، الأحمق المذبوب أنتم معي ، واخوانكم وأبناؤكم وعشائركم مع حجر ، هذا والله من دحسكم [١] وغشّكم ، والله لتظهرون لي براءتكم أو لآتينّكم بقوم أُقيم بهم أودكم وصعركم [٢] .

فانبروا بخنوع وعبودية يظهرون الطاعة لهذا الطاغية قائلين :

معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلّا طاعتك ، وطاعة أمير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ وكلّ ما ظنّنا أنّ فيه رضاك ، وما يستبين به طاعتنا وخلافنا لحجر فمرنا به .

وأنس بكلام هؤلاء العبيد فأمرهم بما يلي :

ليقيم كلّ امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر فليدع كلّ رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا عنه كلّ من استطعتم أن تقيموه . .

وقام هؤلاء العبيد بإفساد أمر حجر ، وخذلان أتباعه ، ثمّ أمر زياد مدير شرطته شداد بن الهيثم بإلقاء القبض على حجر وأصحابه ، وضمّ إليه الأثيم محمّد بن الأشعث الكندي ، وقال له :

يا أبا الشعثاء ، أما والله لتأتييني بحجر أو لا أدع لك نخلة إلّا قطعتها ، ولا داراً إلّا هدمتها ، ثمّ لا تسلم حتى أقطعّك إرباً إرباً . .

فقال له : امهلني ثلاثاً حتى أطلبه ، فقال له : أمهلتك ، فإن جئت به وإلّا عدّ نفسك من الهلكى .

---

(١) الدحس : الإفساد .

(٢) الصعر : الميل إلى أحد الشقّين .

وقام ابن الأشعث مع مدير الشرطة فتتبّعوا حجراً وأصحابه ، وبعد مصادمات عنيفة جرت بين الفريقين استطاعة جلاوزة زياد القبض عليه وعلى أصحابه ، فجيئ بهم إلى زياد فأمر بإيداعهم في السجن .

وطلب زياد من عملاء السلطة أن يشهدوا على حجر وأصحابه ، فشهد جمع منهم أنّهم تولّوا عليّاً ، وعابوا عثمان ، ونالوا من معاوية ، فلم يرض زياد بهذه الشهادة ، وقال : إنّها غير قاطعة ، وانبرى أبو بردة بن أبي موسى الأشعري فكتب شهادة ترضى السلطة هذه نصّها :

هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري لله ربّ العالمين شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وكفر بالله كفرة صلعاء ...

رضي زياد بن أبيه بهذه الشهادة التي كتبها ابن أبي الأشعري الذي لم يفقه هو وأبوه شيئاً من الإسلام .

وشهد بهذه الشهادة سبعون رجلاً كلّهم من المنحرفين عن الإسلام ، وعملاء السلطة ، ورفع زياد هذه الوثيقة إلى أخيه اللّاشرعي معاوية ، فأمر بحملهم إلى الشام موثّقين بالحديد ، فحملوا ليلاً ووقعت النياحة في دار حجر ، وصعدت ابنته ـ ولا عقب له غيرها ـ فوق سطح الدار وألقت نظرة على القافلة التي تسير إلى الموت ، وهي تبكي أمرّ البكاء وتناجي القمر وتبثّه لوعتها وأحزانها وقد صاغت من محنتها وبلواها أبياتاً من الشعر قائلة :

ترفّع أيّها القمر المنير   لعلّك أن ترى حجراً يسيرُ
يسير إلى معاوية بن حرب   ليقتله كذا زعم الأميرُ
ويصلبه على بابي دمشق   وتأكل من محاسنه الطيورُ
تجبّرت الجبابرُ بعد حجر   وطاب لها الخورنق والسديرُ

ألا يا حجر حجر بن عَـديّ ... تـلقتك السـلامة والسـرورُ

أخاف عليك ما أردي عديّاً ... وشيخاً في دمشـق له زئـيرُ

ألا يا ليت حجراً مات مـوتاً ... ولم يـنحر كـما نـحر البـعيرُ

فإن تهلك فكلّ عميد قـومٍ ... إلى هلك من الدنيا يصيرُ[١]

وانتهت القافلة التي تقلّ خيرة الصحابة إلى مرج عذراء ، فلمّا عرف حجر أنّه بهذه القرية رفع صوته قائلاً : « والله إنّي لأوّل مسلم نبحته كلابها ، وأوّل مسلم كـبّر بواديها »[٢].

وتقدّم البريد بأخبارهم إلى الطاغية ابن هند ففرح لأنّه أخذ ثأره مـن أنـصار رسول الله ﷺ فأرسل إليهم رجلاً أعور فأمره بإعدامهم إن لم يتبرّءوا من وصي رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه ، فلمّا رآه بعضهم قال متشائماً : إن صدق الزجر[٣] فإنّه سيقتل نصفنا ، وينجو الباقون ، فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : أما ترون الرجل مصاب بإحدى عينيه .

وقدّم الجلاد الحقير فقال لحجر : إنّ أمـير المـؤمنين أمـرني بـقتلك يـا رأس الضلال ، ومعدن الكفر والطغيان ، والمـتولّي لأبـي تـراب ، وقـتل أصـحابك إلّا أن ترجعون عن كفركم ، وتلعنوا صاحبكم وتتبرّؤون منه . فانبرى إليه حجر كالأسد فقال مستهيناً بالموت وساخراً من الحياة :

إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعوننا إليه ، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار[٤].

---

(١) مروج الذهب ٢ : ٣٠٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٦٩٢.

(٣) الزجر : الحدس.

(٤) مروج الذهب ٣ : ١٣.

وحفرت لهم القبور، وطلب حجر أن يسمحوا له بالوضوء والصلاة فسمحوا له بذلك، فتوضّأ وصلّى صلاة وأطال في سجودها فلمّا أتمّ صلاته قال للقوم:

والله ما صلّيت صلاة أخفّ منها، ولولا أن تظنّوا فيَّ جزعاً من الموت لاستكثرت منها...

ثمّ أخذ يناجي ربّه ويدعو على عدوّه الماكر الخبيث ابن هند قائلاً:

اللّهمّ إنّا نستعيذك على اُمّتنا فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا، وأنّ أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها فإنّي لأوّل فارس من المسلمين هلك في واديها، وأوّل رجل من المسلمين نبحته كلابها.

وانطلق الخبيث الأعور هدبة بن فياض القضاعي شاهراً سيفه، فلمّا رآه حجر ارتعدت أوصاله، وقيل له: زعمت أنّك لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك.

فأجاب حجر:

ما لي لا أجزع وأرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفاً مشهوراً، وإنّي والله إن جزعت من القتل لا أقول ما يسخط الربّ[١].

وكان آخر ما نطق به:

لا تطلقوا عنّي حديداً، ولا تغسلوا عنّي دماً، فإنّي ملاق معاوية على الجادة[٢].

ثمّ نفّذ فيه حكم الإعدام، وسقط على الأرض جثة هامدة ففي ذمّة الله ما لاقاه هذا العملاق العظيم من التنكيل والقتل لا ذنب اقترفه، وإنّما لولائه أخي رسول

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٦٩٢.

(٢) الاستيعاب ١: ٣٣١.

الله ووصيّه وباب مدينة علمه ، وقد صدق حجر في ولائه ومحبّته وإخلاصه لإمامه فقد آثر الموت ، واستهان بالحياة في سبيله فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيراً ، فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً .

٧ ـ قنبر رضي الله عنه :

كان قنبر غلاماً للإمام عليه السلام ، وكان يحبّ الإمام حبّاً كثيراً ، فإذا خرج الإمام خرج على أثره بالسيف خوفاً عليه ، وخرج الإمام ذات ليلة فخرج في أثره ، فلمّا رآه قال له : « **يا قَنْبَرُ ، ما لَكَ ؟** ».

جئت أمشي خلفك فإنّ الناس كما تراهم ، فخفت عليك ، فقال له الإمام بلطف : « **أَمِنْ أَهْلِ السَّماءِ تَحْرُسُنِي أَمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟** ».

ـ بل من أهل الأرض .

« **إِنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَطِيعُونَ بِي شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ السَّماءِ ، فارْجِعْ** »(١) .

وبعد ما آل المآل إلى الحجّاج فألقى عليه القبض ، فلمّا مثل أمامه قال له :

ـ ما الذي كنت تلي من علي بن أبي طالب ؟

ـ كنت أوضّيه ...

ـ ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه ؟

كان يتلو هذه الآية : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾(٢) .

---

(١) التوحيد للصدوق : ٣٥٠ . بحار الأنوار ٤٢ : ١٢٢ .

(٢) الأنعام : ٤٤ ـ ٤٥ .

فصاح به الحجّاج : أظنّه كان يتأوّلها علينا ؟

ـ نعم ؟

ـ ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك ؟ (١)

ـ إذن اُسعد وتُشقى (٢) ، وفي رواية اُخرى أمر بإلقاء القبض عليه ، فلمّا مثل عنده قال له :

ـ أنت قنبر ؟

ـ نعم .

ـ مولى عليّ بن أبي طالب ؟

ـ الله مولاي وأمير المؤمنين ولي نعمتي . . .

ـ ابرأ من دينه . .

ـ إذا فعلت تدلّيني على دين أفضل من دينه .

ـ إنّي قاتلك فاختر أي قتلة أحبُّ إليك .

ـ صيرت ذاك إليك .

ـ لِمَ ؟

ـ لأنّك لا تقتلني قتلة إلّا قتلك الله مثلها ، ولقد أخبرني أمير المؤمنين أنّ منيّتي تكون ذبحاً ظلماً بدون حقّ .

وأمر الطاغية الرجس بذبحه فذبح كما تذبح الشاة ، وقد لاقى ربّه شهيداً محتسباً قد تلفّع بالشرف والكرامة من أجل ولائه للإمام عليه السلام .

---

(١) **العلاوة** : أعلى الرأس .

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ١٣٣ .

٨ ـ كميل بن زياد رضي الله عنه :

ومن ألمع أصحاب الإمام عليه السلام كميل بن زياد النخعي الذي احتلّ مكانة مرموقة عند الإمام ، فكان خليله وحامل أسراره ـ كما يقول علماء الرجال ـ وكان لا يبارحه ، ومن ألزمهم له ، وكثيراً ما أخبره بمغيّباته عليه السلام .

قال كميل : خرجنا مرّة من جامع الكوفة بعدما ذهب من الليل ثلثه فسمعنا في طريقنا رجل يتلو القرآن : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ** ﴾ بصورة شجيّة ويبكي فاستحسنت ذلك في داخلي وإذا بالإمام قد أشاح بوجهه نحوي وقال : « **لَا يَغُرَّنَّكَ الرَّجُلُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَسَأُنَبِّؤُكَ** » فعجبت من معرفة الإمام ما فيَّ ، ومن حال الرجل مع تلك الصورة . . ! ! وبعد مدّة عند انتهاء معركة النهروان كنت بجانب الإمام وسيفه يقطر دماً ورؤوس القتلى متناثرة إذ بالإمام يضع سيفه على أحد الرؤوس وقال لي : ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ** ﴾ ! !

كما أحاطه الإمام عليه السلام علماً بشهادته ، ولمّا ولي المجرم السفّاك الحجّاج حرم على قوم كميل العطاء حتى يأتوه به ، فقال لهم كميل : أنا شيخ كبير ولا ينبغي أن أحرمكم العطاء ، وبادر فسلّم نفسه للطاغية ، فقال له بعنف : قد كنت أحبّ أن أجد عليكم سبيلاً ، فقال له كميل : لا تصرف عنّي أنيابك فما بقي من عمري إلّا اليسير فاقض ما أنت قاض ، ولقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّك قاتلي ، فأمر به الخبيث الدنس بضرب عنقه ، ونفّذ فيه الإعدام[١] .

هؤلاء بعض عيون أصحابه الذين أخبرهم الإمام بشهادتهم على أيدي شرار الخلق وأرجاسهم .

---

(١) كميل بن زياد النخعي ـ الهاشمي الخطيب : ٩٠. بحار الأنوار ٤٢ : ١٤٨ .

إخباره عن شهادته

من المغيّبات التي أخبر الإمام عنها أنّه أخبر في كثير من المناسبات أنّه لا يموت حتف أنفه وإنّما ينال الشهادة على يد أشرّ خلق الله تعالى ، وكان من بين ما أخبر به :

١ ـ روى روح بن اُميّة الدؤلي قال : مرض عليّ بن أبي طالب مرضاً شديداً حتى خفنا عليه ، ولمّا أبل من مرضه أسرعنا إليه فقلنا له :

هنيئاً لك يا أبا الحسن ، الحمد لله الذي عافاك ، لقد خفنا عليك ؟

فأجابهم الإمام غير حافل بما ألمّ به من المرض ، وأنّه لا يخشاه قائلاً :

« **لَمْ أَخَفْ عَلىٰ نَفسِي ، أَخْبَرَنِي الصَّادِقُ الْمُصَدَّقُ** ـ يعني رسول الله ـ **أَنِّي لَا أَمُوتُ حَتَّى أُضْرَبَ عَلىٰ هٰذا** ـ وأشار إلى مقدّم رأسه الأيسر ـ **فَتُخْضَبُ هٰذِهِ مِنْهُ** ـ وأومأ إلى لحيته وهامته وقال : ـ **يَقْتُلُكَ أَشْقَى هٰذِهِ الْاُمَّةِ ، كَما عَقَرَ ناقَةَ اللهِ ، أَشْقىٰ بَنِي فُلانٍ مِنْ ثَمُودَ** »(١).

٢ ـ روى عبدالله بن سبع قال : خطبنا علي بن أبي طالب فقال :

« **وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَتُخْضَبَنَّ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ** » ـ يعني لحيته من دم رأسه ـ.

---

(١) المحن : ٩٦. اُسد الغابة ٤ : ٣٤.

فقال رجل : والله لا يقول ذلك أحد إلّا ابرْنا عترته ، فقال عليه السلام :

« اذكُرِ اللهَ ، وَأَنْشُدُ أَنْ يُقْتَلَ مِنِّي إِلَّا قاتِلِي »[1].

٣ ـ روى أبو الطفيل قال : لمّا دعا عليّ الناس إلى البيعة أتاه عبدالرحمن بن ملجم المرادي مرّتين أو ثلاثاً ، ثمّ قال : « **أَيْنَ أَشْقاها ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخْضَبَنَّ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ** » ، أي لحيته من دم رأسه[2].

٤ ـ عن ابن الطفيل قال : شهدت جنازة أبي بكر يوم مات ، وشهدت عمر حين بويع ، وعلي عليه السلام جالس ناحية إذ أقبل غلام يهودي عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون حتى قام على رأس عمر .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم هذه الأُمّة بكتابهم وأمر نبيّهم .

قال : فطأطأ عمر رأسه .

فقال له الغلام : إيّاك أعني ، وأعاد عليه القول .

فقال له عمر : ما ذاك ؟

قال : إنّي جئتك مرتاداً لنفسي ، شاكّاً في ديني .

فقال : دونك هذا الشاب .

قال : ومن هذا الشاب ؟

قال : عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله وهو أبوالحسن والحسين وزوج فاطمة بنت رسول الله ، فأقبل اليهودي على عليّ بن أبي طالب فقال :

أكذلك أنت ؟

قال : « **نَعَمْ** ».

---

(١) أُسد الغابة ٤ : ٣٤.

(٢) المحن : ٩٦.

قال : فإنّي أُريد أن أسألك عن ثلاثة وثلاثة وواحدة ـ إلى أن قال ـ : فأخبرني عن الواحدة ، فأخبرني عن وصيّ محمّد كم يعيش من بعده ؟ وهل يموت أو يقتل ؟

قال : « **يا هارُونِيُّ ، يَعِيشُ بَعْدَهُ ثَلاثِينَ سَنَةً لا يَزِيدُ يَوْماً وَلا يَنْقُصُ يَوْماً ، ثُمَّ يُضْرَبُ ضَرْبَةً هاهنا ـ يعني قرنه ـ فَتُخْضَبُ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ** » .

قال : فصاح الهاروني . . . وهو يقول: أشهدأن لا إله إلّا اللهوحده لاشريك له(١).

٥ ـ أعلن الإمام عن شهادته وشهادة سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين ، قال :

« **أَمَا وَاللهِ لَأُقْتَلَنَّ أَنا وَإِبْنايَ هٰذانِ** ـ وأشار إلى الحسن والحسين ـ **وَلَيَبْعَثَنَّ اللهُ رَجُلاً مِنْ وُلدِي آخِرَ الزَّمانِ يُطالِبُ بِدِمائِنا ، وَلَيَغِيبَنَّ عَنْهُمْ ، تَمَيُّزاً لِأَهْلِ الضَّلالَةِ حَتّىٰ يَقُولَ الْجاهِلُ : ما لِلّهِ فِي آلِ مُحَمَّدٍ حاجَةٌ** »(٢) .

٦ ـ يقول محمّد بن سيرين : « إن كان أحد يعلم متى أجله ، فإنّ عليّ بن أبي طالب كان يعلم متى أجله ، قال العباس بن ميمون : فحدّثت به ابن عائشة فقال : أنت تعلم يابن أخي أنّه قاتل يوم الجمل فلم يتكلّم ، ويوم صفّين فلم يتكلّم ، ولقد لقي ليلة الهرير ما لقي فلم يتخوّف ، ولم ينطق بشيء ، فلمّا رجع إلى الكوفة بعد قتله الخوارج قال :

أَلا يَنْبَعِثُ أَشْقاها ، لَيُخْضِبَنَّ هٰذِهِ مِنْ هٰذِهِ »(٣) .

وتحقّق ما أخبر به الإمام ، فقد استشهد في بيت الله الحرام في شهر رمضان ، وذكر الله بين شفتيه ، فقد اغتاله عبدالرحمن بن ملجم المرادي أشقى الأوّلين

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٣٥٤.

(٢) بحار الأنوار ٥١ : ١١٢.

(٣) ذيل الأمالي والنوادر ٣ : ١٧٠.

والآخرين ، واستشهد ولده الزكي ريحانة رسول الله ﷺ ، فقد اغتاله بالسمّ ابن هند ، واستشهد ولده الإمام الحسين عليه السلام بصورة مروعة وجرت عليه من المآسي والأهوال ما لا يوصف .

هذه بعض الأحاديث التي أعلن الإمام فيها بشهادته ، وأثرت عنه بهذا المضمون كوكبة أُخرى من الأحاديث ، منها :

ما يجري على الحجر الأسود

في خطبة له عليه السلام قال ـ وهو يشير إلى السارية التي يستند إليها في مسجد الكوفة ـ:

«كَأَنِّي بِالْحَجَرِ الْأَسْودِ مَنْصُوباً هاهنا، وَيْحَهُمْ! إِنَّ فَضِيلَتَهُ لَيْسَتْ فِي نَفْسِهِ، بَلْ فِي مَوْضِعِهِ وَأُسُسِهِ، يَمْكُثُ هاهنا بُرْهَةً ثُمَّ هاهُنا بُرَهَةً ـ وأشار إلى البحرين ـ ثُمَّ يَعُودُ إِلىٰ مَأْواهُ وَأُمِّ مَثْواهُ».

قال ابن أبي الحديد: ووقع الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام[1].

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١٠: ١٤.

إخباره عن شهداء فخّ

أخبر الإمام عليه السلام عن السادة العلويّين الذين استشهدوا في واقعة فخّ دفاعاً عن حقّ المظلومين والمضطهدين ، وكانت شهادتهم مروعة كشهادة سيّدهم أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام ، فقد اقترف الطاغية الدنس الهادي العباسي معهم من الجرائم ما تصدّع من هولها الجبال ، وقد قال الإمام عليه السلام في عظيم شأنهم :

«هُم خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ»[١] .

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ٧: ٨٣.

إخباره عن شهادة ذي النفس الزكية

من المغيّبات التي أخبر عنها الإمام عليه السلام أنّه أخبر عن شهادة العلوي الثائر العظيم ذي النفس الزكيّة، وأنّه يستشهد بالمدينة عند أحجار الزيت[١]، فقد استشهد هذا العلوي على يد السفّاك المنصور الدوانيقيّ[٢].

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٧: ٢١٧.

(٢) عرضنا بصورة موضوعية عن كيفيّة شهادته في كتابنا: حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

إخباره عن شهادة إبراهيم

أخبر الإمام عليه السلام عن شهادة العلوي المجاهد العظيم إبراهيم بن عبدالله بن الحسن الذي أراد هو وأخوه أن يقيما حكم القرآن ، وينقذا المسلمين من الطغمة العباسية .. فقد ثارا على أبي جعفر المنصور الذي أغرق البلاد بالظلم والجور ونهب ثروات المسلمين .

قال عليه السلام في شأنه :

« **يُقْتَلُ بَعْدَ أَنْ يَظْهَرَ ، وَيُقْهَرُ بَعْدَ أَنْ يُقْهَرُ ، يأْتِيهِ سَهْمُ غَرْبٍ** ـ أي لا يعرف راميه ـ **تَكُونُ فِيهِ مَنِيَّتُهُ ، فَيَا بُؤْساً لِلْرامِي ، شُلَّتْ يَداهُ وَوَهَن عَضُدُهُ** »(١) .

ونعرض ـ بإيجاز ـ إلى قصّة هذا العلوي المجاهد الذي ثار على أقذر حاكم عرفه التاريخ وهو الدوانيقي ، لقد أعلن إبراهيم ثورته الخالدة على الدوانيقي بعد مقتل أخيه محمّد ، وقد رثاه وهو على المنبر بقوله :

سأُبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإنّ بهما ما يدرك الطالب الوترا

وإنّا أُناس لا تفيض دموعنا ... على هالك منّا ولو قصم الظهرا

ولست كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصرها من ماء مقلته عصرا

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٧ : ٤٨ .

ولكـــن أشـــفي فـــؤادي بـــغارة ألهب في قطري كتائبها جمرا[1]

وزحف إبراهيم بجيوشه صوب الكوفة لاحتلالها ، وكانت مقرّاً للسفّاك المنصور ، فانهزم جيش الطاغية شرّ هزيمة وجعل يقول لوزيره الربيع متعرّضاً بما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام من استيلاء العبّاسيّين على الحكم قائلاً :

أين قول صادقهم ؟ وكيف لم ينلها أبناؤنا ؟ فأين امارة الصبيان ؟

وتحقّق ما تنبأ به الإمام الصادق عليه السلام ، وما أخبر به جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قبل ، فقد كرّت جيوش المنصور بعد هزيمتها بسبب نهر لقيها فلم تقدر على اجتيازه ، فعادوا بأجمعهم ، وكان أصحاب إبراهيم قد مخروا الماء ليكون قتالهم من وجه واحد ، فلما انهزموا منعهم الماء من الفرار ، وثبت إبراهيم في نفر من أصحابه فقالتهم حميد بن قحطبة ، وجاء سهم غادر فأصاب حلق إبراهيم فقضى عليه ، وقال لأصحابه : أنزلوني ، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول :

« وكان أمر الله قدراً مقدوراً » ، أردنا أمراً وأراد الله غيره[2] ، ثمّ لفظ أنفاسه الأخيرة . وانطوت بذلك أروع صفحة من صفحات الجهاد الإسلامي المقدّس ، فقد آلت الخلافة إلى غادر ماكر بخيل ، فإنّا لله ولا حول ولا قوّة إلّا به .

---

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ١ : ٤٠٦ .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ١ : ٤٠٨ .

تبشيره بالإمام المهدي عليه السلام

وتواترت الأخبار عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بظهور المصلح الأعظم قائم آل محمّد صلوات الله عليه الذي يقيم اعوجاج الدين، ويصلح ما افسد من أُمور الدنيا، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. وهذه الطائفة من الأخبار التي أثرت عنه في حفيده المنتظر:

١ ـ قال الإمام عليه السلام لولده سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام:

«التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِكَ يا حُسَيْنُ هُو الْقائِمُ بِالْحَقِّ، الْمُظْهِرُ لِلْدِّينِ، الْباسِطُ لِلْعَدْلِ...».

وانبرى الإمام الحسين قائلاً:

«إِنَّ ذٰلِكَ لَكائِنٌ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟».

«إِيْ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالنُّبُوَّةِ، وَاصْطَفاهُ عَلىٰ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ، وَلٰكِنْ بَعْدَ غَيْبَةٍ وَحِيْرَةٍ، لَا يَثْبُتُ فِيهَا عَلىٰ دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ، الْمُباشِرُونَ لِرُوحِ الْيَقِينِ الَّذِينَ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَهُمْ بِوِلايَتِنا، وَكُتِبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمانُ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ...»[١].

حكى هذا الحديث حتميّة خروج المصلح الأعظم وأنّ خروجه يكون بعد

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ١١٠.

غيبة وحيرة في نفوس الناس ، ولا يثبت على الإيمان به إلّا المخلصون في دينهم .

٢ ـ روى أبو وائل قال : نظر عليّ عليه السلام إلى الحسين عليه السلام فقال :

«إِنَّ ابْنِي هٰذا سَيِّدٌ كَما سَمّاهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ يَخْرُجُ عَلىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النّاسِ ، وَإِماتَةِ الْحَقِّ ، وَإِظْهارِ الْجَوْرِ ، وَيَفْرَحُ لِخُرُوجِهِ أَهْلُ السَّماءِ وَسُكّانُها ، وَهُوَ رَجُلٌ أَجْلَى الْجَبِينِ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، ضَخْمُ الْبَطْنِ ، أَذْيَلُ الْفَخِذَيْنِ ، بِخَدِّهِ الْأَيْمَنِ شامَةٌ ، أَبْلَجُ الثَّنايا ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلاً كَما مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»(١) .

حكى هذا الحديث ملامح الإمام المنتظر عليه السلام ، وامارات ظهوره وأنّه إذا ظهر يقيم الحقّ بجميع رحابه ومفاهيمه .

٣ ـ خطب الإمام عليه السلام خطبة جليلة كان من بنودها التعرّض إلى قائم آل محمّد عليه السلام كان منها :

«وَلَيَكُونَنَّ مَنْ يَخْلُفُنِي فِي أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ يَأْمُرُ بِأَمْرِ اللهِ ، قَوِيٌّ يَحْكُمُ بِحُكْمِ اللهِ ، وَذٰلِكَ بَعْدَ زَمانٍ مُكْلِحٍ مُفْصِحٍ ، يَشْتَدُّ فِيهِ الْبَلَاءُ ، وَيَنْقَطِعُ فِيهِ الرَّجاءُ ، وَيُقْبَلُ فِيهِ الرِّشاءُ»(٢) .

أشار الإمام عليه السلام إلى وقت خروج المصلح الأعظم وأنّه في وقت يغرق الناس بالبلاء والفتن ، وإذا خرج سلام الله عليه فإنّه يبنى حكمه على الحقّ المحض والعدل الخالص .

٤ ـ روى الأصبغ بن نباتة أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال :

«الْمَهْدِيُّ مِنّا فِي آخِرِ الزَّمانِ ، لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ مَهْدِيٌّ

---

(١) بحار الأنوار ٥١ : ١١٠ .

(٢) عقد الدرر : ١٨٢ ، الباب الثالث ـ الإمام المهدي .

يُنتَظَرُ غَيْرَهُ»[١].

إنّ قائم آل محمّد من دوحة النبوّة والإمامة ، وليس له شبيه يماثله في جميع شعوب العالم وأُمم الأرض ، وهو المنتظر لإقامة الحقّ ، والقضاء على المناهج الفاسدة التي لا بصيص فيها من نور العدل .

٥ ـ قال عليه السلام :

« سَيأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ اللهُ وَيُحِبُّونَهُ ، وَيَمْلِكُ مِنْ بَيْنِهِمْ غَرِيبُ وَهُوَ الْمَهْدِيُّ ، فَيَمْلِكُ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ بِأَمانٍ ، وَيَصْفُو لَهُ الزَّمانُ ، وَيُسْمَعُ كَلَامُهُ وَيُطِيعُهُ الشُّيُوخُ وَالْفِتْيانُ ، وَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلاً كَما مُلِئَتْ جَوْراً »[٢].

حكى هذا الحديث عن سعة ملك الإمام عليه السلام ، وإذعان الناس لحكمه ، وأنّه يشيع فيهم الأمن والرخاء والعدل .

٦ ـ روى الأصبغ بن نباتة ، قال : أتيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته مفكّراً ينكت الأرض ، فقلت له :

يا أمير المؤمنين ، ما لي أراك مفكّراً تنك في الأرض أرغبة فيها ؟

فأجابه الإمام :

« **لَا وَاللهِ ما رَغِبْتُ فِيها** ـ أي في الخلافة ـ **وَلَا فِي الدُّنْيا يَوْماً قَطُّ ، وَلٰكِنِّي فَكَّرْتُ فِي مَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ ظَهْرِي الْحادِيَ عَشَرَ مِنْ وُلْدِي هُوَ الْمَهْدِيُّ يَمْلَأُها عَدْلاً ، كَما مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً تَكُونُ لَهُ حَيْرَةُ وَغَيْبَةُ يَضِلُّ فِيها أَقْوامُ ، وَيَهْتَدِي فِيها آخَرُونَ** » .

وانبرى الأصبغ يطلب المزيد من الايضاح قائلاً :

---

(١) حياة الإمام محمّد المهدي : ١٨٣ .

(٢) ينابيع المودّة : ٤١٦ .

يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا لكائن ؟

« نَعَمْ ، إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ، وَأَنّىٰ لَكَ بِالْعِلْمِ بِهٰذَا الْأَمْرِ ... يا أَصْبَغُ ، أُوْلـٰئِكَ خِيارُ هـٰذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ أَبْرارِ هـٰذِهِ الْعِتْرَةِ » .

سارع الأصبغ قائلاً : ما يكون بعد ذلك ؟

« يَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ ، فَإِنَّ لَهُ إِراداتٍ وَغاياتٍ وَنِهاياتٍ »[١] .

إنّ ظهور المصلح الأعظم من الأُمور الحتمية التي لا يخالجها شكّ ولا ريب ، فإنّ ظهوره من الألطاف التي يخصّ الله تعالى بها عباده لإنقاذهم من الحياة البائسة الآثمة ، ويعيد لهم حكم الإسلام ، ودوره المشرق في إصلاح المجتمع وتطويره .

وعلى أي حال فقد أثرت عن إمام المتّقين ووصيّ رسول ربّ العالمين أحاديث كثيرة تبشّر بظهور الإمام المهدي عليه السلام ، وأنّه يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

---

(١) بحار الأنوار ٥١ : ١١٨ .

مع أعشى باهلة

كان الإمام عليه السلام على المنبر يخطب ، ويذكر الملاحم التي ستجري على مسرح الحياة ، فقام إليه أعشى باهلة ، وكان غلاماً فأنكر عليه مقالته ، وقال له : ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة ، فرمقه الإمام بطرفه وقال له :

« إِنْ كُنْتَ آثِماً فِيمَا قُلْتَ رَماكَ اللهُ بِغُلَامِ ثَقِيفٍ » .

وانبرى إليه رجال فسألوه عن غلام ثقيف من هو ؟ فقال عليه السلام :

« غُلَامٌ يَمْلِكُ بَلْدَتَكُمْ هٰذِهِ لَا يَتْرُكُ لِلّهِ حُرْمَةً إِلَّا انْتَهَكَها ، وَيَضْرِبُ عُنُقَ هٰذَا الْغُلَامَ بِالسَّيْفِ. . . » .

كم يملك يا أمير المؤمنين ؟

« عِشْرِينَ عاماً. . . » .

وسألوه أنّه يقتل أو يموت حتف أنفه ، فأجابهم أنّه يموت حتف أنفه ، قال إسماعيل بن رجاء : فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة قد أُحضر من جملة الأسرى من جيش عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث بين يدي الحجّاج فقرّعه ووبّخه ، واستنشده شعره الذي كان يحرّض فيه على حرب الحجّاج فأمر بضرب عنقه[1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٩ .

مع جندب الأزدي

شهد جندب بن عبدالله الأزدي مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حرب الجمل وصفّين ، وكان على يقين لا يخامره شكّ بضلالة من حاربهم الإمام ، فلمّا كانت واقعة النهروان داخله شك وقال في دخائل نفسه : قراؤنا وخيارنا نقتلهم إنّ هذا لأمر عظيم ! وخرج غدوة يمشي ، ومعه أداوة ، وقد نصب له ترساً ليستظلّ به من حرارة الشمس ، فاجتاز عليه السلام وقال له :

« **يا أَخا الْأَزْدِ ، أَمَعَكَ طَهُورٌ ؟** ».

نعم .

فناوله الأداوة ، ومضى الإمام بعيداً بحيث لا يراه أحد ثمّ أقبل وقد تطهّر فجلس في ظلّ الترس ، وجاء فارس يريد الإمام عليه السلام ، فأمره بإحضاره ، فلمّا مثل عنده قال له : يا أمير المؤمنين ، قد أقبل القوم وقطعوا النهر...

فردّ الإمام عليه بلا تردّد قائلاً :

«**كَلّا ما عَبَرُوا...**».

بلى والله عبروا .

«**كَلّا...**».

وأقبل شخص آخر صوب الإمام ، فقال له :

يا أمير المؤمنين ، قد عبر القوم . . .

« كَلّا ما عَبَرُوا . . . ».

وراح الرجل يقسم بالله على ذلك قائلاً :

والله ما جئتك حتى رأيت الرايات في ذلك الجانب والأثقال .

فردّ عليه الإمام بعنف :

« **وَاللهِ ما فَعَلُوا ، وَإِنَّهُ** ـ أي قبل النهر ـ **لَمَصْرَعُهُمْ ، وَمُهْراقُ دِمائِهِمْ** . . . » .

وقد كان الرجلان عينين للخوارج ، أرسلا للإمام لبعض الأغراض العسكرية حتى يزحف لهم جند الإمام .

ونهض الإمام عليه السلام ومعه الأزدي ، فقال في قرارة نفسه الحمد لله الذي بصرني هذا الرجل ، وعرفني أمره ، فهو أحد رجلين : أمّا رجل كذّاب جرئ ، أو على بيّنة من ربّه ، وعهد نبيّه ، اللّهمّ إنّي أعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة ، إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله ، وأوّل من يطعن في عينه بالرمح ، وإن كان القوم لم يعبروا ، أن أقيم معه على المناجزة والقتال ، فدفعنا إلى الصفوف ، فوجدنا رايات القوم وأثقالهم كما هي :

وأقبل الإمام فأخذ بقفاي وقال يحكي ما أضمره في نفسه :

« **يا أَخا الأَزْدِ ، أَتَبَيَّنَ لَكَ الأَمْرُ ؟** » .

أجل يا أمير المؤمنين ! !

« **شَأْنَكَ بِعَدُوِّكَ** . . . ».

وانضم في سلك الجيش ، وأخذ يقاتل الخوارج على بصيرة من أمره[١] .

---

(١) بحار الأنوار ٤١ : ١٨٤ ـ ١٨٥ .

مع المبايعين للضبّ

روى الثقة الأمين الأصبغ بن نباتة ، قال: أمرنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن ، فسرنا يوم الأحد ، وتخلّف عمرو بن حريث ـ وهو من رؤوس المنافقين ـ ومعه سبعة من أصحابه ، فخرجوا للتنزّه في (الخورنق) وبينما هم يتغدّون إذ خرج عليهم ضبّ ، فصادوه ، فأخذ عمرو بن حريث فنصب كفّه ، وقال : بايعوا هذا أمير المؤمنين ، فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم ، ثمّ ارتحلوا فقدموا المدائن ، وكان الإمام يخطب ، فلمّا نظر إليهم قال :

« يا أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله أَسَرَّ إِلَيَّ أَلْفَ حَدِيثٍ... وَإِنِّي سَمِعْتُ اللهَ تَعالىٰ فِي كِتابِهِ يَقُولُ : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ ، وَإِنِّي أُقْسِمُ لَكُمْ بِاللهِ تَعالىٰ ، لَيُبْعَثَنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثَمانِيَةُ نَفَرٍ يُدْعَوْنَ بِإِمامِهِمْ ، وَهُوَ ضَبٌّ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيهِمْ لَفَعَلْتُ » .

وذاب ابن حريث وارتعدت أوصاله من هذا النبأ [١] .

---

(١) بحار الأنوار ٤١ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

مع ذي الثدية

ذو الثدية هو الخويصر التميمي ، حرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية ، من رؤوس المنافقين والمارقين من الإسلام ، وهو الذي قال للنبيّ ﷺ حينما كان يقسّم المال أعدل ، فغضب النبيّ ﷺ وقال :

« وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذا لَمْ أَعْدِلْ ! » .

وروى أنس قال : كان في عهد رسول الله ﷺ رجل يعجبنا تعبّده واجتهاده ، فذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا هو هذا ، فقال :

« إِنَّكُمْ لَتَخبِرُونِي عَنْ رَجُلٍ أَنَّ فِي وَجْهِهِ لَسَفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ » .

فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلّم ، فقال له رسول الله ﷺ :

« أُنْشُدُكَ اللهَ ، هَلْ قُلْتَ : حَتّىٰ وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ ، ما فِي الْقَوْمِ أَحَدُ أَفْضَلُ مِنِّي أَوْ خَيْرش ؟ ... » .

اللهمّ نعم .

ثمّ مضى يصلّي ، فقال رسول الله ﷺ :

« مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ ؟ » .

قال أبو بكر : أنا فدخل عليه فوجده يصلّي فقال : سبحان الله !! أأقتل رجلاً

يصلّي ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل المصلّين ، وقفل راجعاً إلى النبيّ ﷺ فقال له :

« **ما فَعَلْتَ ؟** » .

قال : كرهت أن أقتله وهو يصلّي ، وقد نهيت عن قتل المصلّين ، فندب رسول الله ﷺ أصحابه ثانياً ، فانبرى عمر وقال : أنا فمضى إليه فوجده واضعاً جبهته لله فكره أن يقتله ، فرجع إلى رسول الله ﷺ .

فقال له : « **مَهْيَمْ ؟** »[١] قال عمر : وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله ، فندب رسول الله ﷺ إلى قتله ، فانبرى إليه الإمام عليه السلام فوجده قد خرج ، فأقبل إلى النبيّ ﷺ ، فأخبره بخروجه ، فقال :

« **لَوْ قُتِلَ ما اخْتَلَفَ مِنْ أُمَّتِي رَجُلَانِ** »[٢] .

لقد انطوت نفس ذي الثدية على الكفر ، وكان إسلامه ظاهرياً ، وقد تمرّد على الإمام عليه السلام الذي هو نفس رسول الله ﷺ حسبما دلّت عليه آية المباهلة ، فقد أعلن العصيان المسلّح على حكومة الإمام عليه السلام في حرب النهروان ، وهو من أعلام الخوارج ، ولمّا انتهت الحرب ، وسقطوا قتلى في أرض المعركة طلب الإمام من أصحابه أن يلتمسوا له ذا الثدية ، فبحثوا عنه فلم يجدوه فأخبروا الإمام بذلك ، فأمرهم ثانياً بالبحث عنه قائلاً :

« **ما كَذِبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَإِنَّهُ لَناقِصُ الْيَدِ لَيْسَ فِيها عَظْمٌ ، فِي طَرَفِها حَلَمَةٌ مِثْلَ ثَدْيِ الْمَرأَةِ ، عَلَيْها خَمْسُ شَعَراتٍ أَوْ سَبْعُ ، رُؤُوسُها مُعْقَّفَةٌ** » .

---

(١) كلمة استفهام معناها ما حالُكَ أو ما حدث لك أو ما الخبر؟

(٢) النص والاجتهاد : ١١٨ ، الطبعة السابعة ، نقلاً عن أُمّهات المصادر الإسلامية .

وأمر الإمام بإحضار جثّته ، فلمّا مثلت أمامه كشفوا عن يده ، فإذا ليس له يد ، وإنّما على منكبه ثدي كثدي المرأة ، وعليه شعرات سود تمتدّ حتى تحاذي بطن يده الأُخرى ، فإذا تركت عادت ، ولمّا رأى الإمام ذلك خرّ لله تعالى ساجداً [١].

لقد تحقّق ما أخبر به الإمام في شأن ذي الثدية وكان ذلك ممّا عهد به رسول الله صلى الله عليه وآله إليه .

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٨٥.

إخباره بحكومة مروان وأولاده

واستشفّ الإمام عليه السلام من وراء الغيب أنّ مروان بن الحكم الوزغ ابن الوزغ سوف يلي الحكم مع أبنائه الأربعة وهم بنو عبدالملك: الوليد، سليمان، يزيد، وهشام، ولم يل الحكم من بني اُميّة ولا من غيرهم اخوة إلّا هؤلاء[(١)]، وكان إعلان الإمام عليه السلام عن ذلك حينما اُلقى القبض على مروان بعد انتهاء حرب الجمل، وجيء به أسيراً، وقد تشفّع به الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام فقالا لأبيهما:

« يُبايِعُكَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ».

وزهد الإمام في بيعته قائلاً:

« أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ! إِنَّهَا كَفُّ يَهُودِيَّةُ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ. أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ ! »[(٢)].

وحكت هذه الكلمات ما يلي:

١ ـ إنّها ألمّت بنفسية مروان، وحكت طباعه وميوله، وكان من أبرزها الغدر والمكر، وخبث السريرة، فقد بايع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان بن

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٦: ١٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٦: ١٤٦.

عفّان ، ولكنّه سرعان ما نكث بيعته ، فقد انضمّ إلى حزب عائشة التي أعلنت التمرّد على حكومة الإمام .

إنّ مروان لم يتمتّع بأيّة نزعة كريمة ، فقد انغمس في الباطل والموبقات ، وقد لعنه النبيّ ﷺ وهو في صلب أبيه ، فقد روت عائشة أنّ رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه[١] وجيء به بعد ولادته إلى النبيّ ﷺ فقال :

« **هُوَ الْوَزَغُ ابْنُ الْوَزَغِ الْمَلْعُونُ ابْنُ الْمَلْعُونِ** »[٢] .

واجتاز الحكم على النبيّ ﷺ فقال :

« **وَيْلٌ لِأُمَّتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هٰذا** »[٣] .

لقد استشفّ النبيّ من وراء الغيب ما تعانيه الأُمّة الإسلامية من الأحداث الجسام من مروان وأبنائه فلعنهم وتبرّأ منهم .

٢ ـ أنّ الإمام عليه‌السلام أخبر عن قصر المدّة التي يحكم فيها مروان ، وشبّهها بلعقة الكلب أنفه ، وهو كناية عن قذارة حكمه ، وسوء سلطانه ... وكان سبب هلاكه أنّه عيّر خالد بن يزيد بن معاوية بأُمّه التي هي زوجته ، ففزع إلى أُمّه يبكي ، فتألّمت ، وسارعت مع جواريها إلى اغتياله ، وبذلك انتهت صفحة من صفحات الخزي والعار ، وانطوى ملف من ملفات الخيانة والإثم .

٣ ـ أنّ الإمام عليه‌السلام أخبر عمّا تعانيه الأُمّة في عهده وعهد أبنائه من الكوارث والخطوب ، وقد جرى ذلك ، فقد تجرّع العالم الإسلامي ألواناً قاسية ومريرة من المحن الشاقّة ، والتي كانَ منها أنّ عبدالملك بن مروان ولّى على الأُمّة أشرّ خلق الله ، وهو الحجّاج الثقفي الذي جهد على ظلم الناس ، وارغامهم على ما يكرهون .

---

(١) تفسير القرطبي ١٦ : ١٩٧ . تفسير الرازي ٧ : ٤٩٧ . أُسد الغابة ٢ : ١٣٤ .

(٢) مستدرك الحاكم ٤ : ٤٩٧ .

(٣) أُسد الغابة ٢ : ٣٤ .

إخباره عن مُلك معاوية

أخبر الإمام عليه السلام من حضر في مجلسه عن استيلاء معاوية على الحكم، وما تعانيه الأُمّة في عهده من الظلم والجور قائلاً:

«أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ[١]، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ! أَلاَ وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي؛ فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، وَلَكُمْ نَجَاةٌ؛ وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي؛ فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ»[٢].

وحكت هذه الكلمات الصفات القذرة الماثلة في معاوية من نهمه وجشعه على الطعام، وصفاته الجسدية التي منها اندحاق البطن وغيرها... وأنّه سيفرض على المسلمين سبّ الإمام والبراءة منه؛ لأنّه رائد العدالة الاجتماعية، وقد فضحه وفضح غيره من ملوك الظلم والجور وذلك بما سار عليه أيام حكومته من العدل الخالص والحقّ المحض.

---

(١) مندحق البطن: أي عظيم البطن.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٠٥.

إخباره عن استيلاء الأمويّين على الحكم

أخبر الإمام عليه السلام عن استيلاء الأمويّين على الحكم، وما تعانيه الأُمّة في ظلّ حكمهم من الظلم والجور، قال عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا.

وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوْءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ[1]، تَعْذِمُ بِفِيهَا[2]، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا[3]، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّىٰ لَا يَتْرُكُوا مِنكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ.

وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدىً، وَلَا عَلَمٌ يُرَىٰ[4].

---

(١) الناب الضروس: هى الناقة السيّئة.

(٢) تعذم بفيها: أي تعضّ بفيها، أو تأكل بجفاء.

(٣) تزبنُ برجلها: أي تدفع برجلها.

(٤) منهاج البراعة ٧: ٨٦. نهج البلاغة ١: ١٨٣.

أعرب الإمام في حديثه عن استيلاء الأمويّين على الحكم ، وعمّا تعانيه الاُمّة في عهدهم من الظلم والجور ، ولا يسلم من شرّهم إلّا من كان عميلاً لهم ، وخادماً لرغباتهم ، أمّا من حاد عنهم فمصيره السجن والإعدام .

ظلم الأمويّين وجورهم

وأحاط الإمام عليه السلام أصحابه علماً بما تعانيه الأُمّة من ظلم الأمويّين وجورهم بعد تسلّمهم لقيادة الحكم قائلاً:

«وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّىٰ لَا يَدَعُوا لِلّٰهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ، وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ، وَحَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتَّىٰ يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّىٰ تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ»(١).

وعاث الأمويّون في الأرض فساداً، وملؤوا الدنيا ظلماً وجوراً حتى قال القائل في عهد زياد الأخ اللّاشرعي لمعاوية: أنج سعد فقد هلك سعيد، ولم يبق ظلم إلّا صبّوه على المسلمين خصوصاً على شيعة أهل البيت عليهم السلام.

(١) نهج البلاغة ١: ١٩٠.

مع جيشه المتخاذلين

وأخبر الإمام عليه السلام جيشه المتخاذل ما يجري عليهم من الذلّ والهوان من بعده قائلاً :

« أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلاً ، وَسَيْفاً قَاطِعاً ، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمونَ فِيكُمْ سُنَّةً ، فَيُفَرِّقُ جَمَاعَتَكُمْ ، وَيُبْكِي عُيُونكُم ، وَيُدْخِلُ الْفَقْرَ بُيُوتَكُمْ ، وَتَتَمَنَّوْنَ عَنْ قَلِيلٍ أَنَّكُمْ رَأَيْتُمُونِي فَنَصَرْتُمُونِي فَسَتَعْلَمُونَ حَقَّ ما أَقُولُ لَكُم ، وَلَا يُبْعِدُ اللهُ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِم »(١) .

وتحقّق ما أنبأ به الإمام عليه السلام جيشه الذي أعلن عليه العصيان ، فقد ألبسهم الله ذلّاً شاملاً وسلّط عليهم أرجاس البشرية من الأمويّين فجهدوا في ظلمهم وإذلالهم ، وأخذوا البريء منهم بالسقيم ، والمقبل بالمدبر ، وقتلوا منهم على الظنّة والتهمة ، وقد ندم أهل الكوفة بعد أن آل الحكم إلى معاوية كأشدّ ما يكون الندم على خذلانهم للإمام ، وتمنّوا وجوده لينصروه ويحموه .

(١) نهج البلاغة : ٩٢، الخطبة ٥٨.

ظلم الحجّاج وجوره

وأدلى الإمام عليه السلام في بعض خطبه ما سيحلّ بأهل الكوفة الذين جرّعوه نغب التهام ، وملؤوا قلبه الشريف آلاماً بعصيانهم وخذلانهم ، وإنّ الله تعالى سيسلّط عليهم الحجّاج بن يوسف الثقفي فيسقيهم كأس مصبرة ، قال عليه السلام :

«أَمَا وَاللهِ ، لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ[١] الْمَيَّالُ ؛ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ ! »[٢].

ولم تمض الأيام حتى سلّط الله على أهل الكوفة الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وهو أقذر ارهابي لا يعرف الرحمة ، ولا عهد له بالرأفة ، وقد اقترف من الفضائع والآثام في أهل الكوفة ما لا يوصف لمرارته وقسوته .

وقد أجمع المؤرّخون على ظلمه وجوره ، وأنّه كان لا يلتذ إلّا بسفك الدماء ، وإشاعة الرعب والفزع بين الناس ، وقد مرّ على الكوفة في عهده دور قاس ورهيب لم تشاهد في مثله إلّا في عهد الطاغية زياد بن أبيه ، وابنه عبيدالله لقد سجن آلاف الأبرياء من النساء والرجال من غير ذنب اقترفوه ، وإنّما كان يقتل ويسجن على الظنّة والتهمة من غير تحقيق .

---

(١) **الذيال : الطويل القدّ المتبختر في مشيته .**

(٢) **نهج البلاغة ١ : ٢٣٠ .**

أمّا سبب هلاكه فتعزوه المصادر إلى أنّه رأى خنفساء تدبّ إلى مصلّاه فطردها فعادت ، فطردها فعادت ، فأخذها بيده فلسعته ، فورمت يده ، وأخذته الحمى من اللسعة ، حتى هلك بأضعف مخلوقات الله ، وهذا هو المراد من قوله عليه السلام :

« إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ ! ».

لقد عانى أهل الكوفة هذا البلاء العاصف من جرّاء تخاذلهم عن الإمام وعصيانهم له .

المقتولون من أصحابه والناجون من الخوارج

ولمّا صمّم الإمام عليه السلام على حرب الخوارج أخبر عن عدد المقتولين من أصحابه، والناجين من الخوارج قال عليه السلام:

« مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ[١]، وَاللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ »[٢].

وتحقّق ما أخبر به الإمام، فقد استشهد من أصحابه عشرة أشخاص، وبقي من الخوارج عشرة أشخاص، وهم الذين أشاعوا فكرة الخوارج بين المسلمين.

---

(١) قال الرضي: يعني بالنطفة ماء النهر، وهي أفصح كناية.

(٢) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٥: ١.

مقتل زُرْعة

ذكر ابن أبي الحديد : أنّ عليّاً عليه السلام لمّا دخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج ، وتخلّف منهم بالنخيلة وغيرها خلق كثير لم يدخلوها ، فدخل حُرْقوص بن زهير السعدي ، وزُرْعة بن البُرْج الطائي ـ وهما من رؤوس الخوارج ـ على عليّ عليه السلام فقال له حُرْقوص : تب من خطيئتك ، واخرج بنا إلى معاوية نجاهده ، فقال له عليّ عليه السلام :

« إِنْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ ، ثُمَّ الْآنَ تَجْعَلُونَها ذَنْباً ! أَمَا إِنَّها لَيْسَتْ بِمَعْصِيَةٍ ، وَلٰكِنَّها عَجْزٌ مِنَ الرَّأْيِ ، وَضَعْفٌ فِي التَّدْبِيرِ ، وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهِ » .

فقال زُرْعة : أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنّك . . .

فقال له عليّ عليه السلام :

« بُؤْساً لَكَ ما أَشْقاكَ ! كَأَنّي بِكَ قَتِيلاً تَسْفِي عَلَيْكَ الرِّياحُ ! »[١] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٨ .

عدم نهاية الخوارج

ولمّا أباد الإمام عليه السلام معظم الخوارج ، قيل له : يا أمير المؤمنين ، هلك القوم بأجمعهم ، فقال عليه السلام :

«كَلاَّ وَاللهِ ؛ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَّابِينَ» .

وتحقّق ما أخبر به الإمام عليه السلام فلم يهلكوا جميعاً ، وإنّما بقيت منهم عصابة اتّسعت وقاومت الولاة والحكّام .

خلافة عبدالملك

وأدلى الإمام عليه السلام، وهو على المنبر بإمرة عبدالملك بن مروان، وما يرافقها من سفك الدماء قائلاً:

«كأنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ»[1].

وحكى كلام الإمام عليه السلام ظهور عبدالملك بن مروان بالشام، وملكه للعراق، وما يقتل من المسلمين من جراء ذلك، فقد ملئت الأرض بجثث القتلى في حربه لابن الزبير، فقد انتشر الحزن، وعمّ الحداد جميع أرجاء الوطن الإسلامي من كثرة القتلى.

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ٣٥٦.

ثورة ابن الزبير

من المغيّبات التي أخبر عنها إمام المتّقين ، وسيّد الموحّدين عليه السلام ثورة ابن الزبير ، وسعيه لطلب الملك بجميع طاقاته إلّا أنّه لم يظفر به ، وقد وصفه عليه السلام وحكى نفسيّته بما يلي :

« خَبٌّ ، ضَبٌّ يَرُومُ أَمْراً لَا يَدْرِكُهُ ، يَنْصِبُ حِبالَةَ الدِّينِ لِاصْطِيادِ الدُّنْيا ، وَهُوَ بَعْدُ مَصْلُوبُ قُرَيْشٍ ».

وألمّ حديث الإمام عليه السلام بأوصاف ابن الزبير ، وبنهايته وهي كما يلي :

١ ـ إنّ الإمام عليه السلام وصف ابن الزبير بالخب ، وهو المخادع الخبيث[١] . كما وصفه بالضب ، وهو البخيل ، والعرب تشبّه كفّ البخيل إذا قصر عن العطاء بكفّ الضب[٢] .

لقد كان ابن الزبير خدّاعاً ، بخيلاً ، سيئ الخلق ، حسوداً ، لا يتمتّع بأيّة صفة كريمة ، وقد عانت الموالي في عهده الضيق والحرمان يقول الشاعر :

إنّ الموالي أمست وهي عاتبة   على الخليفة تشكوا الجوع والضما
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا   أي الملوك على من حولنا غلبا

٢ ـ إنّ ابن الزبير رام الخلافة وسعى إليها جاهداً باذلاً جميع طاقاته إلّا أنّه لم

---

(١) و (٢) لسان العرب ١ : ٥٣٩ .

يظفر بها ـ كما قال الإمام ـ وذلك لبخله ، وفيه يقول الشاعر :

رأيت أبـــا بكـــر وربّك غـــالب على أمره يبغي الخلافة بـالتمر [1]

وقد عانى المسلمون في حكمه القصير الأمد الجوع والحرمان ؛ لأنّه لم تكن عنده أيّة نفحة من نفحات الكرم والجود .

٣ ـ من أوصاف ابن الزبير أنّه كان مرائياً لا يعرف الواقع ، فقد أظـهر النسك والعبادة والتجرّد عن الدنيا ، مع أنّه كان ذئباً ، فقد اعتمد على الرياء لإغراء السذّج والبسطاء ، ولم يخف أمره على العارفين به ، فقد قال عبدالله بن عمر لزوجته حينما ألحّت عليه بمبايعته لأنّه تقي متعبّد ، فردّ عليها قائلاً :

أما رأيت بغلات معاوية التي كان يحجّ عليها الشهباء فإنّ ابن الزبير ما يـريد غيرها [2] .

ومن المؤكّد أنّه عار من جميع أرصدة التقوى والخوف من الله تعالى ، ولو كان يرجو الله واليوم الآخر لما حارب وصي رسول الله وباب مدينة علمه ، وكـان مـن أعظم الحاقدين على الأُسرة النبوية ، فقد كان يخطب ، ولا يصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله في خطابه ، وقيل له في ذلك فقال : إنّ له أهل بيت إن ذكرته أشرئبت أعناقهم . . . .

وبلغ من عدائه للأُسرة النبوية أنّه حبسهم وهدّدهم بالحرق إن لم يـبايعوه ، فأنقذهم بطل الإسلام المختار بن عبيدة من شرّه وبلائه ، وقد طـلب الجيش مـن العلويّين أن ينزل العقاب الصارم من ابـن الزبـير عـدوّهم المـاكـر فـأبوا وتـمسّكوا بأخلاقهم العلوية ، وهي مكافأة المسيء بالإحسان .

---

(١) المعارف ـ ابن قتيبة ٣ : ٢٥ .

(٢) المختار : ٩٥ .

المختـــــار رحمه الله

لمّا ظهر المختار بن أبي عبيدة بالكوفة فبايعه الناس وطالب بدم الحسين عليه السلام فجاء عبيد الله بن زياد من الشام بجيش جرّار فبعث إليهم ابن الأشتر فجال جيش ابن الأشتر منادين يا لثارات الحسين فناداهم الصبر الصبر ، فتراجعوا ، فقال لهم عبدالله بن يسار بن أبي عقيب الدؤلي : حدّثني خليلي ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ إنّا نلقى أهل الشام على نهر يقال له الخازر ، فيكشفونا حتى نقول هي هي ثمّ نكرّ عليهم فنقتل أميرهم .

وفعلاً فقد تحقّق ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام فقد قتل في ليل ذلك اليوم الوغد الخبيث ابن مرجانة وتبدّد جيشه كما يتبدّد الظلام في النور .

وسئل الإمام زين العابدين : يابن رسول الله ، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ذكر من أمر المختار ولم يقل متى يكون ؟ ولمن يقتل ؟ فقال عليه السلام : « **صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام » .

« **أَوَلَا أُخْبِرَكم مَتىٰ يَكُونُ؟** ». قالوا : بلى .

قال عليه السلام : « **يَوْم كَذا إِلىٰ ثَلاثِ سِنِينَ مِنْ قَوْلِي هـٰذا لَكُمْ ، وَسَيُؤْتىٰ بِرأْسَيْ عُبَيْدِاللهِ ابْنِ زِيادٍ وَشِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ عَلَيْهِما اللَّعْنَةُ فِي يَوْمٍ كَذا وَكَذا ، وَسَنَأْكُلُ وَهُما بَيْنَ أَيْدِينا** ـ أي رأسيهما ـ **نَنْظُرُ إِلَيْهِما** »[1] .

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ٥٥٢ .

انقراض دولة بني أُميّة

أدلى الإمام عليه السلام بحديث له عن حتمية انقراض دولة الأمويّين ، قال عليه السلام : «**فَأُقْسِمُ بِاللهِ ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا** ـ أي الخلافة ـ **فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ !**»(١)

لقد انقرضت الدولة الأموية على يد ألد أعدائهم وخصومهم العبّاسيّين ، فأشاعوا فيهم القتل والتنكيل ، وأبادوهم تحت كلّ حجر ومدر ، ولم يشفع فيهم أحد سوى سليل النبوة الإمام الصادق عليه السلام ، فقد كتب إلى السفاح يطلب منه أن لا يتعرّض بسوء لمن بقي منهم ، فبهر السفّاح ، وقال : قتلوا آباءهم وسبوا نساءهم ، ويتشفّع فيهم ، ولم يعلم السفاح أنّ الإمام الصادق عليه السلام من أهل بيت النبوّة ، ومعدن الرحمة ، وأنّهم يفيضون بالإحسان لمن أساء إليهم .

---

(١) منهاج البراعة ٧: ٢١٦.

حكومة بني العباس

أخبر الإمام عليه السلام مستشاره عبدالله بن العباس بانتقال الحكم إلى أبنائه :

١ ـ وذلك حينما ولد له ولد أسماه عليّاً ، فحمله إلى الإمام للتبرّك به فأخذه الإمام وتفل في فيه ، وحنّكه بتمرة ودفعه إليه ، وقال له :

« **خُذْهُ إِلَيْكَ أَبا الْأَمْلاكِ...** »[(١)].

٢ ـ وكذلك أخبره في حديث آخر بقوله عليه السلام :

« **يابْنَ عَبّاسٍ ، إِنَّ مُلْكَ بَنِي أُمَيَّةَ إِذا زالَ فَأَوَّلُ ما يَمْلِكُ مِنْ بَنِي هاشِمٍ وُلْدُكَ فَيَفْعَلُونَ الْأَفاعِيلَ** »[(٢)].

وتحقّق ما تنبأ به الإمام ، فقد آل الحكم إلى بني العباس الذين هم من ذرية عبدالله ، بعد أن انقرضت الدولة الأموية التي عاثت فساداً في الأرض .

---

(١) الكامل ـ المبرد ٢ : ٢١٧ .

(٢) الفضائل ـ ابن شاذان : ١٤١ .

شخص يريد الاحتيال على الإمام

قال عليه السلام : « **لَوْ وَجَدْتُ ثِقَةً لَبَعَثْتُ مَعَهُ بِمالٍ إِلىٰ شِيعَتِي فِي الْمَدائِنِ** » ، فقال رجلٌ في نفسه لآتينه ولأقولنّ أنا ذاهب بالمال فيثق بي ، فإذا أخذته أخذت طريقي إلى الشام إلى معاوية ، فقصدت الإمام ، وقلت له : أعطني المال حتى أبعثه إلى شيعتك ، فنهره الإمام وقال له :

« **إِلَيْكَ عَنِّي ، تَأْخُذُ طَرِيقاً إِلىٰ مُعاوِيَةَ** . . . »[1] .

(١) بحار الأنوار ٤١ : ٢٩٧ .

إخباره بمجيء ألف لمبايعته

كان الإمام عليه‌السلام بذي‌قار يأخذ البيعة ، فقال عليه‌السلام لأصحابه :

« يَأْتِيكُمْ مِنْ قِبَلِ الْكُوفَةِ أَلْفُ رَجُلٍ لَا يَزِيدُونَ رَجُلاً وَلَا يَنْقُصُونَ رَجُلاً ، يُبايِعُونِي عَلَى الْمَوْتِ ».

قال ابن عبّاس : فجزعت لذلك ، وخفت أن ينقص القوم من العدد أو يزيدون عليه ، فأخذت أُحصي القوم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل ، وتسعة وتسعين رجلاً ثمّ انقطع مجيء القوم ، فداخلني الشكّ والريب فبينما أنا أُفكّر إذ رأيت شخصاً قد أقبل ، وهو راجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وأداوة ، فقال للإمام عليه‌السلام :

امدد يدك أُبايعك ..

« عَلَامَ تُبايِعُنِي ؟ ».

على السمع والطاعة والقتال بين يديك أو يفتح الله على يدك ..

« ما اسْمُكَ ؟ ».

أُويس القرني .

« اللهُ أَكْبَرُ ، أَخْبَرَنِي حَبِيبِي رَسُولُ اللهِ صلى‌الله‌عليه‌وآله أَنِّي أُدْرِكُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتي يُقالُ لَهُ أُوَيْسُ الْقَرَنِيُّ يَكُونُ مِنْ حِزْبِ اللهِ يَمُوتُ عَلَى الشَّهادَةِ ، يَدْخُلُ فِي شَفاعَتِهِ مِثْلُ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ .. »[١].

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ٣٠٠.

الصليب في عنق معاوية

قال عليه السلام : « **لَا يَمُوتُ ابْنُ هِنْدَ حَتّىٰ يُعَلَّقَ الصَّلِيبُ فِي عُنُقِهِ** »(١) .

وقد تحقّق ذلك ، فقد ذكر الرواة أنّ معاوية لمّا ألمّت به الأمراض كان له طبيب نصراني ، فقال له :

إنّ آلاماً قد أخذتني فهل لي من سبيل للتخلّص منها ؟

فقال له : نعم ، عندنا صليب ما علّقه مريض في عنقه إلّا برئ ، فجاء بالصليب إليه فعلّقه في عنقه ، وتوفّي معاوية والصليب في عنقه(٢) .

---

(١) بحار الأنوار ٤١ : ٣٠٥ .

(٢) المناقب والمثالب ـ أبي حنيفة (مخطوط) .

البشارة بمولد الإمام زين العابدين عليه السلام

عند اقتران الإمام الحسين عليه السلام بالسيّدة الجليلة شاه زنان بارك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده قائلاً:

« يا أبا عَبْدِاللهِ ، لَيَلِدَنَّ لَكَ مِنها غُلَامٌ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ »[1].

وفعلاً فقد تحقّق ما أخبر عنه الإمام عليه السلام ، فقد ولدت لولده الحسين عليه السلام سيّد الساجدين وتاج البكّائين زين العابدين صاحب رسالة الحقوق ، والتي هي من أذخر الرسائل الحقوقية ، والصحيفة السجّادية وهي إنجيل آل محمّد ...[2].

---

(١) الأحاديث الغيبية ٢ : ١٧٦.

(٢) قد ذكرنا مفصّلاً عن حياة الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام في كتابنا : حياة الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلّدين.

مقتل الإمام الرضا عليه السلام

عن النعمان بن سعد قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« سَيُقْتَلُ رَجَلٌ مِنْ وُلْدِي بِأَرْضِ خُراسانَ بِالسُّمِّ ظُلْماً ، اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ ابْنِ عِمْرانَ مُوسَى عليه السلام ، أَلَا فَمَنْ زارَهُ فِي غُرْبَتِهِ غَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ذُنُوبَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْها وَما تَأَخَّرَ... »(١) .

لقد تحقّق ما أخبر به عليه السلام فقد رزق الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالإمام الرضا ، والذي هو أثرى شخصية عرفها التأريخ بعلومه ومعارفه في زمانه ؛ إذ فتك به المأمون العباسي بالسمّ بعدما غرّبه عن الأوطان فمضى عليه السلام شهيداً محتسباً (٢) .

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ : ٢٥٨ .

(٢) قد ذكرنا عن حياته مفصلاً في كتابنا : حياة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، في مجلّدين .

مدينة بغداد

اجتاز الإمام عليه السلام على أرض بغداد ، فقال عليه السلام :

« ما تُدْعىٰ هٰذِهِ الْأَرْضُ ؟ » .

فقالوا له : بغداد .

قال : « **نَعَمْ ، تُبْنىٰ هاهُنا مَدِينَةٌ** » ، وذكر أوصافها [١] .

وتحقّق ذلك ، فقد بنيت بغداد وازدهرت في العصر العباسي ، فكانت عاصمة الدنيا ، وذكر الرواة أنّ الحسن بن ذكوان الفارسي التقى بالإمام ، وطلب منه أن يدعو الله له .

فقال له الإمام : « إِنَّكَ سَتُعَمَّرُ ، وَتُحْمَلُ إِلىٰ مَدِينَةٍ يَبْنِيها رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي الْعَبّاسِ تُسَمّىٰ بَغْدادَ ، وَلَا تَصِلُ إِلَيْها ، وَتَمُوتُ بِمَوْضِعٍ يُقالُ لَهُ الْمَدائِنُ » .

فكان كما قال عليه السلام [٢] .

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٤٢٢ .

(٢) بحار الأنوار ٤١ : ٣٠٧ .

عدد ملوك بني العبّاس

وكان ممّا أخبر به الإمام عليه السلام أنّه عدد ملوك بني العباس الذين يحكمون العالم الإسلامي، قال عليه السلام:

«وَيْلُ هٰذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ رِجالِهِمْ الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ الَّتِي ذَكَرَها رَبُّكُمْ تَعالىٰ، أَوَّلُهُمْ خَضْراءُ وَآخِرُهُمْ هَزْماءُ، ثُمَّ يَلِي بَعْدَهُمْ أَمْرَ اُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله رِجالٌ: أَوَّلُهُمْ أَرْأَفُهُمْ، وَثانِيهِمْ أَفْتَكُهُمْ، وَخامِسُهُمْ كَبْشُهُمْ، وَسابِعُهُمْ أَعْلَمُهُمْ، وَعاشِرُهُمْ أَكْفَرُهُمْ، يَقْتُلُهُ أَخَصُّهُمْ بِهِ، وَخامِسُ عَشَرِهِمْ كَثِيرُ الْعَناءِ، قَلِيلُ الْغَناءِ، وَسادِسُ عَشَرِهِمْ أَقْضاهُمْ لِلْذِمَمِ، وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ، كَأَنِّي أَرىٰ ثامِنَ عَشَرِهِمْ تَفحَصُ رِجْلَاهُ فِي دَمِهِ بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَ جُنْدُهُ بِكَظْمِهِ، مِنْ وُلْدِهِ ثَلَاثُ رِجالٍ: سِيرَتُهُمْ سِيرَةُ الضَّلَالِ، الثّانِي وَالْعِشْرُونَ مِنْهُمْ الشَّيْخُ الْهَرِمُ، تَطُولُ أَعْوامُهُ، وَتُوافِقُ الرَّعِيَّةُ أَيّامُهُ، السّادِسُ وَالْعِشْرُونَ مِنْهُمْ يَشْرُدُ الْمُلْكُ مِنْهُ شُرُودَ النِّقْنِقِ[1]، وَيَعْضُدُهُ الْهَزَرَةُ الْمُتَفَيْهِقُ، لَكَأَنِّي أَراهُ عَلىٰ جِسْرِ الزَّوْراءِ قَتِيلاً، ذٰلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ، وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»[2].

---

(١) النِّقْنِق: جمعه نقانق، ذكر النَّعامة.

(٢) بحار الأنوار ٤١: ٣٢٢.

وأوضح المجلسي بنود هذه الخطبة قال :

« إنّ أوّلهم ـ أي أوّل بني العبّاس ـ هو **السفاح** كان أرأفهم [١] .

وأنّ ثانيهم هو **المنصور** كان أفتكهم ، أي أجرأهم ، وأشجعهم ، وأكثرهم قتلاً للناس خدعة وغدراً .

وأنّ خامسهم وهو **الرشيد** كان كبشهم ؛ إذ لم يستقرّ ملك أحد منهم كاستقرار ملكه ، وأنّ سابعهم وهو المأمون كان أعلمهم ، واشتهار وفور علمه من بينهم يغني عن البيان .

وأنّ عاشرهم وهو **المتوكّل** أكفرهم بل أكفر الناس كلّهم أجمعين لشدّة نصبه وإيذائه لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وسائر الخلق ، وأنّ من قتله كان من غلمانه الخاصّة .

وأنّ خامس عشرهم **المعتمد** على الله أحمد بن المتوكّل ، وهو وإن كان زمان خلافته ثلاث وعشرين سنة لكن كان في أكثر زمانه مشتغلاً بحرب صاحب الزنج وغيره ، فلذا وصفه عليه السلام بكثرة العناء .

وسادس عشرهم **المعتضد** بالله رأى في النوم رجلاً أتى دجلة فمدّ يده إليها ، فاجتمع مائها فيها ، ثمّ فتح كفّه ففاض الماء ، فسأل المعتضد أتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا عليّ بن أبي طالب إذا جلست على سرير الخلافة فأحسن إلى أولادي ، فلمّا وصلت إليه الخلافة أحبّ العلويّين وأحسن إليهم ، فلذا وصفه عليه السلام بقضاء العهد وصلة الرحم .

وثامن عشرهم هو جعفر الملقّب بـ **المقتدر بالله** ، وخرج مونس الخادم من جملة عسكره ، وأتى الموصل واستولى عليه ، وجمع عسكراً ورجع وحارب

---

(١) أي أرأفهم من بين ملوك بني العباس على العلويّين .

المقتدر في بغداد، وانهزم عسكر المقتدر، وقتل هو في المعركة، واستولى على الخلافة من بعده ثلاثة من أولاده، الراضي بالله محمّد بن المقتدر، والمتّقي بالله إبراهيم بن المقتدر، والمطيع لله فضل بن المقتدر.

وأمّا الثاني والعشرون منهم فهو **المكتفي بالله** عبدالله، وادّعى الخلافة بعد مضي إحدى وأربعين سنة من عمره ـ سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة ـ، واستولى أحمد ابن بويه في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة على بغداد، وأخذ المكتفي وسمل عينه وتوفّي في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

ويقال: إنّه كانت أيام خلافته سنة وأربعة أشهر.

ويحتمل أن يكون من خطأ المؤرّخين أو رواة الحديث بأن يكون في الأصل الخامس والعشرون أو السادس والعشرون، فالأوّل هو القادر بالله أحمد بن إسحاق، وقد عمّر ستاً وثمانين سنة، وكانت مدّة خلافته إحدى وأربعين سنة، والثاني القائم بأمر الله كان عمره ستّاً وسبعين سنة وخلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر.

ويحتمل أن يكون عليه السلام إنّما عبّر عن القائم بأمر الله بالثاني والعشرين لعدم اعتداده بخلافة القاهر بالله، والراضي بالله والمقتدر بالله والمكتفي بالله لعدم استقلالهم وقلّة أيام خلافتهم.

فعلى هذا يكون السادس والعشرون **الراشد بالله**، فإنّه هرب في حماية عمادالدين الزنجي، ثمّ قتله بعض الفدائيّين، فقد قتل في أصفهان.

ويحتمل أن يكون المراد بالسادس والعشرين **المستعصم**، فإنّه قتل كذلك وهو آخرهم، وإنّما عبّر عنه كذلك مع كونه السابع والثلاثين منهم لكونه السادس والعشرين من عظمائهم، لعدم استقلال كثير منهم وكونهم مغلوبين للمماليك والأتراك.

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد السادس والعشرون من العباس وأولاده، فإنّهم

اختلفوا في أنّه هل هو الرابع والعشرون من أولاد العباس أو الخامس والعشرون منهم ، وعلى الأخير يكون بانضمام العباس السادس والعشرون وعلى الأخيرين يكون مكان يعضده يقصده »[١].

(١) بحار الأنوار ٤١: ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

فتنة الزنج

من الأحداث الجسام التي أخبر عن وقوعها الإمام عليه السلام هي فتنة صاحب الزنج ، فقد زعم أنّه علي بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، وقد احتفّ به الزنج ، ووعدهم بالتحرير والظفر بأموال الدولة وتسخيرها لمصالحهم ، فانصاعوا له ، والتفّوا حوله ، وقد تحدّث المؤرّخون عن تفصيل الحادثة والفتوحات التي تمّت له ، وإلى ما جرى عليه .

وعلى أي حال فلنستمع إلى ما قاله الإمام عليه السلام في وصف جيشه وإلى الدمار الذي حلّ في البلاد من جرائمهم ، قال عليه السلام :

« **يَا أَحْنَفُ ، كَأَنِّي بِهِ** -أي بصاحب الزنج- **وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ** » .

أشار الإمام عليه السلام إلى أوصاف جيش صاحب الزنج ، وأنّهم في منتهى التدريب العسكري ، لا غبار لهم ، ولا قعقعة لجم ، ولا حمحمة خيل ، وهذه الأوصاف أروع ما توصف به الجيوش المنظّمة التي بلغت الذروة في تدريبها .

ثمّ عرض الإمام عليه السلام إلى ما تعانيه البلاد من الدمار والخراب من ذلك الجيش قال عليه السلام :

« **وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ**

النُّسُورِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ...»[1]

وقد عانت البلاد الإسلامية أقسى ألوان المحن والخطوب من جيش صاحب الزنج، فقد تهدّمت الدور وتخرّبت المزارع وتدهور الاقتصاد العامّ، وكان ذلك في سنة ٢٥٥هـ، وقد ذكرت مصادر التاريخ تفصيل تلك الأحداث المروعة المؤسفة.

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٨: ١٢٥.

حكومة بني بويه

أخبر الإمام عليه السلام عن حكومة بني بويه فقال:

«وَيَخْرُجُ مِنْ ديلمانَ بَنُو الصَّيّادِ[١]**، ثُمَّ يَسْتَشْرِي أَمْرُهُمْ حَتّىٰ يَمْلِكُوا الزَّوْراءَ، وَيَخْلَعُوا الْخُلَفاءَ...».**

فقام شخص وقال: كم مدّتهم يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: «**مائةٌ** ـ أي مائة عام ـ **أَوْ تَزِيدُ قَلِيلاً**».

واستطرد الإمام عليه السلام في ذكرهم قائلاً:

«**وَالْمُتْرَفُ ابْنُ الْأَجْذَمِ يَقْتُلُهُ ابْنُ عَمِّهِ عَلىٰ دِجْلَةَ...**».

أشار عليه السلام إلى عزّ الدولة بختيار بن معزّ الدولة أبي الحسين، وكان معزّ الدولة أقطع اليد، قطعت يده لنكوصه في الحرب، وكان ابنه مترفاً صاحب لهو وشرب، قتله عضد الدولة فناخسرو ابن عمّه بقصر الجصّ على دجلة، وسلب ملكه، فأما خلعهم للخلفاء فإنّ معزّ الدولة خلع المستكفي، وأقام عوضه المطيع، وبهاء الدولة أبانصر بن عضد الدولة، وخلع الطائع ورتّب مكانه القادر، وكانت مدّة ملكهم كما أخبر به الإمام عليه السلام[٢].

---

(١) قال ابن أبي الحديد: كان أبوهم يصيد السمك، ويتقوّت به هو وعياله، فأخرج من ولده ملوكاً ثلاثة، ونشر رايتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم.

(٢) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٧: ٤٩.

دولة المغاربة

من المغيّبات التي أخبر عنها الإمام عليه السلام ظهور دولة للعلويّين بالمغرب العربي بقيادة أبي عبدالله المهدي ، وهو أوّل ملوكهم ، قال عليه السلام :

«ثُمَّ يَظْهَرُ صاحِبُ الْقَيْرَوانِ الْغَضُّ الْبَضُّ ، ذُو النَّسَبِ الْمَحْضِ ، الْمُنْتَجَبُ مِنْ سُلَالَةِ ذِي الْبِداءِ ، الْمُسَجّىٰ بِالرِّداءِ»[1] .

قال ابن أبي الحديد : «كان عبيدالله المهدي أبيض ، مترفاً ، مشرباً بحمرة ، رخص البدن تار[2] الأطراف ، وذو البداء هو إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وهو المسجّى بالرداء ؛ لأنّ أباه سجّاه بردائه لمّا مات ، وأدخل عليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته ، وتزول عنهم الشبهة في أمره»[3] .

ومن المؤسف أنّه لم تؤمن بموت إسماعيل كوكبة من الشيعة وهم الإسماعيلية ، فقد اعتقدوا بحياته ، وأنّه ارتفع إلى السماء كما ارتفع السيّد المسيح .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٧ : ٤٩ .

(٢) التار : الممتلئ جسمه رياً .

(٣) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٧ : ٤٩ .

الثورة في طبرستان

من المغيّبات التي أخبر عنها الإمام عليه السلام ظهور ثورة طبرستان يقوم بها بعض السادة كالناصر والداعي وغيرهما ، قال عليه السلام :

« **وَإِنَّ لآلِ مفحَمَّدٍ بِالطَّالِقانِ لَكَنزٌ سَيُظْهِرُهُ اللهُ إِذا شاءَ دُعاؤُهُ حَتَّى يَقُومَ بِإِذْنِ اللهِ فَيَدْعُو إِلىٰ دِينِ اللهِ** »[١] .

وتحقّق ذلك ، فقد ثار هؤلاء السادة الأعلام في طالقان رافعين شعار الإسلام ، ومتبنّين الدعوة إلى حكم القرآن .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٧ : ٤٨ .

حكومة القرامطة

وأخبر الإمام عن القرامطة الفئة الضالّة التي لا عهد لها بالإسلام . قال عليه السلام فيهم :

« **يَنْتَحِلُونَ لَنا الْحُبَّ وَالْهَوىٰ ، وَيُضْمِرُونَ لَنا الْبُغْضَ وَالْقَلىٰ ، وَآيَةُ ذٰلِكَ قَتْلُهُمْ وُرّاثَنا ، وَهَجْرُهُمْ أَحْداثَنا** »(١) .

ظهرت القرامطة على مسرح الحياة الإسلامية ، فأشاعت الفساد والقتل والنهب والدمار ، وقد أحلّت ما حرّم الله تعالى ، وحرّمت ما أحلّ الله ، وهي كالشيوعية في تعاليمها ومروقها من الدين ، وقد استباحوا قتل السادة العلويّين ، فقد قتلوا كوكبة من أعلامهم ذكر أسماءهم أبو الفرج الأصفهاني(٢) .

وقد عرفوا بالنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام ، فقد اجتاز أبو الطاهر سليمان بن الحسن الجنابي ، وهو من أعلامهم على مدينة النجف الأشرف وعلى مدينة كربلاء المقدّسة ، ولم يعرج على زيارة المرقدين المكرّمين(٣) .

---

(١) المصدر السابق ١٠ : ١٤ .

(٢) مقاتل الطالبيّين : ٤٥٠ .

(٣) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١٠ : ١٤ .

التتر

من المغيّبات التي أخبر عنها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، والتي تحقّقت بعد مئات من السنين هي المحنة الكبرى التي اُمتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً ، وهي اُفول الخلافة الإسلامية ، وإنطواء حكم بني العباس الذين أسرفوا في اقتراف ما حرّم الله ، فقد كانت لياليهم الحمراء حافلة بالخمور والمجون ، ولم يكن للإسلام حكم واقعي وإنّما صورة حكم .

وعلى كلّ حال فقد زحف التتر إلى احتلال عاصمة الإسلام بغداد ، وسقطت بذلك الدولة الإسلامية العظمى ، وقد أمعنوا في قتل الأبرياء وإشاعة الخوف والارهاب بين المسلمين ، وعمدوا إلى تدمير المعالم الإسلامية في المدينة ، وكان من أفجعها تدمير المكتبة المستنصرية التي كانت تضمّ مئات آلاف الكتب ، فاُلقيت في حوض دجلة ، وبذلك فقد خسر العالم الإسلامي أهمّ ثرواته الفكرية والعلمية .

ولنستمع إلى ما قاله الإمام عليه السلام في وصف التتر ، وما يلحقونه في بلاد المسلمين من الدمار الشامل قال عليه السلام :

«كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ[١] ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ[٢]

---

(١) **المجان** : جمع مجن ـ بكسر الميم ـ : الترس ، سمّي مجناً لأنّه مستتر به .

(٢) **السرق** : شقق الحرير .

وَالدِّيبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ[١] الْخَيْلَ الْعِتَاقَ . وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّىٰ يَمْشِيَ الْمجْرُوحُ عَلَىٰ الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ المَأْسُورِ ! »[٢] .

وانبرى بعض أصحاب الإمام قائلاً له : لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب . . .

فتبسّم الإمام عليه‌السلام وقال له :

« **يَا أَخَا كَلْبٍ ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ** ـ يعني أنّه مستقى ومستمدّ من أخيه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ. **وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ . . . ﴾ ، فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيل ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً ، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً . فَهٰذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ، وَمَا سِوَىٰ ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللّٰهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ[٣] عَلَيْهِ جَوَانِحِي** »[٤] .

وقد أوضح الإمام عليه‌السلام العلم الذي عنده إنّما هو مستمدّ من أخيه وابن عمّه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وأنّه ليس بعلم الغيب الذي لم يطّلع عليه أحد سوى الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة .

---

(١) **يعتقبون الخيل** : أي يجتنبونها لينتقلوا من غيرها إليها .

(٢) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ٢ : ١٤ .

(٣) **تضطم** : أي تجتمع عليها جوانح صدري .

(٤) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٨ : ٢١٥ .

وعلى أي حال فقد تحقّق ما أخبر به الإمام عليه السلام ، فقد احتلّ الجناة التتر مدينة بغداد ، وسقطت بذلك الدولة الإسلامية ، وقد أمعن الغزاة في قتل الأبرياء وعاثوا فساداً في الأرض .

ومن المؤكّد أنّ السبب في هذه المأساة الخالدة سوء السياسة العباسية ، الذين اقترفوا كلّ ما حرّم الله ، ولم يؤثر عن الكثيرين منهم إلّا الفسق والفجور ومناجزة المصلحين ، ومعاداة أهل البيت عليهم السلام والامعان في قتلهم ومطاردة شيعتهم وأنصارهم ، وبذلك فقد فتحوا الطريق لهولاكو في غزو بغداد والقضاء على الدولة الإسلامية .

الفتن بعد وفاته

وأحاط الإمام عليه السلام أصحابه بما يحدث بعد وفاته من الفتن والخطوب، قال عليه السلام:

«وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَىٰ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقَ[1] مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ!

فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ؛ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ.

فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ ـ وهم أهل البيت ـ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَىٰ، وَإِنِ اجْتَمَعَا. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَىٰ الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ[2]. وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا

---

(١) أنفق: أي أروج.

(٢) الزبر: الكتابة.

صِدْقَهُمْ عَلَىٰ اللّٰهِ فِرْيَةً ، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ »[١].

وتحقّقت هذه الخطوب بعد وفاة الإمام عليه السلام ، فقد آل الحكم إلى معاوية ، ومن بعده إلى بني مروان ، ولم يألوا جهداً في محاربة الإسلام ، والبغي والقتل لحماته ، وقد جمد الكتاب ، وساد المنكر ، وراج الباطل ، وأقبل الناس على مآثم الحياة ، واقتراف الرذائل ، وأعرب عليه السلام عن ذلك في حديث آخر قال عليه السلام :

« وَأَخَذُوا ـ أي الناس ـ **يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ . فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ . فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ . وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ ! »**[٢].

---

(١) نهج البلاغة : ٦٣، الخطبة ١٤٧ .

(٢) نهج البلاغة : ٦٤، الخطبة ١٥٠ .

أحداث آخر الزمان

وتحدّث باب مدينة علم النبيّ ﷺ عمّا يحدث في آخر الزمان من الفتن والبلاء، وقد أدلى بذلك في كثير من المناسبات والتي منها:

١ ـ قال عليه السلام:

« يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ، يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً، وَالْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَىٰ النَّاسِ! فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، وَإِمَارَةِ الصِّبْيَانِ! »(١)

إنّ البشرية تكون في قوس النزول، وفي منتهى الانحطاط إذا سارت فيها هذه الأمور التي تفضّل ببيانها الإمام.

٢ ـ قال عليه السلام:

« يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَىٰ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَىٰ، سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي

---

(١) نهج البلاغة ـ قصار الحكم ٤: ٦٤٧.

الْخَطِيئَةُ ؛ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنهَا فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنهَا إِلَيْهَا . يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ : فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَىٰ أُولٰئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ ، وَقَدْ فَعَلَ ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ »[١] .

إنّ الإسلام العظيم الذي ارتضاه الله ديناً لجميع البشرية أينما كانوا لا صلاح ولا سعادة ولا استقرار من دونه ، وقد يأتي زمان على المسلمين فينحرفون عنه ، ولا يبقى منه إلّا اسمه ، وذلك أسوء الأزمان وأكثرها قتاماً .

٣ ـ قال عليه السلام :

« يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ[٢] ، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَىٰ مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ ﴿ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ . تَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ، وَتُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ ، وَقَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صلىٰ اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلّم عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ »[٣] .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الملاحم والمغيّبات التي أدلى بها الإمام عليه السلام ، وقد تحقّقت على مسرح الحياة ، وبها نطوي الحديث عن هذا الكتاب الذي هو جزء من موسوعة حياته .

---

(١) نهج البلاغة ـ قصار الحكم ٤ : ١٨٣ .

(٢) العضوض : الشديد .

(٣) نهج البلاغة ـ قصار الحكم ٤ : ٤٦١ .

المحتويات

العلم والتعليم

الملاحم والمغيّبات التي أخبر عنها الإمام

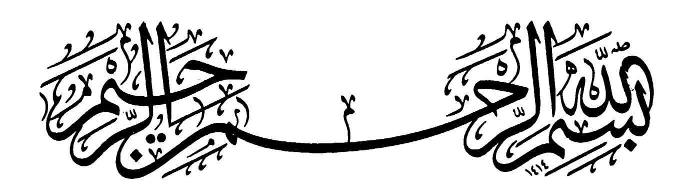
٤٥ ـ ١٤٠

موسوعة
الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام

الجزء الثامن

احتجاجات ومناظرات الإمام

تأليف
باقر شريف القرشي



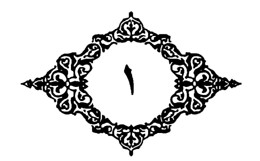
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل : ١٢٥

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ الحجّ : ٣

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت : ٤٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر : ٥٦

تقديم



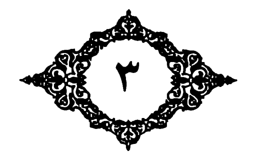
الاحتجاجات والمناظرات بين الأديان والمذاهب قديمة جدّاً ، فقد تسلّح بها أرباب الأديان وزعماء المذاهب وأتباعهم ، واستخدموا في ذلك جميع الوسائل التي بأيديهم ، وذلك لإضفاء الأصالة والشرعية على ما يدينون ويعتقدون به ولجرّ الناس إلى اعتناق آرائهم ومعتقداتهم .

وهذه الظاهرة سائدة بين الناس منذ فجر التاريخ حتى يوم الناس هذا . . . لقد أُسست أندية وأمكنة لهذا الغرض في دول الغرب ، وقد جرت في الولايات المتّحدة ندوة حضرها حشد كبير من الأمريكان وغيرهم ، فتناظر عالم مسلم وعالم مسيحي ، واستمرّت المناظرة عدّة ساعات ، فانهار العالم المسيحي أمام الأدلة الحاسمة التي أدلى بها العالم المسلم ، واعترف بالعجز وزيف أدلّته أمام الحاضرين .



إنّ الاحتجاجات والمناظرات من أوثق الأسباب ، وأكثرها عمقاً ، وأجدرها في فصل الخصومات ، وحسم النزاعات أمام فتح باب الحرب وإراقة الدماء ، وإشاعة الثكل والحزن ، والحداد لفرض الرأي والمعتقدات ، فإنّ ذلك سلاح العاجزين الذين

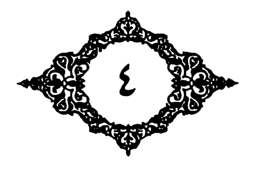
يعوزهم الدليل والبرهان ، وسرعان ما تفشل معتقداتهم ، وتتلاشى آراؤهم كما يتلاشى الدخان في الفضاء .



وكان الاحتجاج هو السّمت البارز في دعوة الأنبياء إلى الله تعالى وإبطال مذاهب خصومهم الوثنيّين ، فقد أفلجوا بالأدلة الحسّية آراء الملحدين ، فهذا شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام حينما حاججه أحد فراعنة عصره في الله تعالى أجابه إبراهيم بأروع الأدلة ، وقد حكى القرآن الكريم هذه المحاججة ولننظر إليها ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللهُ لَا يَهْدِي الْقَومَ الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

فوجم الذي كفر ولم يطق جواباً ، وانهار أمام هذه الحجّة الدامغة .



أمّا سيّد الأنبياء وخاتم المرسلين فقد اعتمد في تبليغ رسالة ربّه على الحوار والمحاججة مشفوعة بالخُلق الكامل ، فقد أمره الله تعالى بذلك ، قال تعالى :

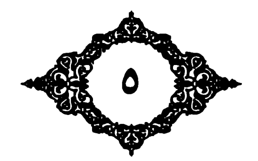
﴿ ادْعُ إِلىٰ سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٢) .

---

(١) البقرة : ٢٥٨ .

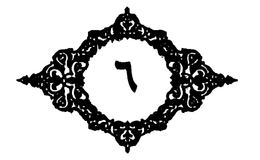
(٢) النحل : ١٢٥ .

وبقي الرسول ﷺ مستمراً في تبليغ دعوته الخلّاقة يحتجّ ويناظر ويدافع عن قيمها ومبادئها ، ووقف كالطود الشامخ أمام طغيان القرشيّين وعتاتهم ، حتى فتح الله له الفتح المبين ، واندحرت العصابات القرشية التي لا تحمل أي طابع من الفكر والوعي .



ونؤكد أنّ الإسلام بصورة إيجابية ومتميّزة قد تبنّى المحاورة والمناظرة في تبليغ رسالته ، ولم يلجأ إلى القوّة العسكرية ولا لأي وسيلة من وسائل العنف والقهر ، فقد أعلن القرآن الكريم بصراحة ووضوح أن ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ ﴾(١) ، وإنّما فتح باب الحرب مع خصومه وأعدائه للدفاع عن قيمه ومبادئه وأهدافه التي جهدت العصابات القرشية على محوها وحجبها عن المجتمع الإنساني .

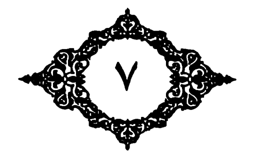
إنّ رسالة الإسلام الخالدة قد رفعت مشاعل النور ، وأسّست معالم الحضارة في المشرق العربي ، وقد سعت لتأسيس أهدافها بالاحتجاج والمناظرة لا بالسيف والنطع .



كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من ألصق الناس برسول الله ﷺ وأقربهم إليه ، فهو باب مدينة علمه ، وأبو سبطيه ، ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى . فقد تطبّع بأخلاقه ، والتزم بحرفية منهجه ، وسار على أضواء رسالته لم يخالف أي سنّة منها ، فاعتمد عليه السلام

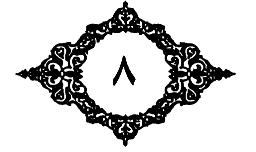
(١) البقرة : ٢٥٦.

بصورة موضوعية على الاحتجاج والمناظرة مع خصومه ، ولم يفتح معهم باب الحرب إلّا بعد أن انسدّت معهم نوافذ السلم ، وأعلنوا العصيان المسلّح عليه ، وكان ذلك مكشوفاً في حربه مع أهل الجمل وصفّين والنهروان ، فقد بغوا عليه ، وتمرّدوا على حكومته ، ولم تُجدِ معهم أي وسيلة من وسائل الصلح وحقن الدماء .



أمّا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهو من أوسع الناس أُفقاً وأكثرهم استيعاباً لجميع مباحث العلوم ،كما كان أخبرهم في المسائل الكلامية ، فقد ناظر الخلفاء وأفحمهم ، وناظر علماء الأديان السماوية وألحق بهم هزيمة ساحقة ، فقد عَلِم مناطق الضعف والزيف في أناجيلهم وتوراتهم فوضعها بين أيديهم ، فلم يستطيعوا الدفاع عن أديانهم ووقفوا واجمين أمام منطقه الفيّاض ، معترفين بعجزهم خاضعين لملكاته وقدراته العلمية .

ومن المؤكد أنّه لم يملك أي أحد من الصحابة وغيرهم ما يملك الإمام من المواهب والعبقريات التي فاق بها على غيره .



ويحفل هذا الجزء من موسوعة حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باحتجاجاته ومناظراته ، وهي تحمل طابعاً فكرياً وعلمياً وتُعدّ في طليعة البحوث الكلامية خصوصاً في مناظراته مع علماء النصارى واليهود ، فقد تجلّى فيها الإبداع والأُصالة وعمق المناهج العلمية التي استدلّ بها الإمام عليه السلام ، والتي اقتبس منها بعض علماء المسلمين الذين قصدوا للردّ على علماء النصارى واليهود وبيان فساد معتقداتهم .



وقبل أن أطوي هذا التقديم ، أودُّ أن أعرض إلى أني لم استوعب ـ بصورة قاطعة ـ جميع احتجاجات الإمام عليه السلام ومناظراته وإنما سجّلت ما عثرت عليه منها ، فإنّه من المؤكد أنّ الباحث المتتبّع يجد أضعاف ما دوّنته منها . . .

إنّ هذا الإمام الملهم العظيم له من التراث الهائل الذي هو من مناجم الفكر الإسلامي ومن ذخائر الأدب الإنساني ، ما يفوق حدّ الوصف والإحصاء .

إنّه وليّ التوفيق

النجف الأشرف

باقر شريف القرشي

٢/ جمادى الأولى/ ١٤٢٠هـ

احتجاجات الإمام على الخلفاء

الشيء البارز في حياة الإمام السياسية احتجاجاته الصارمة على الخلفاء ومناظراته معهم ، فإنّها تلقي الأضواء على ما يكنّه الإمام من أسى بالغ بسبب إبعاده عن المسرح السياسي ، وحجبه عن الخلافة التي هي ظلّ الله في الأرض يحتمي بظلالها المظلومون والمضطهدون ، ويفزع إليها البائسون والمحرومون .

وعلى أي حال فقد نجم عن إقصاء الإمام عن قيادة الأُمّة أن خسرت الإنسانية الطاقات الهائلة التي يملكها الإمام في ميادين الحكم والإدارات وحقول التربية والسياسة ، وغيرها من الوسائل التي تتطوّر بها الحياة العامّة .

والشيء المؤكد أنّ المهاجرين في يثرب كانوا امتداداً للأُسر القرشية في مكّة ، وكانوا يمثّلون رغباتهم ، ويحكون انطباعاتهم وميولهم ، وكانت معظم نفوس القرشيّين مترعة بالكراهية للإمام ؛ لأنه أشاع في بيوتهم الثكل والحزن والحداد في سبيل الدعوة الإسلامية التي ناهضوها بجميع قدراتهم ، وبالإضافة لذلك فإنّ نفوس القرشيّين قد طبعت على الأنانية والحسد ، وهي من عناصرهم ومقوّماتهم ، وقد بدت هذه الظاهرة بصورة واضحة للبيت الهاشمي الذي لمع نجمه بسيّد الكائنات الرسول محمّد ﷺ فقد ورمت منه أُنوفهم وتميّزوا غيظاً منهم .

لقد ظهر حقد القرشيين على أهل بيت النبوة عليهم السلام بصورة واضحة بعد انتقال النبي ﷺ إلى حظيرة القدس فقد رفعوا عقيرتهم بصورة محمومة بهذا الشعار المزيف :

لَا يَجْتَمِعُ سَيفانِ بِغِمْدٍ واحِدٍ.

لَا تَجْتَمِعُ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ فِي بَيْتٍ واحِدٍ.

وحقّقوا ما أرادوه بالقوة والحيلة والقهر، فأقصوا أهل البيت عن الخلافة، وقبضوا على الحكم بيد من حديد، وقد منيت الأُمّة من جراء ذلك بالأزمات الخطيرة والنكبات السود، وكان من أقسى الكوارث التي عاناها المسلمون استيلاء الأمويّين على الحكم، وإمعانهم في الظلم والاستبداد، وإرغام الناس على ما يكرهون، ومن مساوئ حكمهم كارثة كربلاء التي انتهكت فيها حرمة الرسول ﷺ التي هي أولى بالرعاية والتكريم من كل شيء، فلم تمض على انتقاله إلى حظيرة القدس خمسون عاماً وإذا برؤوس أبنائه على الرماح يطاف بها الأقطار والأمصار، وبنات الوحي ومخدّرات الرسالة سبايا من بلدٍ إلى بلد يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد... هذا ما أرادته قريش لأهل بيت النبوة فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وعلى أي حال فلنعد إلى ما نحن بصدده، وهو عرض إحتجاجات الإمام عليه السلام على الخلفاء، وهذه بعضها:

احتجاجه على أبي بكر

تقلّد أبو بكر الخلافة واستولى على أزمة الحكم وذلك بجهود حزبه ، وفي طليعتهم مستشاره ووزيره عمر بن الخطّاب ، فقد دفع الناس دفعاً لمبايعته ، وقد لعبت درّته في الميدان ، ولولاه لما تمّت البيعة لأبي بكر ، وقد تخلّف عن بيعة أبي‌بكر بنو هاشم ، وأعلام الإسلام كعمّار بن ياسر وأبي ذرّ والزبير والمقداد وغيرهم ، كما تخلّف عن البيعة معظم أبناء الأوس والخزرج الذين كانوا يشكّلون العمود الفقري للقوّات الإسلامية ، فكانوا يرون أنّ الإمام عليه السلام أحقُّ وأولى بمركز الخلافة من غيره وذلك لنص النبيّ صلى الله عليه وآله عليه ، بالإضافة إلى مواهبه وعبقرياته وسائر ملكاته التي ترشّحه لقيادة الأُمّة .

وقد سارع أبو بكر إلى الإمام ليكسب رضاه ، ويضفي الشرعية على حكومته قائلاً :

يا أبا الحسن ، والله ما كان الأمر منّي ولا رغبة فيما وقّعت عليه ، ولا حرص عليه ، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأُمّة ، ولا قوة لي بمال ، ولا كثرة بعشيرة ، ولا استئثار به دون غيري ، فما لك تضمر عليّ ما لم أستحقه منك ، وتظهر لي الكراهة لما صرت فيه ، وتنظر إليّ بعين الشنآن ؟

واستخدم أبو بكر في حديثه الأساليب السياسية ، فأظهر زهده في الخلافة وعدم رغبته فيها ، وانّه لم تتوفّر في شخصيّته المؤهّلات التي ترشّحه لقيادة الأُمّة . . .

وردّ الإمام عليه بمنطقه الفيّاض قائلاً :

« فَما حَمَلَكَ عَلَيْهِ إذا لَمْ تَرْغَبْ فِيهِ ، وَلَا حَرَصْتَ عَلَيْهِ ، وَلَا وَثِقْتَ بِنَفْسِكَ فِي الْقِيامِ بِهِ ... » ؟

وحفل كلام الإمام بالرأي الأصيل ، فإنّ أبا بكر إذا لم يكن راغباً في الخلافة ولا حريصاً عليها فلماذا تقلّدها ؟

أجابه أبو بكر قائلاً :

حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله : « **إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلىٰ ضَلَالٍ** » ، ولمّا رأيت إجماعهم اتّبعت قول النبيّ صلى الله عليه وآله ، وخفت أن يكون إجماعهم على خلاف الهدى ، فأعطيتهم قود الإجابة ، ولو علمت أنَّ أحداً يتخلّف لامتنعت ...

ومعنى كلام أبي بكر أنّ الذي دعاه وحفّزه لأن يتقلّد الخلافة هو حديث النبي صلى الله عليه وآله ، وقد أجمعت الأُمّة على انتخابه واختياره ، فلم يجد سبيلاً للتخلّف عن إجماعها .

ووجّه الإمام إليه السؤال الثاني قائلاً :

« **أَمّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ** صلى الله عليه وآله : **إِنَّ اللهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلىٰ ضَلَالٍ ، فَكُنْتُ** ـ ويعني نفسه الشريفة ـ **مِنَ الْأُمَّةِ أَمْ لَمْ أَكُنْ ؟** » .

فأجاب أبو بكر : بلى .

واندفع الإمام قائلاً :

« وَكَذٰلِكَ الْعِصابَةُ الْمُمْتَنِعَةُ عَنْكَ مِنْ سَلْمانَ وَعَمّارٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَالْمِقْدادِ وَابْنِ عبادَةَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصارِ ... » .

عرض الإمام إلى الكوكبة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله التي امتنعت من بيعة أبي بكر ،

وأنّهم من الأُمّة ، وقد اعترف أبو بكر بذلك .

ثمّ وجّه الإمام له السؤال الثالث :

«كَيْفَ تَحْتَجُّ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمْثَالُ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَخَلَّفُوا عَنْكَ ؟ وَلَيْسَ لِلأُمَّةِ فِيهِمْ طَعْنٌ وَلَا فِي صُحْبَةِ الرَّسُولِ لِصُحْبَتِهِ مِنْهُمْ تَقْصِيرٌ . . . » ؟

وفنّد الإمام كلام أبي بكر ، وأقام الحجّة على مدّعاه .

وانبرى أبو بكر قائلاً :

ما علمت بتخلّفهم إلّا بعد إبرام الأمر ، وخفت إن قعدت عن الأمر أن يرجع الناس مرتدّين عن الدين ، وكان ممارستهم إليّ إن أجبتهم أهون مؤنة على الدين ، وإبقاء له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعون كفاراً ، وعلمت أنّك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم . . .

والتفت الإمام إلى أبي بكر قائلاً :

«أَجَلْ ، وَلٰكِنْ اخْبِرْنِي عَنْ الَّذِي يَسْتَحِقُّ هٰذَا الْأَمْرَ ـ يعني الخلافة ـ **بِمَا يَسْتَحِقُّهُ ؟ »** .

جواب أبي بكر عمّن يستحق الخلافة : بالنصيحة ، والوفاء ، ودفع المداهنة ، وحسن السيرة ، وإظهار العدل ، والعمل بالكتاب والسنّة ، وفصل الخطاب ، مع الزهد في الدُّنيا وقلّة الرغبة فيها ، وانتصاف المظلوم من ظالمه للقريب والبعيد . . .

لقد أدلى أبو بكر بالصفات التي يجب أن تتوفّر فيمن يتصدّى للخلافة .

وأضاف الإمام إلى تلك الصفات صفات اُخرى يجب أن يتّصف بها القائد العام للأُمّة قائلاً :

« وَالسَّابِقَةُ وَالْقَرابَةُ » .

وأراد الإمام من السابقة : السبق للإسلام ، ومن القرابة : القرابة للرسول صلى الله عليه وآله ، وهذان الشرطان متوفّران في الإمام دون غيره ، فهو أوّل من آمن بالرسول صلى الله عليه وآله ، كما أنّه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . وأقرّه أبو بكر على ذلك .

وأخذ الإمام يدلي على أبي بكر ببعض صفاته التي لم تتوفّر عند غيره قائلاً :

« أَنْشُدُكَ بِاللهِ يا أَبا بَكْرٍ ، أَفِيْ نَفْسِكَ تَجِدُ هٰذِهِ الْخِصالَ ؟ » .

أبو بكر : بل فيك يا أبا الحسن .

« فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا الْمُجِيبُ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله قَبْلَ ذُكْرانِ الْمُسْلِمِينَ أَمْ أَنْتَ ؟ » .

أبو بكر : بل أنت . . .

« فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا صاحِبُ الْأَذانِ لِأَهْلِ الْمَوْسِمِ وَالْجَمْعِ الْأَعْظَمِ لِلاُمَّةِ بِسُورَةِ بَراءَةَ أَمْ أَنْتَ ؟ » .

عرض الإمام عليه السلام إلى تبليغ سورة براءة لأهل مكّة التي عهد بها الرسول إلى أبي بكر ، ثمّ نزل عليه الوحي بعزله ، وإسناد هذه المهمّة إلى الإمام ، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في بعض بحوث هذه الموسوعة .

أبو بكر : بل أنت .

« فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا وَقَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله بِنَفْسِي يَوْمَ الْغارِ أَمْ أَنْتَ ؟ » .

حكت هذه الكلمات ما قام به الإمام عليه السلام في مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وآله حينما أحاطت قريش بدار النبي صلى الله عليه وآله لقتله ، وقد فداه الإمام بنفسه ، وليس لأحد من الأُسرة النبوية أو الصحابة مثل هذه الكرامة التي اختصّ بها الإمام .

أبو بكر : بل أنت .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَلِيَ الْوِلَايَةُ مِنَ اللهِ مَعَ رَسُولِهِ فِي آيَةِ الزَّكَاةِ بِالْخَاتَمِ أَمْ لَكَ ؟ ».

ذكر الإمام عليه السلام ما نزل في القرآن في حقّه حينما تصدّق بخاتمه على المسكين في صلاته وهي : **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾**(١).

فقد حصرت الآية الولاية العامّة على المسلمين في الله والرسول والذين آمنوا وهو الإمام ، وعبّرت الآية عنه بصيغة الجمع تعظيماً وتكريماً له .

أبو بكر : بل لك .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَبِيَ بَرَزَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَبِأَهْلِي وَوَلَدَيَّ فِي مُبَاهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ أَمْ بِكَ ؟ ».

وثمّة منقبة أُخرى أدلى بها الإمام شاركته فيها سيّدة النساء والسبطان ، وذلك في مباهلة النبيّ صلى الله عليه وآله مع أهالي نجران ، فإنّه لم يصحب معه للمباهلة صنو أبيه عمّه العباس ، ولا المخدّرات من بني هاشم ، ولا السيّدات من نسائه ، وإنّما اصطحب الإمام وزوجته وابنيه ، وقد ذكرنا تفصيل هذه الحادثة في بعض أجزاء هذه الموسوعة ، واعترف أبو بكر بذلك فقال :

بل فيكم .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَلِيَ الْوَزَارَةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وَالْمِثْلُ مِنْ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ أَمْ لَكَ ؟ ».

عرض الإمام عليه السلام لفضيلتين أضفاهما عليه النبي صلى الله عليه وآله ، وهما :

---

(١) المائدة : ٥٥.

الأولى : أنّ النبي ﷺ اتّخذه وزيراً له ، وقد صرّح بذلك في عدّة مناسبات ذكرنا مصادرها في الجزء الأوّل من هذا الكتاب .

الثانية : أنّ النبيّ ﷺ جعل الإمام منه بمنزلة هارون من موسى ، فقد قال له : « **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ...** » .

أبو بكر اعترف بذلك قائلاً :

بل لك .

« **فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَلِيَ وَلِأَهْلِي وَوُلْدِيْ آيَةَ التَّطْهِيرِ مِنَ الرِّجْسِ أَمْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ؟** » .

أشار الإمام عليه السلام إلى آية التطهير وهي : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[1] ، فقد نزلت فيه وفي سيّدة النساء وسبطي الرحمة وإمامي الهدى عليهم السلام ، وقد ذكرنا في الجزء الأوّل من هذه الموسوعة المصادر التي دلّت على ذلك .

أبو بكر : بل لك ولأهل بيتك ـ يعني آية التطهير ـ .

« **فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا صاحِبُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَهْلِي وَوَلَدَيَّ يَوْمَ الْكِساءِ : اللَّهُمَّ هٰؤُلاءِ أَهْلِي إِلَيْكَ لا إِلَى النّارِ ، أَمْ أَنْتَ ؟** » .

عرض الإمام عليه السلام إلى حديث الكساء الذي ضمّ الإمام وسيّدة نساء العالمين والسبطين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، والحديث يدلُّ على عظم منزلة أهل البيت عليهم السلام وسموّ مكانتهم عند الله ورسوله .

أبو بكر : بل أنت وأهلك وولدك .

---

(١) الأحزاب : ٣٣.

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا صاحِبُ آيَةِ ﴿ يُوْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمَاً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾[1] أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أشار الإمام عليه السلام إلى نذر الإمام وسيّدة النساء وجاريتها فضة حينما مرض الحسنان أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله إن برئا من مرضهما ، فأبلا من مرضهما فصاموا جميعاً ، وحين الإفطار طرق البابَ مسكين يشكو الجوع فتبرّعوا بإفطارهم ولم يتناولوا شيئاً سوى الماء القراح .

وفي اليوم الثاني قبل الإفطار طرق البابَ يتيم يشكو الجوع ، فناولوه إفطارهم ، وطووا ليلتهم جوعاً .

وفي اليوم الثالث طرق البابَ أسير يستميحهم القوت ، فناولوه إفطارهم ، وقد ذابت أجسامهم وصاروا أشباحاً ، فلمّا رآهم النبيّ صلى الله عليه وآله فزع وانهارت قواه ، فنزل عليه الوحي بسورة : ﴿ **هَلْ أَتىٰ**... ﴾ وفيها تقييم من الله تعالى لإيثارهم ، وإشادة ببرّهم وإحسانهم ، وقد أضفى عليهم وساماً خالداً خلود الدهر .

أبو بكر : بل أنت .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي رُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لِوَقْتِ صَلَاتِهِ فَصَلّاها ، ثُمَّ تَوارَتْ أَمْ أَنا ؟ ».

حديث ردّ الشمس على الإمام ذكرته الخاصّة والعامّة ، وقد ذكر المحقّق الأميني رحمه الله كوكبة من المصادر التي ذكرت ذلك .

أبو بكر : بل أنت .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الْفَتَى الَّذِي نُودِيَ مِنَ السَّماءِ : لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفِقارِ ،

---

(١) الإنسان : ٧.

وَلَا فَتىٰ إِلَّا عَلِيٌّ ، أَمْ أَنا ؟ ».

نودي الإمام من السماء بهذا النداء في واقعة اُحد ، وهو من الأوسمة الرفيعة التي تقلّدها .

أبو بكر : بل أنت .

« **فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي حَباكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِرايَتِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ فَفَتَحَ اللهُ لَهُ أَمْ أَنا ؟** ».

قاد النبيّ صلى الله عليه وآله حملة عسكرية إلى فتح خيبر التي هي أهم حصن لليهود ، وقد أسند قيادة جيشه إلى أبي بكر فرجع منهزماً ، ثمّ أسند القيادة إلى عمر فكان كصاحبه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « **لَأُعْطِيَنَّ غَداً الرّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّه اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلىٰ يَدَيْهِ** » ، فلمّا أصبح الصبح دعا النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام عليّاً ، وكان يشتكي من عينيه ، فسقاه بريقه فبرئ وسلّم الراية ، وحمل على اليهود ، ففتح الله على يده ، وقد ذكرنا تفصيل القصة في بعض أجزاء هذه الموسوعة .

أبو بكر : بل أنت .

« **فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي نَفَّسْتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ بِقَتْلِ عَمْرو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ أَمْ أَنا ؟** ».

عمرو بن عبد ودّ أعظم فارس في الجزيرة العربية ، وقد برز في واقعة الخندق يطلب من المسلمين من يبارزه منهم ، فلم يستجب له أحد وخيّم عليهم الخوف ، فانبرى إليه بطل الإسلام الإمام عليه السلام فأرداه صريعاً يتخبّط بدمه ، وكان لقتله الأثر الفعّال في هزيمة المشركين ، وقتل هذا الجاهلي الخطير من الأيادي البيضاء التي أسداها الإمام على الإسلام والمسلمين .

أبو بكر : بل أنت .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا الَّذِي طَهَّرَهُ اللهُ مِنَ السِّفاحِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلىٰ أَبِيهِ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « خَرَجْتُ أَنا وَأَنْتَ مِنْ نِكاحٍ لَا مِنْ سِفاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلىٰ عَبْدِالْمُطَّلِبِ » أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أبو بكر: بل أنت .

حكى حديث الإمام إلى ما نقله الرواة إلى أنّ النبيّ ﷺ وابن عمّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خرجوا من لدن آدم من نكاح غير سفاح[1] .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا الَّذِي اخْتارَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَزَوَّجَنِي ابْنَتَهُ فاطِمَةَ عليها السلام ، وَقالَ : اللهُ زَوَّجَكَ إِيّاها فِي السَّماءِ ، أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أبو بكر: بل أنت .

زواج الإمام من سيّدة نساء العالمين بأمر الله حديث متّفق عليه عند جميع الرواة .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا والِدُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ سِبْطَيْهِ وَرَيْحانَتَيْهِ إِذْ يَقُولُ : هُما سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَبُوهُما خَيْرٌ مِنْهُما ، أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أبو بكر: بل أنت .

امتاز الإمام عليه السلام على بقيّة المسلمين بولديه السبطين ريحانتي رسول الله ﷺ وسيّدي شباب أهل الجنّة الحسن والحسين عليهما السلام .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَخُوكَ الْمُزَيَّنُ بِالْجناحَيْنِ يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلائِكَةِ أَمْ أَخِي ؟ ».

أبو بكر: بل أخوك .

---

(١) يراجع في ذلك ينابيع المودة: ١٦ . كنز العمال ٦: ١٠٠ .

ومن مزايا الإمام أنّ أخاه الشهيد العظيم جعفراً الطيّار الذي ، استشهد في مؤتة دفاعاً عن الإسلام ، ووقف صامداً حتى قطعت يداه ، وأصابته تسعون ضربة ما بين طعنة بالرمح وضربة بالسيف ، وقد أبدله الله تعالى عن يديه بجناحين يطير بهما في الفردوس الأعلى مع الملائكة .

« **فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا ضَمِنْتُ دَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَنادَيْتُ فِي الْمَواسِمِ بِإِنْجازِ مَوْعِدِهِ أَمْ أَنْتَ ؟** » .

أبو بكر : بل أنت .

أشار الإمام عليه السلام بكلماته إلى حديث النبيّ ﷺ انّه جمع الأقربين من أُسرته ، وقال لهم :

« **مَنْ يَضْمَنْ عَنِّي دَيني ومواعدي يَكُنْ مَعِي فِي الْجَنَّةِ وَيَكُنْ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي ؟** » .

فانبرى إليه الإمام وقال : « **أَنا يا رَسُولَ اللهِ** » .

ذكر ذلك أحمد في مسنده ،كما ذكره الثعلبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾[1] .

« **فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا الَّذِي دَعاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالطَّيْرُ عِنْدَهُ يُرِيدُ أَكْلَهُ ، يَقُولُ : اللّهُمَّ إِيْتِني بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيَّ وَإِلَيْكَ بَعْدِي يَأْكُلُ مَعِي مِنْ هٰذَا الطَّيْرِ فَلَمْ يَأْتِهِ غَيْرِي ، أَمْ أَنْتَ ؟** » .

أبو بكر : بل أنت .

حديث الطائر المشوي أجمع الرواة على نقله ، وقد دلّ بوضوح على أنّ

---

(١) الشعراء : ٢١٤.

الإمام أحبّ الخلق إلى الله وإلى رسوله[١].

« فـأَنْشُدُكَ بِـاللهِ ، أَنـا الَّـذِي بَشَّـرَنِي رَسُـولُ اللهِ ﷺ بِـقِتالِ النّـاكِـثِينَ وَالْقاسِطِينَ وَالْمارِقِينَ عَلىٰ تَأْوِيلِ الْقُرآنِ أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أبو بكر: بل أنت.

ألمح الإمام في كلماته إلى حديث رسول الله ﷺ حينما كان عند أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة فجاء عليّ فقال لها:

« يا أُمَّ سَلَمَةَ ، هٰذا قاتِلُ الْقاسِطِينَ وَالنّاكِثِينَ وَالْمارِقِينَ مِنْ بَعْدِي »[٢].

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِـعِلْمِ الْقَضاءِ وَفَـصْلِ الْخِطابِ بِقَوْلِهِ : عَلِيٌّ أَقْضاكُمْ ، أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أبو بكر: بل أنت.

تظافرت الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال في أصحابه: **« أَقْضاكُمْ عِلِيُّ بْـن أَبِـي طالِبٍ »**[٣].

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا الَّذِي أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالسَّلامِ عَـلَيْهِ بِـالْإِمْرَةِ فِـي حَياتِهِ أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أبو بكر: بل أنت.

ألمح الإمام عليه السلام إلى ما أمر به النبيّ ﷺ أن يسلّموا على الإمام بإمرة المؤمنين.

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنا الَّذِي شَهِدْتُ آخِرَ كَلامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَوَلِيْتُ غُسْلَهُ

---

(١) يراجع في ذلك: أُسد الغابة ٤: ٣٠. مستدرك الحاكم ٣: ١٣٠، وغيرهما.

(٢) الرياض النضرة: ٣٢٠.

(٣) يراجع في ذلك: الاستيعاب ٢: ٤٦١.

وَدَفْنَهُ أَمْ أَنْتَ ؟ ».

أبو بكر : بل أنت .

كان الإمام عليه السلام آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله وهو الذي تولّى غسله ودفنه(١).

« فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَقَتْ لَهُ الْقَرابَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَمْ أَنا ؟ ».

أبو بكر : بل أنت .

أمّا الإمام عليه السلام فهو من ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وأقربهم إليه ، فهو أخوه ، وابن عمّه ، وختنه على سيّدة نساء العالمين ، وأبو سبطيه ، وليس لغيره هذه المنزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله .

« فَأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي حَباكَ اللهُ بِالدِّينارِ عِنْدَ حاجَتِهِ إِلَيْهِ ، وَباعَكَ جِبْرَئِيلُ ، وَأَضَفْتَ مُحَمَّداً فَاطْعَمْتَ وُلْدَهُ أَمْ أَنا ؟ ».

أبو بكر : بل أنت .

ألمح الإمام عليه السلام في كلامه إلى أنّ سيّدة نساء العالمين طلبت من الإمام عليه السلام أن يخرج ليقترض لهم ما يسدّ رمقهم من الجوع ، فخرج فلم يجد أحداً يستقرض منه إلّا أنّه التقط ديناراً فعرّف به فلم يجد له صاحباً ، وعرضت عليه حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يستقرضه ، ومتى جاء صاحبه أعطوه مكانه ، فأخذ الإمام عليه السلام الدينار ومضى إلى السوق فوجد رجلاً يبيع الطعام فاشترى منه بدينار ، إلّا أنّ صاحب الطعام أبى أن يأخذ الدينار .

وفي اليوم الثاني خرج الإمام إلى السوق ليشتري طعاماً لهم فوجد الرجل

---

(١) يراجع في ذلك : مستدرك الحاكم ٣ : ١١١ . ذخائر العقبى : ٧٢ . الرياض النضرة ٢ : ٢٣٧ .

الذي باعه الطعام قد عرض طعاماً للبيع فاشترى منه ، وناوله الدينار فامتنع من أخذه .

وفي اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، فسارع الإمام عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وعرض عليه الأمر فأخبره النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّ صاحب الطعام هو جبرئيل[1] .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي جَعَلَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلىٰ كَتِفِهِ فِي طَرْحِ صَنَمِ الْكَعْبَةِ وَكَسْرِهِ حَتّىٰ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَنالَ أُفُقَ السَّماءِ لَنِلْتُها أَمْ أَنا ؟ » .

أبو بكر : بل أنت .

عرض الإمام في حديثه إلى تحطيمه لأصنام قريش التي اتّخذتها آلهة يعبدونها من دون الله ، وقد حطّمها الإمام عليه السلام في فتح مكّة ، وقضى على خرافات الجاهلية ، والحديث مستفيض ذكرته مصادر التأريخ والحديث .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي قَالَ لَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : أَنْتَ صاحِبُ لِوائِي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، أَمْ أَنا ؟ » .

أبو بكر : بل أنت .

حكى الإمام عليه السلام الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : **« يا عَلِيُّ ، أَنْتَ صاحِبُ لِوائِي فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ »** ، هذا الحديث متواتر مستفيض .

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ ، أَنْتَ الَّذِي أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِفَتْحِ بابِهِ فِي مَسْجِدِهِ عِنْدَما أَمَرَ بِسَدِّ أَبْوابِ جَمِيعِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحابِهِ ، وَأَحَلَّ لَكَ فِيهِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُ ، أَمْ أَنا ؟ » .

أبو بكر : بل أنت .

---

(١) يراجع في ذلك : مناقب الخوارزمي : ٢٢٤ .

عرض الإمام عليه السلام إلى أمر النبي صلى الله عليه وآله بسدّ جميع الأبواب التي كانت على المسجد إلّا باب عليّ عليه السلام فقد أبقاها، وكان ذلك تكريماً للإمام عليه السلام[1].

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ، أَنْتَ الَّذِي قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوىٰ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله صَدَقَةً فَناجَيْتَهُ إِذْ عاتَبَ اللهُ قَوْماً فَقالَ: ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ... ﴾[2] أَمْ أَنا؟ ».

أبو بكر: بل أنت.

من آداب الإمام عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه إذا أراد أن يناجيه قدّم صدقة ثمّ يناجيه، ولم يعمل مثل ذلك من الصحابة غيره[3].

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ، أَنْتَ الَّذِي قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِفاطِمَةَ: زَوَّجْتُكِ أَوَّلَ النَّاسِ إِيماناً، وَأَرْجَحَهُمْ إِسْلَاماً، فِي كَلَامٍ لَهُ، أَمْ أَنا؟ ».

أبو بكر: بل أنت.

أشار عليه السلام إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام حينما عرض عليها الزواج من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها:

« أَما تَرْضِينَ أَنِّي زَوَّجْتُكِ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ إِسْلَاماً، وَأَعْلَمَهُمْ عِلْماً... »[4].

« فأَنْشُدُكَ بِاللهِ يا أَبا بَكْرٍ، أَنْتَ الَّذِي سَلَّمَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ يَوْمَ الْقَلِيبِ أَمْ أَنا؟ ».

---

(١) يراجع في ذلك: كنز العمال ٦: ١٥٢. مستدرك الحاكم ٢: ١٢٥. الرياض النضرة ٢: ٢٥٣.

(٢) المجادلة: ١٣.

(٣) يراجع في ذلك: الرياض النضرة ٢: ٢١٥.

(٤) يراجع في ذلك: كنز العمال ٦: ١٥٣ وغيره.

أبو بكر: بل أنت.

عرض الإمام عليه السلام إلى قيامه بسقي الماء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه في ليلة بدر، فقد طلب منهم ذلك فلم يستجب له أحد منهم سوى الإمام، فقد انبرى ومعه قربة إلى بئر بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها، فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل بالقيام بنصرة رسوله، فهبطوا إلى الأرض، فلمّا حاذوا القليب وقفوا وسلّموا على الإمام إكراماً وتبجيلاً له[1].

موقف أبي بكر:

ووجم أبو بكر أمام هذه الحجج الحاسمة التي أدلى بها الإمام عليه السلام، والتي تدلُّ بوضوح على أنّ الإمام أحقُّ بالأمر وأولى به من غيره، وقد سدّت على أبي بكر جميع النوافذ، فاستجاب لرأي الإمام إلّا أنّ عمر صدّ أبا بكر عمّا عزم عليه من التخلّي عن منصبه[2].

لا أكاد أعرف مناظرة قائمة على العلم والحقّ، خالية عن الالتواء والغلبة سوى هذه المناظرة المشفوعة بأوثق الحقائق، والتي وضعت النقاط على الحروف، وكان الأوْلى بأبي بكر أن يستجيب لها إلّا أنّ صاحبه عمر ومستشاره صدّه عن ذلك.

---

(١) يراجع في ذلك: ذخائر العُقبى: ٦٨ ـ ٦٩. تذكرة الخواص: ٢٢٨.

(٢) الاحتجاج ١: ١٥٧ ـ ١٨٤.

احتجاجه على أبي بكر وحزبه

ولمّا أُخذ الإمام عليه السلام قسراً إلى الجامع النبوي ليبايع أبا بكر أحاط به حزب أبي بكر، وصاحوا به: بايع أبا بكر، فأجابهم الإمام بحجّته البالغة، ومنطقه الفيّاض قائلاً:

«أَنا أَحَقُّ بِهٰذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، لَا أُبايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلىٰ بِالْبَيْعَةِ لِي، أَخَذْتُمْ هٰذَا الْأَمْرَ - يعني الخلافة - **مِنَ الْأَنْصارِ وَاحْتَجَجْتُمْ عَلَيهم بِالْقَرابَةِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، وَتَأْخُذُونَهُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ غَصْباً؟**

أَلَسْتُمْ زعمتُم لِلْأَنْصارِ أَنَّكُمْ أَوْلىٰ بِهٰذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ لِمَكانِكُم مِن رَسُولِ اللهِ فأَعْطُوكُمْ الْمَقادَةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْكُم الْإمارَةَ؟

وَأَنا احْتَجُّ عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ ما احْتَجَجْتُم بِهِ عَلَى الْأَنْصارِ، نَحْنُ أَوْلىٰ بِرَسُولِ اللهِ حَيّاً وَمَيّتاً، فَأَنْصِفُونا إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ، وَإِلَّا فَبُوْءُوا بِالظُّلْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ...»[1].

وسلك الإمام عليه السلام بهذا الاحتجاج الصارم نفس الطريقة التي احتجّ بها المهاجرون على الأنصار من أنّهم أمسّ الناس رحماً برسول الله صلى الله عليه وآله، وبه تغلّبوا على الأنصار وتسلّموا قيادة الحكم، وهذه الجهة قد توفرت في الإمام عليه السلام على النحو

(١) الاحتجاج ١: ٧٣.

الأكمل فهو ابن عم النبي وختنه على بضعته سيدة نساء العالمين ، وأبو سبطيه فهو أمسّ الناس رحماً بالنبي ﷺ وأولى بمركزه وأحقُّ بمقامه .

مع عمر

وثار ابن الخطّاب على الإمام بعد ما أدلى بحجّته ، فقال له :

إنّك لست متروكاً حتى تبايع ....

فزجره الإمام وصاح به :

« **اِحْلِبْ حَلباً لَكَ شَطْرُهُ ، وَاشْدُدْ لَهُ الْيَوْمَ أَمْرَهُ لِيُرَدَّ عَلَيْكَ غَداً** » .

وأوضح الإمام السبب في اندفاع ابن الخطاب وحماسه في بيعة أبي بكر انّه يرجو أن ترجع إليه الخلافة بعده .

ثمّ ثار الإمام في وجه عمر ، وقال :

« **وَاللهِ يا عُمرُ لَا أَقْبَلُ قَوْلَكَ ، وَلَا أُبايِعُه ...** » .

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث ، فأجاب الامام بناعم القول : إن لم تبايع فلا أُكرهك عليه ...

وخلّى أبو بكر سبيل الإمام ، ولم يرغمه على البيعة له .

احتجاج الإمام على المهاجرين

واحتجَّ الإمام على المهاجرين باحتجاج صارم لأنهم وقفوا ضده، وحالوا بينه وبين حقه، فخاطبهم بأسى ولوعة قائلاً:

«يا مَعْشَرَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ، اللهَ اللهَ لَا تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ ﷺ في العرب عن داره وَقَعْرِ بَيْتِهِ إلىٰ دُورِكُمْ وَقَعْرِ بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ مَقامِهِ فِي النَّاسِ وحقّه، فَواللهِ يا مَعْشَرَ الْمُهاجِرِينَ لَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ؛ لأَنّا أَهْلُ الْبَيْتِ وَنَحْنُ أحقُّ بِهٰذَا الْأَمْرِ مِنكُمْ، أَما كانَ مِنّا الْقارِئُ لِكِتابِ اللهِ، الْفَقِيهُ فِي دِينِ اللهِ، الْعالِمُ بِسُنَنِ رسولِ اللهِ، الْمُضْطَلِعُ بِأَمْرِ الرَّعِيّةِ، الدّافِعُ عَنْهُم الْأُمُورَ السَّيِّئَةَ، الْقاسِمُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيّةِ، وَاللهِ إِنَّهُ لَفِينا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهوىٰ فَتَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَتَزْدادُوا عَنِ الْحَقِّ بُعْداً..»[1].

ولو أنّ المهاجرين استجابوا لنداء الحق وآثروا الصالح العام لما عانت الأُمّة الأزمات الحادة، على امتداد التأريخ الإسلامي.

إنّ الحسد لآل البيت عليهم السلام قد نخر قلوبهم وألقاهم في شرٍّ عظيم، وباعد بينهم وبين دينهم.

لقد اقصوا الأُسرة النبوية عن قيادة الأُمّة، وحالوا بينها وبين ما أراده الله

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١١ ـ ١٢. شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٦: ١١ ـ ١٢.

ورسوله لها ، فتركوهم في أرباض يثرب حتى انتهى المطاف إلى أن يتسلّم الأمويون مركز الحكم ، ويستولوا على مقدرات الدولة فينفقوها على شهواتهم وملاذهم ، ويمعنوا في قتل قادة الإسلام أمثال حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وتعدّوا إلى ما هو أفظع من ذلك كلّه وهو إبادة العترة النبوية التي هي عديلة الذكر الحكيم حسبما نصّ عليه حديث الثقلين ، ومجزرة كربلاء ، وما جرى على آل الرسول من الخطوب السود والنكبات القاسية ناجم عن تصرفات المهاجرين الذين هم الطلائع للأُسر القرشية التي ناجزت الإسلام .

الإمام مع أعضاء الشورى

وأقام عمر بعد اغتياله نظام الشورى ، وهونظام هزيل لا يحمل أي طابع من الشورى الواقعية التي تمثِّل جميع قطاعات الشعب ، فقد حصرها في ستة أشخاص فكان معظمهم من الحاقدين على الإمام أمثال سعد بن أبي وقاص وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن عوف .

وحسب الدراسات العلمية التي لا تخضع للنزعات الطائفية إنّ الغرض من هذه الشورى اقصاء الإمام عن مركز الحكم ، وتسليمه إلى عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأموية ، وقد تكلّمنا عن هذه الشورى وحلّلنا أبعادها في بعض بحوث هذا الكتاب .

وعلى أي حال فإنا نعرض لاحتجاج الامام على أعضاء الشورى فقد قال لهم :

« لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَىٰ دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةِ رَحِمٍ ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ . فَاسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنْطِقِي ؛ عَسَىٰ أَنْ تَرَوْا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَىٰ فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ »(١) .

وكان الإمام عليه‌السلام رائد حق وداعية هداية في احتجاجه ، ولو انهم استجابوا له

---

(١) نهج البلاغة ـ محمّد عبده ٢ : ٣١.

ولم ينسابوا وراء شهوة الحكم لما واجه المسلمون الأزمات القاسية والأحداث الرهيبة .

لقد تحقّق ما تنبّأ به الإمام ، فلم تمض حفنة من السنين حتى انتضيت السيوف وتصارع القوم على الحكم ، فكان بعضهم من أئمّة الضلال ، وشيعة لأهل الجهالة والضلال .

إذعان الإمام لمصلحة المسلمين :

وأعرب الإمام عليه السلام حينما بويع عثمان عن إذعانه لمصلحة المسلمين ، فقد خاطب أعضاء الشورى قائلاً :

« **لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا** - أي الخلافة - **مِنْ غَيْرِي ؛ وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ** »[1] .

لقد كانوا على ثقة وإيمان انّ الإمام عليه السلام أحقُّ بالخلافة وأولى بالأمر من غيره ، فهو حامي الإسلام ، والمجاهد الأوّل ، وأخو النبي صلى الله عليه وآله .

وصبر الإمام على سلب تراثه حفظاً على كلمة الإسلام ووحدة المسلمين ، وقد أدلى بذلك بقوله عليه السلام :

« **إِنَّ اللهَ لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ اسْتَأْثَرَتْ عَلَيْنا قُرَيْشٌ بِالْأَمْرِ وَدَفَعَتْنا عَنْ حَقٍّ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنَ النَّاسِ كَافَّةً ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلىٰ ذٰلِكَ أَفْضَلُ مِنْ تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسَفْكِ دِمائِهِمْ ، وَالنَّاسُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ ، وَالدِّينُ يُمْخَضُ مَخْضَ الْوَطْبِ ، يُفْسِدُهُ أَدْنىٰ وَهْنٍ ، وَيَعْكِسُهُ أَقَلُّ خَلْقٍ ،**

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ٦ : ١٦٦ .

فَوَلِيَ الْأَمْرَ قَوْمٌ لَمْ يَأْلُوا فِي أَمْرِهِمِ اجْتِهاداً ، ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلىٰ دارِ الْجَزاءِ ، وَاللهُ وَلِيُّ تَمْحِيصِ سَيِّئاتِهِمْ ، وَالْعَفْو عَنْ هَفواتِهِم »[1] .

وقد عزى الإمام سكوته عن أخذ حقه من الذين اغتصبوه إلى الحفاظ على كلمة المسلمين ، وعدم اراقة دمائهم ، خصوصاً في تلك الظروف التي كان الإسلام في أوّل مراحله ، وإثارة الفتنة توجب إعراض الناس عن الإسلام واعتناق أديانهم التي كانوا يدينون بها .

كما تحدّث الإمام عمّا لحقه من ضيم وأذى من جراء ما اقترفه القوم تجاهه يقول عليه السلام :

« فَإِنَّهُ لَمّا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله قُلْنا : نَحْنُ أَهْلُهُ وَوَرَثَتُهُ وَعِتْرَتُهُ وَأَوْلِياؤُهُ دُونَ النَّاسِ ، لَا يُنازِعُنا سُلْطَانَهُ أَحَدٌ ، وَلَا يَطْمَعُ فِي حَقِّنا طَامِعٌ ، إِذِ انْبَرىٰ لَنَا قَوْمُنا فَغَصَبُونا سُلْطَانَ نَبِيِّنا ، فَصَارَتِ الْإِمْرَةُ لِغَيْرِنا ، وَصِرْنا سُوْقَةً ؛ يَطْمَعُ فِيْنا الضَّعِيفُ ، وَيَتَعَزَّزُ عَلَيْنا الذَّلِيلُ ، فَبَكَتِ الْأَعْيُنُ مِنّا لِذٰلِكَ ، وَخَشِنَتِ الصُّدُورُ ، وَجَزَعَتِ النُّفُوسُ ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْلَا مَخافَةُ الْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ يَعُودَ الْكُفْرُ وَيَبُورَ الدِّينُ لَكُنّا عَلىٰ غَيْرِ مَا كُنّا لَهُمْ عَلَيْهِ »[2] .

وحكت هذه الكلمات الآلام المرهقة التي عانتها الأُسرة النبوية من جرّاء اقصاء الخلافة عنهم ، وتسلّم القرشيين لها الذين امعنوا في ظلمهم واذلالهم .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١ : ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق ١ : ٣٠٧.

احتجاج آخر للإمام

روى أبو الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعت علياً عليه السلام يقول :

« بايَعَ النَّاسُ أَبا بَكْرٍ وَأَنا وَاللهِ أَوْلىٰ بِالْأَمْرِ مِنْهُ وَأَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ مَخافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النّاسُ كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقابَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ بايَعَ النّاسُ عُمر وَأَنا وَاللهِ أَوْلىٰ بِالْأَمْرِ مِنْهُ وَأَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ، فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ مَخافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النّاسُ كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقابَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُبايِعُوا عُثْمانَ إِذاً لَا أَسْمَعُ وَلَا أُطِيعُ .

وَإِنَّ عُمَرَ جَعَلَنِي مِنْ خَمْسَةِ نَفَرٍ أَنا سادِسُهُم لَا يَعْرِفُ لِي فَضْلاً عَلَيْهِمْ فِي الصَّلاحِ ، وَلَا يَعْرِفُونَهُ لِي كُلُّنا فِيهِ شرعُ سَواءُ ، وَأَيم اللهِ لَوْ أَشاءُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ عَرَبِيُّهُمْ وَلَا أَعْجَمِيُّهُمْ وَلَا مُعاهِدُ مِنْهُمْ وَلَا الْمُشْرِكُ رَدَّ خُصْلَةٍ مِنْها لَفَعَلْتُ »[1] .

وأنت ترى في هذه الكلمات مدى الصدعة والأسى التي في نفس الإمام عليه السلام من القوم الذين استهانوا بمكانته وعاملوه معاملة عادية ، وتنكروا لجميع حقوقه ، وقد امسك الإمام عن استعمال القوة في ارجاع حقه ، وذلك خوفاً على ردة المسلمين ، وانتكاس الدين ، وضياع الرسالة الإسلامية .

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٣٢٠.

احتجاجاته على المتمردين

كانت بيعة الإمام عامة اشتركت فيها جميع قطاعات الشعب بما فيها القوات المسلّحة التي أطاحت بحكومة عثمان بن عفان ، وقد باركتها الصحابة وباركها جميع المسلمين سوى الأُسر القرشية التي ناهضت رسول الله ﷺ ، فانها أصيبت بذهول ووجوم ، وتميّزت من الغيظ ، فقد خافت على مصالحها وما كانت تتمتع به من السيطرة على جهاز الدولة وتسخيراقتصادها لمصالحهم ، وهي على يقين لا يخامره شك أنّ الإمام عليه السلام يتحرى بكل دقة مصالح الأُمّة ، ويقيم فيها برامج السياسة الإسلامية الهادفة إلى نشر الرخاء والأمن بين المسلمين ، وابعاد العناصر المشبوهة ، ومعاملتها معاملة عادية تتّسم بعدم التقدير وعدم الإستجابة لرغباتها ومصالحها .

إنّ الأُسر القرشية تعرف الإمام عليه السلام أنه لا يُداهن أحداً في دينه ولا يصانع أي إنسان قريب أو بعيد ، وأنه يبغي في جميع تصرفاته وجه الله تعالى والدار الآخرة ، فلذا أجمعت على مناجزته ووضع الحواجز والسدود أمام سياسته ، وقبل أن نذكر بعض احتجاجاته معهم نعرض إلى مايلي :

لوعة الإمام من القرشيّين

التاع الإمام عليه السلام كأشد ما تكون اللوعة من القرشيين وبلغ به الحزن منهم أقصاه ، فقد استبان له عداؤهم السافر له وحقدهم البالغ عليه ، وقد ادلى عليه السلام بعدة مناسبات بعميق المه وحزنه منهم ، ولنستمع لبعضها :

١ ـ قال عليه السلام :

« **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ ، إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ؛ فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَلَىٰ الْقَذَىٰ ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَىٰ الشَّجَا ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَىٰ أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وخْزِ الشِّفَارِ** »[١] .

أرأيتم مدى حزن الإمام وأساه من ظلم القرشيين واعتدائهم عليه ، فقد قطعوا رحمه ، ونازعوه الخلافة التي هو أولى بها من غيره ، وأجبروه على ما أرادوه ، ولم يكن باستطاعة الإمام أن يناهضهم ، فلم تكن عنده قوة ولم يكن يأوي إلى ركنٍ شديد

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ١١ : ١٠٩ .

لينتزع حقه منهم فصبر على مافي الصبر من قذى في العين ، وشجى في الحلق .

٢ ـ قال عليه السلام :

« اللّٰهُمَّ إِنِّي استعديكَ عَلىٰ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّهُمْ أَضْمَرُوا لِرَسُولِكَ صلى الله عليه وآله ضُروباً مِنَ الشَّرِّ وَالْغَدْرِ فَعَجَزُوا عَنْها وَحُلْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَها ، فَكانَتْ الْوَجْبَةُ بِي وَالدَّائِرَةُ عَلَيَّ .

اللّٰهُمَّ احفظْ حَسَناً وَحُسَيناً ، وَلَا تُمَكِّنْ فَجَرَةَ قُرَيْشٍ مِنْهُما ما دُمْتُ حَيّاً ، فَإِذا تَوَفَّيْتَنِي فَأَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِم ، وَأَنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »(١) .

حكت هذه الكلمات مايلي :

أولاً : عداء القرشيين للرسول صلى الله عليه وآله ، وماأضمروه لهُ من ضروب الشر والغدر إلّا أنّ الله تعالى حال بينهم وبين مادبروا وأضمروا للنبي صلى الله عليه وآله من سوء ومكر فقد نصر نبيّه وأعزّ دينه .

ثانياً : أنّ دائرة القرشيين كانت على الإمام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، فقد استوفوا منه ديونهم التي كانت لهم على النبي صلى الله عليه وآله ، وشفوا غيظ صدورهم منه فسلبوه حقه ، وانتزعوا منه ولايته على المسلمين التي عقدها النبي له في غدير خمٍ .

ثالثاً : فإنّه أبدى مخاوفه على سبطي الرحمة وامامي الهدى الحسن والحسين من القرشيين الذين كانوا يبغون الغوائل لذرية الرسول صلى الله عليه وآله ، وقد تحقق ما كان يتخوف عليهما الإمام عليه السلام فالسبط الأوّل الإمام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، تجرّع أقسى الآلام من طاغية زمانه معاوية بن أبي سفيان فقد بالغ الطاغية في ظلم الإمام والاعتداء عليه ، وأخيراً دسّ إليه السم فقتله ، وأمّا أخوه الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢٠ : ٢٩٨ .

أبو الشهداء، فقد عمد يزيد بن معاوية الممثل الوحيد للأسر القرشية إلى السبط فأجهز عليه وعلى أهل بيته وأصحابه في أرض كربلاء، ورفع جيشه رؤوسهم على أطراف الرماح ومعها عقائل النبوة سبايا يطاف بهم في الأقطار والأمصار، وقد اعلنوا فرحتهم الكبرى باستئصالهم لذرية النبي ﷺ، وقد استوفوا بذلك ثارات بدر.

٣ ـ قال عليه السلام:

«حَتَّىٰ إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَىٰ الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَىٰ الْوَلَائِجِ[١]، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ[٢] الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ. قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَىٰ سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ»[٣].

وحفل كلام الإمام عليه السلام بما مني به المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ من الانقلاب على الأعقاب الذي كان من مظاهره إبعاد الأُسرة النبوية وإقصاؤها عن قيادة الأمة، وتقليد الخلافة إلى غيرها، وقد وصفهم بالأوصاف التي ذكرها والتي هي واضحة الدلالة بيّنة المفاد، ومن المؤكد أنه لم يقم بعملية الانقلاب إلّا الأُسرة القرشية الحاقدة على أهل البيت عليهم السلام.

٤ ـ قال عليه السلام:

«اللَّهُمَّ فَاجْزِ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوازِيَ، فَقَدْ قَطَعَتْ رَحِمِي، وَتَظَاهَرَتْ عَلَيَّ،

---

(١) **الولائج**: جمع وليجة، وهي البطانة التي يتّخذها الإنسان.

(٢) أراد بالسبب هم أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة الذين قرنهم الرسول بمحكم التنزيل.

(٣) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٩: ١٣٢.

وَدَفَعَتْنِي عَنْ حَقِّي ، وَسَلَبَتْنِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي ، وَسَلَّمَتْ ذٰلِكَ إِلىٰ مَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي قَرابَتِي مِنَ الرَّسُولِ وَسابِقَتِي فِي الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلىٰ كُلِّ حالٍ »(١) .

ويلمس في هذه الكلمات مدى لوعة الإمام عليه السلام وأساه على ضياع حقه ، ونهب تراثه الذي استأثرت به قريش .

٥ ـ قال عليه السلام :

« اللّٰهُمَّ أَخْزِ قُرَيْشاً فَإِنَّها مَنَعَتْنِي حَقِّي ، وَغَصَبَتْنِي أَمْرِي »(٢) .

٦ ـ قال عليه السلام :

« فَجَزى قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوازِي فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي حَقِّي وَاغْتَصَبُونِي سُلْطانَ ابْنِ أُمِّي »(٣) .

٧ ـ قال عليه السلام :

« اللّٰهُمَّ إِنِّي استعديك عَلىٰ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي حَقِّي وَغَصَبُونِي إِرْثِي »(٤) .

وأعربت هذه الكلمات عما لاقاه الإمام عليه السلام من الظلم والاعتداء من القرشيين فقد اجمعوا على مناهضته والحطّ من شأنه ، ولنستمع بعد هذا إلى احتجاجاته على المتمردين على حكومته من القرشيين .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٢ : ١١٩ .

(٢) (٤) نهج البلاغة : ٣٤٦ .

(٣) المصدر السابق : ٣٣٦ .

احتجاجاته على طلحة والزبير

بايع الزبير وطلحة الإمام عليه السلام عن رضى لا إكراه فيه ، ولمّا تمّ الأمر للإمام وأعلن منهجه في الحكم ، وانه يسير على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستأثر بشيء من أموال المسلمين ، وإنما يحتاط فيها كأشد ما يكون الاحتياط ، وقد جرت بينه وبين طلحة والزبير عدّة مناظرات كان منها مايلي :

سارع طلحة والزبير نحو الإمام ، وهما يرفعان عقيرتهما قائلين : هل تدري عَلَام بايعناك يا أمير المؤمنين ؟

فرمقهما الإمام بطرفه ، وقال برنة المستريب منهما :

« نَعَمْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَعَلىٰ ما بايَعْتُمْ عَلَيْهِ أَبا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمانَ » .

وكشفا عن نواياهما وأطماعهما قائلَين : ولكن بايعناك على أنّا شريكاك في الأمر . . .

ماذا يعني الشيخان في الاشتراك في الأمر ؟

هل يبغيان أن تسير الدولة في برامجها السياسية والاقتصادية على ضوء الكتاب والسُّنّة ، ويكونا عوناً للإمام على تحقيق هذه الغاية النبيلة ؟

هل الاشتراك في الأمر معناه بذل الجهود لسير البلاد قدما في تطورها

الاقتصادي وتنمية دخل الفرد ونشر الرخاء بين المواطنين واشاعة العلم بين الناس ؟

كل ذلك لم يفكّر فيه طلحة والزبير ، وإنّما المقصود هو الاستيلاء على مقدّرات الدولة وأجهزة الحكم ، والاستيلاء على ثروات الأُمّة ، واخضاعها لرغباتهما وشهواتهما .

ولم تخف على الإمام أطماعهما فردّ عليهما قائلاً :

« وَلٰكِنَّكُما شَرِيكانِ فِي الْقَوْلِ وَالاسْتِقامَةِ وَالْعَوْنِ عَلَى الْعَجْزِ وَالأَوْدِ ... » .

إنّ الذي يفهمه الإمام من مشاركتهما له المشاركة على الاستقامة وعدم الانحراف عن الخط الإسلامي الذي يعنى قبل كلّ شيءٍ بإسعاد المجتمع ، ونفي الحاجة والبؤس ، وتوزيع خيرات الله تعالى على الجميع .

وهذا المنطق لا يفهمه طلحة ولا يعيه الزبير ، انّ الذي يعنيهما قبل كلّ شيء الاستيلاء على خيرات الأُمّة ومقدراتها الاقتصادية .

ولمّا استبان للشيخين ضياع أملهما ، وعدم فوزهما بتحقيق آمالهما انطلقا صوب الإمام يطلبان الإذن لهما في الخروج من يثرب ليعلنا التمرّد على حكومة الإمام فقالا له : ائذن لنا يا أمير المؤمنين .

« إِلىٰ أَيْن ؟ » .

نريد العمرة .

فرمقهما الإمام بطرفه ، وقد عرف خفايا نفوسهما ، وما أنطوت عليه قلوبهما من الشر ، قائلاً لهما برنة المستريب :

« وَاللهِ ما الْعُمْرَةَ تُرِيدانِ ! ! بَلِ الْغَدْرَةَ وَنَكْثَ الْبَيْعَةِ » !

ولم يخفَ على الإمام ما انطوت عليه نفوسهما من الشر والغدر والمكيدة

وأخذا يقسمان بالله ويحلفان بالأيمان المغلظة انهما يخرجان للعمرة والتفت إليهما الإمام ونفسه مترعة بالريبة منهما فطلب منهما إعادة البيعة له ثانياً ففعلا دون تردُّد ، ومضيا منهزمين إلى مكّة ، وكأنه قد اتيح لهما الخلاص من السجن فلحقا بعائشة ، فجعلا يحثّانها على الثورة على حكومة الإمام ، وقد كانا يعلمان بكراهيتها للإمام .

مع عـائشة :

وفزعت عائشة حينما علمت أنّ الإمام عليه السلام قد تقلّد زمام الحكم ، وآلت إليه زعامة الأُمّة ، فأعلنت العصيان والتمرُّد ، ورفعت عقيرتها مطالبة بدم عثمان بن عفّان ، وقد كانت من أقوى العناصر التي نادت بسفك دمه ، فقد أفتت بكفره ومروقه من الدين ثمّ هي الآن تطالب بدمه ، وهل هي وليّة دمه حتى يباح لها ذلك ؟ وهل هي وليّة أمر المسلمين حتى تطالب بدمه ؟ أسئلة لا جواب لها فيما نعلم .

وعلى أي حال فقد رفعت علم الثورة على حكومة الإمام وراحت تستنهض المسلمين للإطاحة بحكومته ، وقد استجاب لها الغوغاء الذين تلوّنهم الدعاية كيفما شاءت ، فقد شكّلت منهم جيشاً أمدّه الأمويّون بجميع المعدّات الحربية وما يحتاجون إليه ، وقد أنفقوا عليه أموالاً هائلة كانت ممّا نهبوه من أموال المسلمين حينما كانوا ولاة من قِبل عثمان بن عفّان ، وقد عرضنا لذلك في بعض أجزاء هذا الكتاب .

وقد احتلّت عائشة البصرة ، وحينما علم الإمام بذلك زحف بجيوشه للقضاء على هذا التمرُّد ، وقبل أن تندلع نار الحرب بعث الإمام إليها عبيد الله بن عبّاس وزيد ابن صوحان يدعوها إلى حقن دماء المسلمين ، وقال لهما قولا لها :

«إِنَّ اللهَ أَمَرَكِ أَنْ تَقَرِّي فِي بَيْتِكِ وَأَنْ لَا تَخْرُجِي مِنْهُ ، وَإِنَّكِ لَتَعْلَمِينَ ذٰلِكِ ، غَيْرَ أَنَّ جَمَاعَةً قَدْ أَغْرَوكِ فَخَرَجْتِ مِنْ بَيْتِكِ ، فَوَقَعَ النّاسُ

ـ لاتّفاقك معهم ـ فِي الْبَلَاءِ وَالْعَناءِ، وَخَيْرٌ لَكِ أَنْ تَعُودِي إِلىٰ بَيْتِكِ، وَلَا تَحُومِي حَوْلَ الْخِصامِ وَالْقِتالِ، وَإِنْ لَمْ تَعُودِي وَلَمْ تُطْفِئِي هٰذِهِ النّائِرَةَ فَإِنَّها سَوْفَ تُعْقِبُ الْقِتالَ، وَيُقْتَلُ فِيها خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَاتَّقِي اللهَ يا عائِشَة وَتُوبِي إِلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبادِهِ وَيَعْفُو، وَإِيّاكِ أَنْ يَدْفَعَكِ حُبُّ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَقَرابَةُ طَلْحَةَ إِلىٰ أَمْرٍ تَعْقِبُهُ النّار».

ولو أنّها وعت هذه النصيحة، واستجابت لنداء الحق لجنّبت الأُمّة الكثير من المآسي والخطوب إلّا انها جعلت ذلك دبر أُذنيها، وقالت للرسولين: إني لا أردُّ على ابن أبي طالب بالكلام لأني لا أبلغه بالحجاج[1]. ولم ترد على الإمام بالكلام، وانما ردّت عليه بالسيوف والرماح وأبت أن تذعن لنداء الحق.

مع طلحة والزبير:

وأقام الإمام عليه السلام الحجّة على طلحة والزبير، فقد بعث إليهما برسالة يدعوهما إلى الوئام، وجمع كلمة المسلمين، وهذا نصها:

«أَما بَعْدُ: فَقَدْ عَلِمْتُمَا ـ وَإِنْ كَتَمْتُمَا ـ أَنِّي لَمْ أُرِدِ النّاسَ حَتّىٰ أَرادُونِي، وَلَمْ أُبايِعْهُمْ حَتّىٰ بايَعُونِي، وَإِنَّكُمَا مِمَّن أَرادَنِي وبايَعَنِي، وَانَّ العامّة لم تُبايِعْنِي لسلطانٍ غالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حاضِرٍ، فإن كنتُما بايَعْتُماني طائِعَيْنِ فارْجعَا وتُوبَا إلى اللهِ مِن قَرِيبٍ، وإنْ كُنتُما بايعْتَماني كارِهَيْنِ فقد جعلْتُمَا لي عليكُما السَّبيلَ باظهاركُمَا الطَّاعةَ وإسرارِكُما الْمَعْصِيَةَ، وَلَعَمْرِي ما كُنْتُما بِأَحَقّ الْمُهاجِرينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَان، وَأَنَّ دَفْعَكُمَا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَن تُدْخَلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُما مِنْ خُرُوجِكَما مِنْهُ بَعْدَ

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام ١: ٤٤٣، نقلاً عن تاريخ ابن أعثم.

إِقْرارِكُما بِهِ ، وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمانَ فَبَيْنِي وَبينكما مَنْ تَخَلَّف عنِّي وَعَنكُما مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدَرِ ما احْتَمَلَ ، فَارْجِعَا أَيُّها الشَّيْخانِ عَنْ رَأْيِكُما، فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُما الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعارُ وَالنَّار »[1] .

لقد ألقيا الفتنة بين المسلمين ، وجرّا للعالم الإسلامي الويل والدمار ، وقاتل الله الطمع والحسد ، فقد ألقَياهُما في شرٍ عظيم ، وحمّلاهما المسؤولية أمام الله تعالى .

وقد ألمحنا إلى تفصيل هذه الأحداث المروعة في بعض أجزاء هذه الموسوعة ، فلا نطيل البحث عنها .

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

مع معاوية

وأعلن معاوية التمرُّد على حكومة الإمام ، ورفض البيعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، فقد رأى له قوة تمكّنه من مناجزة الإمام ؛ وذلك لما له من النفوذ والمكانة في بلاد الشام فانّه لم يعمل فيها عمل والٍ ، وإنمّا عمل فيها عمل صاحب الدولة الذي يؤسسها ، فقد أمدّه عمر وعثمان بجميع مقومات البقاء والقوة ، ويعترف معاوية بصراحة أنّه لولا أبو بكر وعمر لما نازع الإمام ، فقد أعلن ذلك في رسالته إلى محمّد بن أبي بكر جاء فيها :

كان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه ـ يعني علياً ـ حقّه ، وخالفاه على أمره ، على ذلك اتّفقا واتّسقا ، ثمّ دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهمّا به الهموم ، وأرادا به العظيم ـ يعني قتله ـ ، ثمّ انّه بايع لهما وسلم لهما ، وأقاما لا يشاركانه في أمرهما ، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله .

وأضاف قائلاً :

فإن يك ما نحن فيه صواباً فأبوك استبدّ به ونحن شركاؤه ، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا له ، ولكن رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا وأخذنا بمثله[1] .

---

(١) المسعودي على هامش ابن الأثير ٦ : ٧٨ ـ ٧٩ .

فمن المؤكد الذي لا ريب فيه أنّه لولا منازعة الشيخين للإمام وابتزازهما لحقّه لما استطاع معاوية منازعته ، ولقبع في زوايا الخمول هو وأُسرته .

وعلى أي حال فان من مهازل الزمن أن ينبري معاوية إلى مناهضة عملاق الفكر الإنساني ، وباب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله ، ويعلن العصيان المسلّح عليه .

إيفاد جرير إلى معاوية :

رأى الإمام عليه السلام أن يقيم الحجّة على معاوية ، ويدعوه إلى الطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، فبعث إليه جرير بن عبد الله البجلي وزوّده بهذه الرسالة :

« أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنَّ بَيْعَتِي بِالْمَدِينَةِ لَزِمَتْكَ وَأَنْتَ بِالشَّامِ ؛ لِأَنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْر وَعُمَر وَعُثْمَان عَلىٰ مَا بُويِعُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّوْرىٰ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، إِذَا اجْتَمَعُوا عَلىٰ رَجُلٍ ، فَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضاً ، وَإِن خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ رَغْبَةٍ رَدُّوهُ إِلىٰ مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِن أَبىٰ قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَولّى ، وَيُصْلِيه جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً.

وَإِنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيرَ بَايَعَانِي ثُمَّ نَقَضَا بَيْعَتِي ، فَكَانَ نَقْضُهُمَا كَرِدَّتِهِمَا ، فَجَاهَدْتُهُمَا عَلىٰ ذٰلِكَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ ، وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ .

فَادخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيَّ فِيكَ الْعَافِيَةَ ، إِلَّا أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ ، فَإِنْ تَعَرَّضْتَ لَهُ قَاتَلْتُكَ وَاسْتَعَنْتُ بِاللهِ عَلَيْكَ .

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ ـ يعني الذين قتلوا عثمان ـ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ ، فَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُهَا فَخُدْعَة الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ. وَلَعَمْرِي لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرأَ قُرَيْشٍ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيَّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ ، فَبَايِعْ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ »[١].

وأعرب الإمام الممتحن في رسالته عن شمول بيعته التي لم يظفر بمثلها أحد من الذين سبقوه ، فقد بايعه الأنصار والمهاجرون ، وبايعته الأقطار الإسلامية ، وبايعه طلحة والزبير إلّا انهما نكثا بيعته لغير سبب إسلامي ، فقد دفعتهما الأطماع والحسد للإمام إلى ذلك .

وقد دعا الإمام عليه السلام معاوية إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون وأن لا يخلع يد الطاعة ، ويفارق الجماعة الإسلامية كما أعرب الإمام عن براءته من دمِ عثمان الذي اتّخذه معاوية وسيلة لإعلان التمرُّد ، والخروج عن طاعة الإمام ، وأعلن الإمام أنّ معاوية لا يصلح للخلافة ولا لأي منصب من مناصب الدولة لأنه من الطلقاء الذين ناجزوا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله .

ولم يستجب معاوية لنداء الحق ، وراح في غيه مناجزاً للإمام ، ومعلناً للتمرُّد على حكومته ، فردّ جرير البجلي ، وحمّله رسالة الحرب للإمام .

احتجاجه على معاوية :

من أروع ما احتجّ به الإمام عليه السلام على معاوية هذا الاحتجاج الذي كان جواباً

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢٣٣. الإمامة والسياسة ١: ٧١. شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٠.

لرسالة معاوية له ، ولنقرأه بإمعان :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللهِ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً ؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ عِنْدَنَا ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَىٰ هَجَرَ[١] ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَىٰ النِّضَالِ .

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ[٢] ؛ فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ .

وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ! وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ، وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا ! أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَىٰ ظَلْعِكَ[٣] ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ ! » .

حكى هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام استهانته بمعاوية وازدراءه له وأنه لا حقّ له ولا مكانة له في التمييز بين المهاجرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، فان كان لهم الفضل فهو لغيره ولا يلحقه وان كان فيهم ثلمة ونقص فلا تلتصق به لأنه من الطلقاء الذين لا يحق لهم التدخل في شؤون المسلمين . . .

ويستمر الإمام في رسالته الذهبية قائلاً :

---

(١) **هجر** : مدينة باليمن كثيرة النخيل ، وقيل مدينة بالبحرين .

(٢) فلان وفلان : يعني بهما الشيخين أبا بكر وعمر .

(٣) **أربع على ظلعك** : أي قف عندَ حدِّك ، واعرف قدرك .

« وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ[١] ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَىٰ ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ـ ».

تحدث الإمام عليه السلام بهذه الكلمات عن نفسية معاوية ، وانه لذهاب في التِّيه أي الضلال ، فقد كان من عناصره ومقوماته ، كما كان رواغاً عن القصد أي الاعتدال ، فلم يستقم إلّا على الباطل .

وأضاف الإمام قائلاً :

« وَلٰكِنْ بِنِعْمَةِ اللهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالىٰ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّىٰ إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ !

أَوَلَا تَرَىٰ أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ حَتَّىٰ إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ ! وَلَوْلَا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا[٢] لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَىٰ قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا ؛ فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنا ، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ !

وَأَنَّىٰ يَكُونُ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ ـ وهو أبو جهل .

---

(١) التيه : الضلال .

(٢) لعلّ المراد من قوله عليه السلام : «**فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنا ، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنا** » أنّ الله خصّهم بالهداية فبعث منهم رسوله العظيم ، وهو وأهل بيتهِ مصادر الهداية والرشاد للخلق ، فهم بهذا صنائع الله لأنهم خصهم بالنبوة ، والناس صنائع لهم لأنّ هدايتهم كانت بسببهم .

وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ ـ وهو أبو سفيان.

وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ ـ وهم صبية الأمويّين.

وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينِ ـ وهي زهراء الرسول ـ، **وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ** ـ وهي أمُّ جميل عمة معاوية ـ، **فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!**».

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى مآثر الأُسرة النبوية، وما خصّها الله بها من الفضائل التي جعلتهم في قمة الفضيلة، فقد جعل منهم قادة الأنام وعمالقة الإسلام كما جعل من خصومهم الأمويين والقرشيين أئمة الضلال ودعاة الكفر والإلحاد.

ويستمر الإمام في رسالته:

«**فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ**[1]**، وَكِتَابُ اللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾**[2]**، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[3]**، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ.**

وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ـ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ...».

---

(١) أراد عليه السلام أن شرف أُسرته في الجاهلية لا ينكر.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) آل عمران: ٦٨.

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى سمو مكانته، وعظيم منزلته وذلك لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله فهو ابن عمه وأبو سبطيه، وليس لغيره من قريب أو بعيد هذه المنزلة، ثمّ ذكر عليه السلام احتجاج المهاجرين على الأنصار بأنّهم ألصق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وهذه الجهة التي احتجوا بها وتغلبوا على الأنصار موجودة في أهل البيت عليهم السلام على النحو الأكمل فلم لا يأخذ بها المهاجرون، ويرجعون الخلافة إلى مركزها الذي عينه الرسول؟ ويأخذ الإمام في احتجاجه:

«وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَىٰ كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

*** وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا ***

وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ[1] حَتَّىٰ أُبَايِعَ؛ وَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ! وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَىٰ غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا».

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى رده على معاوية الذي اتهمه بحسده للخلفاء، ويقصد معاوية موقف الإمام عليه السلام من بيعة أبي بكر فقد رفضها، وتخلف عنها، فاتخذ معه أبو بكر جميع الإجراءات الصارمة التي منها هجوم شرطته بقيادة عمر على دار الإمام، وحمله مقاداً إلى أبي بكر، بصورة مروعة وقد عيّره معاوية بذلك فردّ عليه الإمام بانه لا غضاضة ولا منقصة عليه في أن يكون مظلوماً غير شاكٍ في دينه، ولا مرتاباً بيقينه، ويستمر الإمام الممتحن في رسالته واحتجاجه

---

(١) **الجمل المخشوش:** هو الذي يجعل في أنفهِ خشبة ليقاد.

على معاوية قائلاً:

«ثُمَّ ذَكَرْتَ مَاكَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ منهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَىٰ لَهُ، وَأَهْدَىٰ إِلَىٰ مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَىٰ عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ أَتَىٰ قَدَرُهُ عَلَيْهِ.

كَلَّا وَاللهِ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[1].

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ.

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ».

عرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع إلى موقفه من عثمان، وان معاوية جدير بالإجابة؛ لأنه من أسرته وإن كان ليس من أولياء دمه، وأعرب الإمام انه بريء من دم عثمان، ولا علاقة له في ذلك، وإنّما المسؤول عن دمه معاوية فقد استنجد به عثمان، فلم يهب لنجدته، وكانت جيوش معاوية قريبة من يثرب فلم يسمح لها بنجدته حتى أجهز عليه، وكان الإمام عليه السلام يأمر عثمان بالاستقامة في سياسته وسلوكه إلّا انه استجاب لآراء مروان الذي كان مسيطراً على جميع شؤونه، فأوقعه في الفخ الذي نصبه الأمويون له ليتخذوا من مصرعه ورقة إلى تنفيذ أغراضهم...

(١) الأحزاب: ١٨.

وعلى أي حال فقد أخذ الإمام في رسالته في الاحتجاج على معاوية قائلاً:

«وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ[1]! مَتَىٰ أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ ؟!

فَلَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ[2]

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ[3] نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ[4]، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ[5]؛ أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»[6].

عرض الإمام في هذا المقطع الأخير من رسالته إلى تهديد معاوية للإمام بالسلاح والقوى العسكرية التي يملكها فردّ عليه الإمام ساخراً ومستهزئاً، وانه والأُسرة الهاشمية لا يرهبهم الموت، ولا تخيفهم قوة العدو، وانهم على استعداد

---

(١) الاستعبار: البكاء.

(٢) لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل، هو شطر من بيت قاله بدر بن قشير لمّا أُغير على إبلهِ في الجاهلية فاستنقذها وقال:

لبثَ قليلاً يلحق الهيجا حمل   لا بأس بالموت اذا الموت نزل

(٣) مرقل نحوك: أي مسرع.

(٤) القتام: الغبار.

(٥) متسربلين: أي لابسين.

(٦) صبح الأعشى ١: ٢٢٩. نهاية الأدب ٧: ٢٣٣. نهج البلاغة ٢: ٢١.

كامل لمناهضته يصحبهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم باحسان وانهم جميعاً في شوق لملاقاة ربهم والشهادة في سبيله .

وكانت هذه الرسالة خاتمة الرسائل التي دارت بينه وبين معاوية ، وأعقبت بعد ذلك استعداد الفريقين للحرب ، وقد ذكرنا عرضاً لذلك في بعض أجزاء الكتاب .

مع الخوارج

وبعد ما أحرز الإمام عليه السلام النصر الحاسم على خصمه الجاهلي معاوية وبات الاستيلاء عليه قاب قوسين أو أدنى ، مُني الإمام عليه السلام بانقلاب عسكري ، فقد رفع جيش معاوية المصاحف الكريمة على الرماح ودعوا إلى المحاكمة على ضوئها فانخدع جيش الإمام بذلك وأصروا على الاستجابة لهم ، وكان بعض أفراد القيادة العامة في معسكر الإمام على اتصال بمعاوية واتفاق معه على ذلك ، ووقعت الفتنة في جيش الإمام ، ورفعت الأصوات بضرورة إيقاف القتال ، وإلّا ناجزوا الإمام وقتلوه .

وكان على رأس القائلين بالتحكيم المنافق الأشعث بن قيس ، ومن يتصل به من عملاء معاوية ، فراحوا يجوبون في معسكر الإمام وينادون بضرورة التحكيم .

احتجاج الإمام عليهم :

واندفع الإمام عليه السلام لإبطال مزاعم معاوية واتباعه قائلاً لأصحابه :

« وَيْحَكُمْ أَنا أَوَّلُ مَنْ دَعا إِلىٰ كِتابِ اللهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَجابَ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ يَحِلُّ لِي وَلَا يَسَعُنِي فِي دِينِي أَنْ أُدْعىٰ إِلىٰ كِتابِ اللهِ فَلَا أَقْبَلَهُ ، إِنِّي إِنَّما أُقاتِلُهُمْ لِيَدِينُوا بِحُكْمِ الْقُرآنِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَوا اللهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ ، وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَنَبَذُوا كِتابَهُ ، وَلٰكِنِّي قَدْ أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كادُوكُمْ ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا

الْعَمَلَ بِالْقُرآنِ يُرِيدُونَ...»[١].

لقد أوضح الإمام لجيشه زيف مادعوا إليه، وانه انما قاتل معاوية من أجل العمل بالقرآن، وتطبيق أحكامه، وانهم انما رفعوا المصاحف للكيد بهم وتضليلهم، وليس لهم أية صلة بالقرآن، ولا يدينون بما فيه.

مناظرة الإمام معهم:

وبعدما أرغم على قبول التحكيم، وعلى انتخاب أبي موسى الأشعري ممثلاً عن العراقيين، وعزله للإمام، انحاز الخوارج وهم ينادون بشعارهم « لَا حُكْمَ إِلَّا للهِ » فبعث الإمام إليهم عبد الله بن عباس فحاججهم وابطل شبههم، فلم تغن حججه ومنطقه الفياض معهم شيئاً.

فانبرى إليهم الإمام عليه السلام فقال لهم:

« هٰذا مَقامُ مَنْ فَلَجَ فِيهِ كَانَ أَوْلىٰ بِالْفَلَجِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَمَنْ نَطَفَ فِيهِ أَو عَنِتَ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ».

ثم قال لهم:

« مَنْ زَعِيمُكُمْ ؟ ».

فهتفوا جميعاً: ابن الكواء.

فوجه إليه كلامه وشاركهم فيه قائلاً:

« ما أَخْرَجَكُمْ عَلَيْنا ؟ ».

حكومتكم يوم صفين.

« نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ حِينَ رَفَعُوا الْمَصاحِفَ، فَقُلْتُمْ: نُجِيبُهُمْ

---

(١) حياة الإمام الحسن عليه السلام ١: ٥١١.

إِلىٰ كِتابِ اللهِ ، قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي أَعْلَمُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ ، إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحابِ دِينٍ وَلَا قُرآنٍ ، إِنِّي صَحِبْتُهُمْ ، وَعَرَفْتُهُمْ أَطْفالاً وَرِجالاً ، فَكانُوا شَرَّ رِجالٍ وَشَرَّ أَطْفالٍ ، أُمْضُوا عَلىٰ حَقِّكُمْ وَصِدْقِكُمْ إِنَّما رَفَعَ الْقَوْمُ لَكُمْ هٰذِهِ الْمَصاحِفَ خَدِيعَةً وَوَهْناً وَمَكِيدَةً ، فَرَدَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي .

وَقُلْتُمْ : لَا ، بَلْ نَقْبَلُ مِنْهُمْ ، فَقُلْتُ لَكُمْ : اذْكُرُوا قَوْلِي لَكُمْ وَمَعْصِيَتَكُمْ إِيّايَ ، فَلَمّا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْكِتابَ اشْتَرَطْتُ عَلَى الْحَكَمَيْنِ أَنْ يُحْيِيا مَا أَحْياهُ الْقُرآنُ وَأَنْ يُمِيتا مَا أَماتَهُ الْقُرآنُ ، فَإِنْ حَكَما بِحُكْمِ الْقُرْآنِ ، فَلَيْسَ لَنا أَنْ نُخالِفَ حُكْمَ مَنْ حَكَمَ بِمَا فِي الْكِتابِ ، وَإِنْ أَبَيا فَنَحْنُ مِنْ حُكْمِهِما بَرآءُ»[١] .

وقد دحضت هذه المحاججة أوهام الخوارج ، وأظهرت زيف ما يذهبون إليه ، وهم يتحملون المسؤولية الكبرى فيما آلت إليه أُمور المسلمين ، فهم الذين أرغموا الإمام على قبول التحكيم ، وهم الذين فرضوا عليه أبا موسى الأشعري ممثلاً عنهم في التحكيم فأي مسؤولية بعد هذا تقع على الإمام عليه السلام ؟

مناظرة أُخرى للإمام معهم :

وبعد أن فشلت جميع الوسائل التي اتخذها الإمام لإقناع الخوارج فقد أشاعوا الفساد والتمّرد والرعب بين المسلمين ، فلم يجد الإمام عليه السلام طريقاً لإعادة الأمن والاستقرار إلّا فتح باب الحرب معهم ، وقد وجّه إليهم خطاباً مشفوعاً بالنصح والإرشاد لهم قائلاً :

« أَيَّتُها الْعِصابَةُ ! إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا تَلْعَنُكُمُ الْأُمَّةُ غَداً ، وَأَنْتُمْ

---

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ٢ : ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

صَرْعىٰ بِإِزاءِ هـٰذَا النَّهرِ بِغَيْرِ بُرْهانٍ وَلَا سُنَّةٍ ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْحُكُومَةِ ، وَأَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ طَلَبَ الْقَوْمِ لَها مَكْيدَةٌ ، وَأَنْبَأْتُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسُوا بِأَصْحابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ ، وَأَنِّي أَعْرَفُ بِهِمْ مِنْكُمْ ، وَقَدْ عَرَفْتُهُمْ أَطْفالاً ، وَعَرَفْتُهُمْ رِجالاً ، فَهُمْ شَرُّ رِجالٍ وَشَرُّ أَطْفالٍ ، وَهُمْ أَهْلُ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ ، وَأَنَّكُمْ إِنْ فارَقْتُمُونِي وَرَأْيِي جانَبْتُم الْخَيْرَ وَالْحَزْمَ ، فَعَصَيْتُمُونِي وَأَكْرَهْتُمُونِي حَتَّىٰ حَكَّمْتُ ، فَلَمّا أَنْ فَعَلْتُ شَرَطْتُ وَاسْتَوْثَقْتُ ، وَأَخَذْتُ عَلَى الْحَكَمَيْنِ أَنْ يُحْيِيَا ما أَحْيا الْقُرآنُ ، وَأَنْ يُمِيتا ما أَماتَ الْقُرْآنُ ، فاخْتَلَفا ، وَخالَفا حُكْمَ الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ وَعَمِلا بِالْهَوىٰ ، فَنَبَذْنا أَمْرَهُم ، وَنَحْنُ عَلىٰ أَمْرِنا الْأَوَّلِ ، فَما نَبَؤُكُم وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ . . . » .

وحكى هذا الاحتجاج إكراه الخوارج للإمام على التحكيم ، وانه رفضه ولكنهم أصرُّوا عليه ، وان الإمام عليه السلام لم يوافق عليه إلّا بعد أن اشترط على الحكمين أن يحكما بما وافق الكتاب والسنة ، ولمّا لم يحكما بذلك كان حكمهما مرفوضاً إلّا انّ الخوارج لم يعوا كلام الإمام فردوا عليه قائلين :

إنّا حيث حكّمنا الرجلين أخطأنا بذلك ، وكنّا كافرين ، وقد تبنا من ذلك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا فنحن معك وإلّا فاعتزلنا ، وإن أبيت فنحن منابذوك على سواء .

فأنكر الإمام مقالتهم وقال :

« أَبَعْدَ إِيمانِي بِاللهِ ، وَهِجْرَتِي وَجِهادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أَبُوءُ وَأَشْهَدُ عَلىٰ نَفْسِي بِالْكُفْرِ ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَما أَنا مِنَ الْمُهْتَدِينَ .

وَيْحَكُم ! بِمَ اسْتَحْلَلْتُم قِتالَنا ، وَالْخُرُوجَ مِنْ جَماعَتِنا ؟ أَأَنِ اخْتارَ النّاسُ رَجُلَيْنِ ، فَقَالُوا لَهُما : انْظُرا بِالْحَقِّ فِيما يُصْلِحُ الْعامَّةَ

لِيُعْزَلَ رَجُلٌ وَيُوضَعَ آخَرُ مَكانَهُ ، أَحَلَّ لَكُمْ أَنْ تَضَعُوا سُيُوفَكُمْ عَلىٰ عَواتِقِكُمْ ، تَضْرِبُونَ بِها هاماتِ النّاسِ ، وَتَسْفِكُونَ دِماءَهُمْ ؟ ! إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ »[١] .

ولم تجدِ معهم هذه الحجج الناصعة التي أقامها الإمام عليهم فقد أصروا على الغي والعدوان ، وقد اترعت نفوسهم بالجهل والغباء ، فشهروا سيوفهم ، فقاتلهم أصحاب الإمام ، فقتلوا عن آخرهم ولم يفلت منهم إلّا تسعة[٢] ، وقد أوضحنا ذلك في بعض أجزاء هذا الكتاب ، وبهذا نطوي الحديث عن احتجاج الإمام ومناظراته مع المتمردين على حكومته .

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ١٥٥ .

(٢) الملل والنحل ١ : ١٥٩ .


مناظرة
مع النصارى

لمّا انتشر الإسلام في أنحاء الجزيرة ، وعمّت فتوحاته الكثير من مناطق الشرق العربي خفّت جمهرة من علماء النصارى في وفود متعددة إلى يثرب للتعرف على الدين الإسلامي ، ومعرفة خليفة الرسول ﷺ ، ومعهم كوكبة من المسائل المعقّدة التي يشبه بعضها الألغاز أعدوها لامتحانه ، فان اهتدى لحلها آمنوا بالإسلام وإلّا بقوا على دينهم ، فقد اعتقدوا أنّ أوصياء الأنبياء قد وهبهم الله طاقات من العلم لا تصعب عليهم أية مسألة مهما كانت معقّدة .

وقد عرضت تلك الوفود مسائلهم على الخلفاء فلم يهتدوا للجواب عنها ، وفزع بعض الصحابة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأحاطه علماً بالأمر فسارع الإمام إلى الجامع والتقى بهم ، وأجابهم عن مسائلهم ، فآمنوا بالإسلام ، واهتدوا لاعتناقه وايقنوا أنّ الإمام عليه السلام خليفة النبيّ ﷺ وولي عهده .

ونعرض إلى طائفة من تلك المسائل التي سئل الخلفاء عنها ، وعجزوا عن حلها وأجاب عنها الإمام عليه السلام :

أسئلة الجاثليق

وفد إلى المدينة جماعة من النصارى يتقدمهم الجاثليق وهو من علمائهم النابهين ، وكان قدومهم بعد وفاة النبي ﷺ وتقلُّد أبي بكر للخلافة ، فقال له الجاثليق : إنّا وجدنا في الإنجيل رسولاً يخرج بعد عيسى ، وقد بلغنا خروج محمد بن عبد الله ، يذكر أنه ذلك الرسول ، ففزعنا إلى ملكنا ، فجمع وجوه قومنا ، وانفذنا ـ أي الملك ـ في التماس الحق . . . وقد فاتنا نبيكم محمد ، وفيما قرأناه من كتبنا أنّ الأنبياء لا يخرجون إلّا بعد إقامة أوصياء لهم يخلفونهم في أممهم يقتبس منهم الضياء فيما أشكل ، فأنت أيُّها الأمير وصيه لنسألك عما نحتاج إليه ؟

فانبرى عمر ، فقال له : هذا ـ وأشار إلى أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ . . . فاتجه صوبه .

الجاثليق : خبِّرْنا عن فضلكم علينا في الدين ، فإنّا جئنا نسأل عن ذلك .

أبو بكر : نحن مؤمنون وأنتم كفار ، والمؤمن خيرٌ من الكافر ، والإيمان خيرٌ من الكفر .

الجاثليق : هذه دعوى تحتاج إلى حجة ، خبّرني أنت مؤمن عند الله أم عند نفسك ؟

أبو بكر : أنا مؤمن عند نفسي ، ولا علم لي بما عند الله .

الجاثليق : فهل أنا كافر عندك على مثل ما أنت مؤمن ، أم أنا كافر عند الله ؟

أبو بكر : أنت عندي كافر ، ولا علم لي بحالك عند الله .

الجاثليق : ما أراك إلّا شاكّاً في نفسك وفيَّ . . . خبِّرني ألك عند الله منزلة في الجنّة بما أنت عليه من الدين تعرفها ؟

أبو بكر : لي منزلة في الجنّة أعرفها بالوعد ، ولا أعلم هل أصل إليها أم لا .

الجاثليق : ترجو لي منزلة في الجنّة ؟

أبو بكر : أرجو لك .

الجاثليق : ما أراك إلّا راجياً لي وخائفاً على نفسك . . . أخبرني هل احتويت على جميع علم النبي إليك ؟

أبو بكر : لا ، ولكن أعلم ما أفضىٰ لي علمه .

الجاثليق : كيف صرت خليفة للنبي وأنت لا تحيط علماً بما تحتاج إليه اُمّته من علمه ؟

وثقل الجاثليق على عمر ، فقد رأى منه تعدّياً على أبي بكر فصاح به .

وسارع سلمان إلى الإمام وأحاطه علماً بالأمر ، فجاء إلى الجامع والتفت إلى الجاثليق ، وقال له :

« **سَلْ يا نَصْرانِيُّ فَوَالَّذِي خَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرأَ النَّسَمَةَ لَا تَسْأَلُني عَمّا مَضىٰ وَعَما يَكُونُ إِلَّا أَخْبَرْتُكَ بِهِ عَنْ نَبِيِّ الْهُدىٰ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله** » .

الجاثليق : أخبرني أمؤمنٌ عند الله أم عند نفسك ؟

أَنا مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ كَما أَنا مُؤْمِنٌ فِي عَقِيدَتي .

الجاثليق : هذا كلام من يثق بدينه ، اخبرني عن منزلتك في الجنّة ما هي ؟

مَنْزِلَتي مَعَ النَّبِيِّ الأُمِّي فِي الْفِرْدَوْسِ الأَعْلىٰ ، لا أَرْتابُ فِي ذٰلِكَ وَلَا أَشُكُّ فِي الْوَعْدِ بِهِ مِنْ رَبّي .

الجاثليق : بماذا عرفت الوعد لك بالمنزلة التي ذكرتها ؟

بِالْكِتابِ الْمُنْزَلِ، وَصِدْقِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ.

الجاثليق: بما علمت صدق نبيّك؟

بِالآياتِ الْباهِراتِ، وَالْمُعْجِزاتِ الْبَيِّناتِ.

الجاثليق: هذا طريق الحجّة لمن أراد الاحتجاج، اخبرني عن الله تعالى أين هو اليوم؟

إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَجِلُّ عَنِ الأَيْنِ، وَيَتَعالىٰ عَنِ الْمَكانِ، كانَ فِيما لَمْ يَزَلْ، وَلا مَكانَ وَهُوَ الْيَوْمَ عَلىٰ ذٰلِكَ، لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ حالٍ إِلىٰ حالٍ.

الجاثليق: أحسنت أيُّها العالم وأوجزت في الجواب، أخبرني عن الله تعالى أمُدركٌ بالحواس عندك، فيسلُك المسترشد في طلبه استعمال الحواس؟ أم كيف طريق المعرفة به إن لم يكن الأمر كذلك؟

تَعالَى الْمَلِكُ الْجَبّارُ أَنْ يُوصَفَ بِمِقْدارٍ أَوْ تَدْرِكَهُ الْحَواسُ، أَوْ يُقاسَ بِالنَّاسِ، وَالطَّرِيقُ إِلىٰ مَعْرِفَتِهِ صَنائِعُهُ الْباهِرَةُ لِلْعُقُولِ الدّالَّةِ ذَوِي الاْعْتِبارِ بِما هُوَ مِنْها مَشْهُودٌ وَمَعْقُولٌ.

الجاثليق: صدقت هذا والله هو الحقّ الذي ضلّ عنه التائهون في الجهالات، اخبرني عمّا قاله نبيكم في المسيح، وانه مخلوقٌ من أين أثبت له الخلق، ونفي عنه الإلهيّة؟

أُثْبِتَ لَهُ الْخَلْقُ بِالتَّقْدِيرِ الَّذِي لَزِمَهُ، وَالتَّصْوِيرِ وَالتَّغَيُّرِ مِنْ حالٍ إِلىٰ حالٍ، وَالزِّيادَةِ الَّتِي لَمْ يَنْفَكَّ عَنْها وَالنُّقْصانِ، وَلَمْ أَنْفِ عَنْهُ النُّبُوَّةَ، وَلا أَخْرَجْتُهُ مِنَ الْعِصْمَةِ وَالْكَمالِ، وَقَدْ جاءَنا عَنِ اللهِ تَعالىٰ بِأَنَّهُ مِثْلُ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُون.

وجرت بعد ذلك احتجاجات بين الجاثليق والإمام، فبهر الجاثليق من علوم

الإمام ، وأعلن إسلامه قائلاً : أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّك وصي رسول الله ، وأحقُّ بمقامه ، وأسلم الوفد الذي كان معه .

وانبرى عمر قال للجاثليق : الحمد لله الذي هداك إلى الحق وهدى من معك ، واعلمْ أنّ علم النبوة في بيت صاحب النبوة ، والأمر بعده لمن خاطبت أوّلاً برضى الأمّة واصطلاحها عليه ، وتخبر صاحبك ـ أي الملك ـ بذلك وتدعوه إلى طاعة الخليفة .

فقال الجاثليق : عرفت أيُّها الرجل ، وأنا على يقين من أمري فيما أسررت وأعلنت[١] .

وتمثّلت روعة الاستدلال وقوة الحجة في مناظرة الإمام مع الجاثليق فقد استوعبت نفسه اعجاباً بمواهب الإمام وعبقرياته الأمر الذي دعاه إلى اعتناق الإسلام .

---

(١) أمالي الطوسي : ١٣٧ . بحار الأنوار ١٠ : ٥٤ ـ ٥٦ . الغدير ٧ : ١٧٩ ـ ١٨١ ، رويت بأسلوب آخر لا يتّفق مع ماذكره الطوسي والمجلسي .

أسئلة راهب

وفد إلى يثرب جمع من النصارى من الروم يتقدمهم راهب لمعرفة الخليفة من بعد النبي ﷺ ، فدخلوا الجامع النبوي وفيه أبو بكر وقد احتفّ به المهاجرون والأنصار ، فتقدم إليه الراهب ودار بينهما الحديث التالي بتصرف :

الراهب : أيُّها الشيخ ما اسمُك ؟

أبو بكر : عتيق .

الراهب : هل هناك اسمٌ آخر ؟

أبو بكر : الصدِّيق .

الراهب : هل هناك اسمٌ آخر ؟

أبو بكر : لا .

الراهب : لست بصاحبي .

أبو بكر : ما حاجتُك ؟

الراهب : أنا من بلاد الروم جئت منها ببختيّ موقراً ذهباً لأسأل أمين هذه الأُمّة عن مسألة إن أجابني عنها أسلمت ، وفرقت عليكم هذا المال ، وإن عجز رجعت إلى بلدي ومعي المال ، ولا أسلم .

أبو بكر : سل عمّا بدا لك .

الراهب : والله لا أفتح الكلام حتى تؤمني من سطوتك وسطوة أصحابك .

أبو بكر : أنت آمن ، وليس عليك بأس قل ماشئت .

الراهب : أخبرني عن شيءٍ ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله ؟

أبو بكر لم يهتدِ للجواب .

ووجّه الراهب سؤاله إلى الصحابة فلم يهتدوا لحلّه ، فانبرى سلمان الفارسي إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخبره بالأمر فأسرع إلى الجامع ومعه السبطان الحسن والحسين عليهما السلام ، فقال أبو بكر للراهب : سل عليّاً فإنه صاحبك ، فتوجّه الراهب صوب الإمام ، وعرض عليه مايلي :

الراهب : ما اسمك يا فتى ؟

اِسمي عِنْدَ الْيَهُودِ إِليا ، وَعِنْدَ النَّصارىٰ إِيليا ، وَعِنْدَ وَالِدي عَلِيٌّ ، وَعِنْدَ أُمِّي حَيْدَرَة .

الراهب : ما محلّك من نبيّكم ؟

أَخي وَصِهْري وَابْنُ عَمِّي .

الراهب : أنت صاحبي وربِّ عيسى ! أخبرني عن شيءٍ ليس لله ، ولا من عند الله ، ولا يعلمه الله ؟

أَمّا قَوْلُكَ : ما لَيْسَ لِلّهِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ لَيْسَ لَهُ صاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ .

وَأَمّا قَوْلُكَ : وَلَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ظُلْمٌ لِأَحَدٍ .

وَأَمّا قَوْلُكَ : لَا يَعْلَمُهُ اللهُ فَإِنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ لَهُ شَرِيكاً فِي الْمُلْكِ .

أعلن الراهب إسلامه ، وقام فقبّل الإمام وقال له : أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وأشهد أنّك أنت الخليفة ، وأمين هذه الأُمّة ، ومعدن الدين

والحكمة ، وقدّم للإمام عليه السلام مامعه من أموال ، فلم يبرح الإمام من مكانه حتى أنفق المال بأجمعه على الفقراء ، وانصرف الراهب ، مع قومه وقد أعلنوا إسلامهم[١] .

لقد وقف الراهب على الحقيقة ، وتبيّن الواقع الرسالي ، فآمن بالإمام عليه السلام وصياً للرسول الأعظم ، وخليفة له .

---

(١) الاحتجاج ١ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

مع الأُسقف

وفد أُسقف نجران على عمر بن الخطاب ليؤدي الجزية ، فدعاه عمر إلى الإسلام ، فأطرق الأسقف إلى الأرض لا يردّ جواباً ، ودخل الإمام عليه السلام على القوم فاستُقبل بحفاوة بالغة ، والتفت الإمام إلى الأسقف ، وتبادل معه المناظرة التالية :

الأسقف : أنتم تقولون : إنّ الجنّة عرضها السماوات والأرض ، فأين تكون النار ؟

إِذا جاءَ اللَّيْلُ أَيْنَ يَكُونُ النَّهارُ ؟

وبهر الأسقف من علم الإمام ، والتفت إليه يطلب منه الإذن بأن يسأل عمر بن الخطاب ، فأذن له الإمام فقال له :

أنبئني يا عمر عن أرض طلعت عليها الشمس ساعة ولم تطلع مرة أُخرى ؟ فعجز عمر عن الجواب وطلب من الإمام أن يجيبه .

هِيَ أَرْضُ الْبَحْرِ الَّذِي فَلَقَهُ اللهُ تَعالىٰ لِمُوسىٰ حَتّىٰ عَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ ، فَوَقَعَتْ عَلَيْها الشَّمْسُ تِلْكَ السّاعَةَ ، وَلَمْ تَطْلُعْ عَلَيْها قَبْلُ وَلا بَعْدُ ، وَانْطَبَقَ الْبَحْرُ عَلىٰ فِرْعَوْنَ وَجُنودِهِ .

الأسقف : صدقت ، أخبرني عن شيءٍ هو في أهل الدُّنيا تأخذ الناس منه مهما أخذوا فلا ينقص بل يزداد ؟

هُوَ الْقُرآنُ وَالْعُلُومُ.

الأسقف: صدقت، اخبرني عن أوّل رسول أرسله الله تعالى لا من الجنّ ولا من الإنس؟

ذٰلِكَ الْغُرابُ الَّذِي بَعَثَهُ اللهُ تَعالىٰ لَمّا قَتَلَ قابِيلُ أَخاهُ هابِيلَ، فَبَقِي مُتَحَيِّراً لَا يَعْلَمُ ما يَصْنَعُ بِهِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ بَعَثَ اللهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ.

الأسقف: صدقت، بقيت لي مسألة واحدة أريد أن يخبرني عنها عمر وهي: أين الله؟

فغضب عمر، فقال له الإمام:

لَا تَغْضَبْ يا أَبا حَفْصٍ حَتّىٰ لَا يَقُولَ إِنَّكَ قَدْ عَجَزْتَ.

وطلب عمر من الإمام أن يجيبه.

كُنْتُ يَوْماً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قالَ: عِنْدَ رَبِّي فَوْقَ سَبْعِ سَماواتٍ.

ثُمَّ أَقْبَلَ مَلَكٌ آخَرُ فَقالَ لَهُ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقالَ: عِنْدَ رَبِّي فِي مَطْلِعِ الشَّمْسِ، ثُمَّ جاءَ مَلَكٌ آخَرُ فَقالَ لَهُ: أَيْنَ كُنْتَ؟ قالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَبِّي فِي مَغْرِبِ الشَّمْسِ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكانٌ، وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ، وَلَا عَلىٰ شَيْءٍ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا يَعْزُبُ عِنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّماءِ، وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ، يَعْلَمُ ما فِي السَّمٰواتِ وما فِي الْأَرْضِ، ما يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

سادِسُهُم ، وَلَا أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُم أَيْنما كانُوا .

لم يملك الأُسقف اعجابه بمواهب الإمام ، فقد علم أنه باب مدينة علم النبي ﷺ ، وراح يعلن اسلامه قائلاً :

أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، وأنّك خليفة الله في أرضه ، ووصي رسوله[١] .

وحكت هذه المناظرة مدى سعة علوم الإمام ﵇ واحاطته التامة بواقع التوحيد ، وانه لا يضارعه أحد في فضله وسعة علومه .

---

(١) بحار الأنوار ١٠ : ٥٩ ـ ٦٠ .

مع قيصر ملك الروم

يقول الرواة : حدثت مشادّة بين الحارث بن سنان الأزدي وبين رجل من الأنصار ، فرُفع أمرهما إلى عمر ، فلم ينتصف للحارث فارتدّ عن الإسلام ، ولحق بقيصر ، وكان الحارث قد نسي ماتعلّمه من القرآن الكريم سوى قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ** ﴾[1] وسمع قيصر هذه الآية فقال : سأكتب إلى ملك العرب بمسائل فإن أجابني عنها أطلقت ما عندي من الأسارى ، وإن لم يجبني عنها عمدت إلى الأسارى فعرضت عليهم النصرانية ، فمن قبلها منهم استعبدته ، ومن أبى قتلته ، وكتب إلى عمر بمسائل كان منها :

١ ـ تفسير سورة الفاتحة .

٢ ـ الماء الذي ليس من الأرض ، ولا من السماء ؟

٣ ـ عما يتنفّس ولا روح فيه ؟

٤ ـ عصا موسى مم كانت ، وما اسمها ، وما طولها ؟

٥ ـ جارية بكر لأخوين في الدنيا وفي الآخرة لواحد ؟

ولمّا عرضت هذه المسائل على عمر لم يهتدِ لحلها ، ففزع إلى الإمام عليه السلام فعرضها عليه .

---

(١) آل عمران : ٨٥.

جواب الإمــام :

وكتب الإمام جواب هذه المسائل ، وهذا نص ما كتبه بعد البسملة :

« مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صِهْرِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، وَوارِثِ عِلْمِهِ ، وَأَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ ، وَوَزِيرِهِ ، وَمَنْ حَقَّتْ لَهُ الْوِلَايَةُ وَاُمِرَ الْخَلْقُ مِنْ أَعْدائِهِ بِالْبَراءَةِ ، قُرَّةِ عَيْنِ رَسُولِ اللهِ ، وَزَوْجِ ابْنَتِهِ ، وَأَبِي وُلْدِهِ إِلىٰ قَيْصَر مَلِكِ الرُّومِ .

أَمَّا بَعْدُ : فَـإِنِّي أَحْـمَدُ اللهَ الَّـذِي لَا إِلٰـهَ إِلَّا هُـوَ عـالِمُ الْـخَفِيّاتِ ، وَمُـنْزِلُ الْبَرَكاتِ ، مِنْ يَهْدِي اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هادِيَ لَهُ ، وَرَدَ كِتابُكَ وَأَقْرَأَنِيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ .

فَأَمَّا سُؤالُكَ عَنِ اسْمِ اللهِ تَعالىٰ فَإِنَّهُ اسْمٌ فِيهِ شِفاءٌ مِنْ كُلِّ داءٍ ، وَعَوْنٌ عَنْ كُلِّ دَواءٍ .

وَأَمَّا الرَّحْمٰنُ فَهُوَ عَوْنٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَهُوَ اسْمٌ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُ اللهِ الرَّحْمٰنِ تَبارَكَ وَتَعالىٰ .

وَأَمَّا الرَّحِيمُ فَرَحِمَ مَنْ عَصىٰ وَتابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً .

وَأَمَّا ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فَذٰلِكَ ثَناءٌ عَلىٰ رَبِّنا تَبارَكَ وَتَعالىٰ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْنا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فَإِنَّهُ يَمْلِكُ نَواصِيَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، وَكُلُّ مَنْ كانَ فِي الدُّنْيا شاكّاً أَوْ جَبّاراً أَدْخَلَهُ النّارَ ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ عَذابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شاكٌّ وَلَا جَبّارٌ ، وَكُلُّ مَنْ كانَ فِي الدُّنْيا طائِعاً مُدِيماً مُحافِظاً أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِيّاكَ نَعْبُـدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِيـنُ ﴾ فَإِنّا نَسْتَعِينُ بِـاللهِ عَـزَّ وَجَـلَّ مِـنَ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ لَا يُضِلُّنا كَمَا أَضَلَّكُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ اهْدِنا الصِّراطَ الْمُستَقِيمَ ﴾ فَذٰلِكَ الطَّرِيقُ الْواضِحُ مَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيا عَمَلاً صالِحاً فَإِنَّهُ يَسْلُكُ عَلَى الصِّراطِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ صِراطَ الَّذينَ أنْعمتَ عَلَيْهِم ﴾ فَتِلْكَ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلىٰ مَنْ كانَ قَبْلَنا مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ فَنَسْأَلُ اللهَ رَبَّنا أَنْ يُنْعِمَ عَلَيْنا كَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ غَيْرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ ﴾ فَأُولٰئِكَ الْيَهُودُ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ، فَنَسْأَلُ رَبَّنا أَنْ لَا يَغْضَبَ عَلَيْنا كَمَا غَضِبَ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَلَا الضَّآلِّينَ ﴾ فَأَنْتَ وَأَمْثالُكَ يا عابِدَ الصَّلِيبِ الْخَبِيثِ، ضَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَنَسْأَلُ اللهَ رَبَّنا أَنْ لَا يُضِلَّنا كَما ضَلَلْتُمْ.

وَأَمَّا سُؤالُكَ عَنِ الْماءِ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا مِنَ السَّماءِ، فَذٰلِكَ الَّذِي بَعَثَتْهُ بِلْقِيسُ إِلىٰ سُلَيْمانَ بْنِ داوُدَ، وَهُوَ عَرَقُ الْخَيْلِ إِذا جَرَتْ فِي الْحُرُوبِ.

وَأَمَّا سُؤالُكَ عَمّا يَتَنَفَّسُ وَلَا رُوحَ لَهُ فَذٰلِكَ الصُّبْحُ إِذا تَنَفَّسَ.

وَأَمَّا سُؤالُكَ عَنْ عَصا مُوسىٰ مِمّا كانَتْ؟ وَما طُولُها؟ وَما اسْمُها؟ وَما هِيَ؟ فَإِنَّها كانَتْ يُقالُ لَها الْبَرْنِيَّةُ الزّائِدَةُ، وَكانَ إِذا كانَ فِيهَا الرُّوحُ زادَتْ، وَإِذا خَرَجَتْ مِنْهَا الرُّوحُ نَقَصَتْ، وَكانَتْ مِنْ عَوْسَجٍ، وَكانَتْ عَشَرَةَ أَذْرُعٍ، وَكانَتْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْزَلَها جَبْرَئِيلُ عليه السلام.

وَأَمَّا سُؤالُكَ عَنْ جارِيَةٍ تَكُونُ فِي الدُّنْيا لِأَخَوَيْنِ وَفِي الآخِرَةِ لِواحِدٍ، فَتِلْكَ

النَّخْلَةُ فِي الدُّنْيا هِيَ لِلْمُؤْمِنِ مِثْلِي وَلِلْكافِرِ مِثْلُكَ ، وَنَحْنُ مِنْ وُلْدِ آدَمَ عليه السلام ، وَفِي الآخِرَةِ لِلْمُسْلِمِ دُونَ الْكافِرِ الْمُشْرِكِ ، وَهِيَ فِي الْجَنَّةِ وَلَيْسَ فِي النَّارِ ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فِيهِما فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[١]» .

ثم طوى الكتاب ، وأنفذه إلى قيصر ، فلما قرأه أعجب به ، وعمد إلى الأسرى فأطلقهم وأسلم ، ودعا أهل مملكته إلى الإسلام فثارت عليه النصارى وهمُّوا بقتله ، فأعتذر منهم بأنه إنما أعلن إسلامه لاختبارهم فكفّوا عنه ، وبقي كاتماً اسلامه حتى مات[٢] .

وانتهت هذه المناظرة وهي قبسٌ من جهاد الإمام عليه السلام فقد نافح عنه في جميع المواقف بسيفه وعلمه وبهذا ينتهى بنا الحديث عن بعض مناظراته مع النصارى .

---

(١) الرحمن : ٦٨.

(٢) بحار الأنوار ١٠ : ٦٠ ـ ٦٢. ارشاد القلوب ٢ : ١٧٥ .


مناظرة
مع اليهود

ناظر بعض علماء اليهود ، وأعمدتهم الروحية ، الإمام عليه السلام ، فقد سألوه عن أعقد المسائل ، وأكثرها غموضاً ، وأشبهها بالألغاز ، وذلك لامتحانه واكتشاف الواقع الرسالي الماثل فيه ، وقد أجابهم الإمام عنها جواب العالم الخبير ، فلم يبق أي جانب من مسائلهم إلّا أجاب عنه بدقة وشمول وقد بهروا بسعة علومه ، وإحاطته الكاملة بأديانهم وبالكتب السماوية ، وقد اعتنق بعضهم الإسلام لما رأوه من سعة علوم الإمام ، ونعرض ـ فيما يلي ـ لبعض تلك المناظرات .

مع عالم يهوديّ

لمّا تقلّد عمر الخلافة بعد أبي بكر وفد عالم يهوديّ على عمر، وقد احتفَّ به جماعة من الصحابة كان من بينهم الإمام عليه السلام، فقال اليهوديّ لعمر: إني رجل من اليهود وأنا علّامتهم، قد أردت أن أسألك عن مسائل إن أخبرتني بها أسلمت، فقال عمر: وما هي؟ قال ثلاث، وثلاث، وواحدة، وان كان في القوم أحد أعلم منك فأرشدني، فأشار إلى الإمام عليه السلام، فاتجه صوبه، فقال له الإمام:

قُلْتَ: ثَلاثاً، وَثَلاثاً، وَواحِدَةً أَلا قُلْتَ: سَبْعاً؟ ...[١].

اليهوديّ: أسألك عن ثلاث، فإن أصبت فيهن أسألك عن الواحدة، وإن أخطأت في الثلاث الأولى، لم أسألك عن شيءٍ...

ما يُدْرِيكَ إِذا سَأَلْتَنِي فَأَجَبْتُكَ أَخْطَأْتُ أَمْ أَصَبْتُ؟

فاستخرج اليهودي كتاباً عتيقاً، وقال: هذا كتاب ورثته عن آبائي وأجدادي بإملاء موسى وخطِّ هارون، وفيه هذه الخصال التي أريد أن أسألك عنها.

بِاللهِ عَلَيْكَ إِن أَجَبْتُكَ عَنها بِالصَّوابِ تُسْلِمُ؟

اليهوديّ: لئن أجبتني منها بالصواب لأُسلمنّ الساعة على يديك[٢].

---

(١) الاحتجاج ١: ٢٢٦.

(٢) الغدير ٦: ٢٦٨.

سَلْ .

اليهوديّ : اخبرني عن أوّل حجر وضع على وجه الأرض ؟ وأوّل عين نبعت ، وأوّل شجرة نبتت .

أَنْتُمْ تَقُولُونَ : أَوَّلُ حَجَرٍ وُضِعَ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ الْحَجَرُ الَّذِي فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَكَذَبْتُم ، هُوَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ .

اليهوديّ : صدقت والله إنه بخط هارون وإملاء موسى .

أَمّا الْعَيْنُ فَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ أَوَّلَ عَيْنٍ نَبَعَتْ عِلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ الْعَيْنُ الَّتِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، كَذَبْتُم ، هِي عَيْن الْحَياةِ الَّتِي غَسَلَ فِيها النُّونَ مُوسىٰ ، وَهِي الْعَيْنُ الَّتِي شَرِبَ مِنْها الْخِضْر .

اليهوديّ : صدقت والله إنّه بخط هارون وإملاء موسى .

وَأَمّا الشَّجَرَةُ فَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : إِنَّ أَوَّلَ شَجَرَةٍ نَبَتَتْ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ الزَّيْتُونُ وَكَذَبْتُم ، وَهِي « الْعَجْوَة » نَزَلَ بِها آدَمُ عليه السلام مِنَ الْجَنَّةِ .

اليهوديّ : صدقت والله أنّه بخطّ هارون وإملاء موسى .

اليهوديّ : وأمّا الثلاث الأُخرى ، كم لهذه الأُمّة من إمامِ هُدىً لا يضرهم من خذلهم ؟

اِثْنا عَشَرَ إِماماً .

اليهوديّ : صدقت .

اليهوديّ : أين يسكن نبيّكم من الجنّة ؟

يَسْكُنُ أَعْلَاها دَرَجَةً ، وَأَشْرَفَها مَكاناً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ .

اليهوديّ : صدقت والله انه بخط هارون واملاء موسى .

اليهوديّ : فمن ينزل معه في منزله ؟

يَنزِلُ مَعَهُ اثْنا عَشَرَ إماماً .

اليهوديّ : صدقت .

اليهوديّ : كم يعيش وصيُّه ـ أي وصيُّ النبي صلى الله عليه وآله ـ بعده ؟

ثَلاثِينَ سَنَةً .

اليهوديّ : يموت أو يقتل ؟

يُضْرَبُ عَلىٰ قَرْنِهِ فَتُخْضَبُ لِحْيَتُهُ .

اليهودي : صدقت والله انه بخط هارون واملاء موسى ، ثمّ اعتنق اليهودي الإسلام[1] .

وحكت هذه المناظرة تصدي الإمام عليه السلام لنشر الإسلام ، واشاعة قيمه بين الناس ، وانه ليس هناك أحدٌ يملك مايملكه الإمام عليه السلام من الطاقات العلمية .

---

(١) الاحتجاج ١ : ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

مع اليهـود

وفد جماعة من اليهود على عمر بن الخطاب في أيام خلافته ، فقالوا له : أنت والي هذا الأمر بعد نبيكم ؟ وأتيناك نسألك عن أشياء إن أخبرتنا بها آمنا وصدّقناك ، فقال عمر : سلوا عمّا بدا لكم .

اليهود : أخبرنا عن أقفال السموات السبع ، ومفاتيحها ، وأخبرنا عن قبرٍ سار بصاحبه ، وأخبرنا عمن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس ، وأخبرنا عن موضع طلعت فيه الشمس ولم تعد إليه ، وأخبرنا عن خمسة لم يخلقوا في الأرحام ، وعن واحد وعن اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وستة وسبعة وثمانية وتسعة وعشرة وحادي عشر وثاني عشر ؟

وأطرق عمر برأسه ولم يهتد للجواب ، واعتذر انّ هذه المسائل لا يعلم بها إلّا الله ، ولكن يجيبكم عنها ابن عمٍّ رسول الله ﷺ فأرسل خلفه فلما حضر قال له عمر : ياأبا الحسن إنّ اليهود سألوني عن أشياء لم أجبهم عنها ، وقد ضمنوا إن أخبرتهم أن يؤمنوا بالنبي ﷺ فعرض اليهود عليه مسائلهم وهي :

اليهود : ما أقفال السماوات ؟

الشِّرْكُ بِاللهِ .

اليهود : ما مفاتيحها ؟

قَوْلُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ .

اليهود: ما القبر الذي سار بصاحبه ؟

الْحُوتُ الَّذِي سارَ بِيُونُسَ فِي بَطْنِهِ الْبِحارَ السَّبْعَةَ.

اليهود: ما الذي أنذر قومه لا من الجن ولا من الإنس ؟

تِلْكَ نَمْلَةُ سُلَيْمانَ بْنِ داوُدَ.

اليهود: ما الموضع الذي طلعت الشمس ولم تعد إليه ؟

ذٰلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي أَنْجَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ مُوسىٰ وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ.

اليهود: ما الخمسة الذين لم يخلقوا في الأرحام ؟

آدَمُ وَحَوّاءُ وَعَصا مُوسىٰ وَناقَةُ صالِحٍ وَكَبْشُ إِبْراهِيمَ.

اليهود: ما الواحد ؟

اللهُ الْواحِدُ الْقَهّار.

اليهود: ما الاثنان ؟

آدَمُ وَحَوّاء.

اليهود: ما الثلاثة ؟

جَبْرَئِيلُ وَمِيكائِيلُ وَإِسْرافِيلُ.

اليهود: ما الأربعة ؟

التَّوْراةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالْفُرْقانُ.

اليهود: ما الخمسة ؟

خَمْسُ صَلَواتٍ مَفْرُوضاتٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

اليهود: ما الستة ؟

قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَابَيْنَهُما فِي سِتَةِ أيَامٍ﴾(١).

اليهود: ما السبعة ؟

قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً ﴾(٢).

اليهود: ما الثمانية ؟

قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(٣).

اليهود: ما التسعة ؟

الآياتُ الْمُنَزَّلَةُ علىٰ مُوسىٰ بْنِ عِمْرانَ.

اليهود: ما العشرة ؟

قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوْسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾(٤).

اليهود: ما الحادي عشر ؟

قَوْلُ يُوسُفَ لِأَبِيهِ: ﴿ إِنّي رَأَيْتُ أحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ﴾(٥).

اليهود: ما الاثنا عشر ؟

قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمُوسىٰ: ﴿ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً ﴾(٦).

وأسلموا على يد الإمام، وجرى بينهم حديث أعرضنا عن ذكره(٧).

---

(١) ق: ٣٨.

(٢) النبأ: ١٢.

(٣) الحاقّة: ١٧.

(٤) الأعراف: ١٤٢.

(٥) يوسف: ٤.

(٦) البقرة: ٦٠.

(٧) الخصال ٢: ٦٥. بحار الأنوار ١٠: ٧ ـ ٩.

مع عالم يهودي

ووفد إلى يثرب عالم يهودي من أهل الشام كان قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء ، فالتقى بكوكبة من أصحاب رسول الله ﷺ كان من بينهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحبر الأُمّة عبد الله بن عباس وأبو معبد الجهني ، وجرت بينه وبين الإمام عليه السلام مناظرة متشعبة قد استوعبت وقتاً كثيراً لطولها ، ونحن نذكر معظمها ، فقد التفت اليهودي إلى الجماعة الجالسين وقال لهم :

يا أُمّة محمد ما تركتم لنبي درجة ، ولا لمرسل فضيلة إلّا أنحلتموها نبيّكم ، فهل تجيبوني عمّا أسألكم عنه ؟ فأمسك القوم عن جوابه ، سوى الإمام فقد انبرى إليه قائلاً :

« نَعَمْ ، ما أَعْطَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً دَرَجَةً ، وَلَا مُرْسَلاً فَضِيلَةً ، إِلَّا جَمَعَها لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَزادَ مُحَمّداً ﷺ عَلَى الْأَنْبِياءِ أَضْعافاً مُضاعَفَةً ... » .

اليهوديّ : هل أنت مجيبي ؟

نَعَمْ ، سَأَذْكُرُ لَكَ الْيَوْمَ مِنْ فَضائِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ما يُقِرُّ اللهُ بِهِ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَكُونُ نَفْسُهُ فِيهِ إِزالَةُ لِشَكِّ الشّاكّينَ في فَضائِلِهِ ، إِنَّهُ ﷺ كانَ إِذا ذَكَرَ لِنَفْسِهِ فَضِيلَةً قالَ : وَلَا فَخْرَ ، وَأَنا أَذْكُرُ لَكَ فَضائِلَهُ غَيْرَ مُزْرٍ بِالْأَنْبِياءِ ، وَلَا مُنْتَقِصٍ لَهُم ، وَلكِنْ شُكْراً للهِ عَلى ما أَعْطىٰ مُحَمَّداً ﷺ مِثْلَ ما أَعْطاهُم وَما زادَهُ اللهُ ، وَما فَضَّلَهُ عَلَيْهِم ...

اليهوديّ: إني أسألك فأعدَّ له جواباً.

هاتِ.

اليهوديّ: هذا آدم أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمدٍ شيئاً من هذا؟

لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ، وَلَئِنْ أَسْجَدَ اللهُ لِآدَمَ مَلائِكَتَهُ فَإِنَّ سُجُودَهُمْ لَمْ يَكُنْ سُجُودَ طاعَةٍ، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا آدَمَ مِنْ دُونِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلٰكِنِ اعْتِرافاً لِآدَمَ بِالْفَضِيلَةِ وَرَحْمَةً مِنَ اللهِ لَهُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ صَلّىٰ عَلَيْهِ فِي جَبَرُوتِهِ وَالْمَلائِكَةُ بِأَجْمَعِها، وَتَعَبَّدَ الْمُؤْمِنُونَ بِالصَّلاةِ عَلَيْهِ[١] فَهٰذِهِ زِيادَةٌ لَهُ.

اليهوديّ: إنّ آدم تاب الله عليه من بعد خطيئته.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ نَزَلَ عَلَيْهِ ما هُوَ أَكْبَرُ مِنْ هٰذا، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٢] إِنَّ مُحَمَّداً غَيْرُ مُوافٍ فِي الْقِيامَةِ بِوِزْرٍ، وَلَا مَطْلُوبٍ فِيها بِذَنْبٍ.

اليهوديّ: إنّ إدريس رفعه الله عزّوجلّ مكاناً عليّاً، وأطعمه من تحف الجنة بعد وفاته.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا، إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَناؤُهُ قالَ فِيهِ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[٣] فَكَفىٰ بِهٰذا مِنَ اللهِ رِفْعَةً، وَلَئِنْ أُطْعِمَ إِدْرِيسُ مِنْ تُحَفِ الْجَنَّةِ بَعْدَ وَفاتِهِ، فَإِنَّ مُحَمَّداً ﷺ أُطْعِمَ فِي الدُّنْيا فِي حَياتِهِ، بَيْنَما هُوَ يَتَضَوَّرُ جُوعاً أَتاهُ جَبْرَئِيلُ بِجامٍ مِنَ الْجَنَّةِ فِيهِ تُحْفَةٌ...

---

(١) يشير الإمام عليه السلام بذلك إلى الآية ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) الشرح: ٤.

فَناوَلها أَهْلَ بَيْتِهِ، فَهَمَّ أَنْ يَتَناوَلَها بَعْض الصَّحابَةِ، فَتَناوَلَها جَبْرَئِيلُ فَقالَ لَهُ: كُلْها فَإِنَّها تُحفَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ أَتْحَفَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِها وَإِنَّها لا تَصْلُحُ إِلَّا لِنَبِيٍّ أَوْ وَصِيِّ نَبِيٍّ، فَأَكَلْنا مِنْها، وَإِنِّي لَأَجِدُ حَلاوَتَها ساعَتِي هٰذِهِ.

اليهوديّ: هذا نوح صبر في ذات الله عزّ وجل، وأعذر قومه إذ كذّب.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صَبَرَ فِي ذاتِ اللهِ، وَأَعْذَرَ قَوْمَهُ إِذ كُذِّبَ وَشُرِّدَ، وَحُصِبَ بِالْحَصىٰ، وَعلاهُ أَبُو لَهَبٍ بِسَلا ناقَةٍ وَشاةٍ فَأَوْحَى اللهُ تَعالىٰ إِلىٰ جابِيلَ مَلَكِ الْجِبالِ أَن شُقَّ الْجِبالَ، وَانْتَهِ إِلىٰ أَمْرِ مُحَمَّدٍ فَأَتاهُ فَقالَ لَهُ: إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ لَكَ بِالطَّاعَةِ، فَإِنْ أَمَرْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِم الْجِبالَ فَأَهْلَكْتُهُم بِها... قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ: إِنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً. رَبِّ اهْدِ أُمَّتِي فَإِنَّهُم لا يَعْلَمُونَ... إِنَّ نُوحاً لَمّا شاهَدَ غَرَقَ قَوْمِهِ رَقَّ عَلَيْهِم رِقَّةَ الْقَرابَةِ، وَأَظْهر عليهم شَفَقَة فقالَ: ﴿ ربِّ انّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾[1] فقال الله تَبارَكَ وَتَعالَى اسمه: ﴿ انّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[2] أَرادَ جَلَّ ذِكْره أَن يُسَلِّيهِ بِذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَما غَلَبَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِهِ الْمُعانَدَةُ شَهَرَ عَلَيْهِم سَيْفَ النِّقْمَةِ وَلَم تُدْرِكْهُ فِيهِم رِقَّةُ الْقَرابَةِ.

اليهوديّ: إنّ نوحاً دعا ربه فهطلت له السماء بماء منهمر؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَكانَتْ دَعْوَتُهُ دَعْوَةَ غَضَبٍ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ هَطَلَتْ لَهُ السَّماءُ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ رَحْمَةً، إِنَّهُ لَمّا هاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَتاهُ أَهْلُها فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَقالُوا لَهُ: يا رَسُولَ اللهِ، احْتَبَسَ الْقَطْرُ، وَاصْفَرَّ الْعُودُ، وَتَهافَتَ الْوَرَقُ، فَرَفَعَ يَدَهُ الْمُبارَكَةَ حَتّىٰ رُئِيَ بَياضُ إِبْطَيْهِ، وَما تَرىٰ فِي السَّماءِ سَحابَةً، فَما بَرِحَ حَتّىٰ

---

(١) هود: ٤٥.

(٢) هود: ٤٦.

سَقاهُم اللهُ ، حَتّىٰ إنّ الشّابَّ الْمُعْجَبَ بِشَبابِهِ لَهَمَّتْهُ نَفْسُهُ فِي الرُّجُوعِ إِلىٰ مَنْزِلِهِ فَما يَقْدِرُ عَلىٰ ذٰلِكَ مِنْ شِدَّةِ السَّيْلِ ، فَدامَ اسْبُوعاً ، فَأَتَوهُ فِي الْجُمُعَةِ الثّانِيَةِ فَقالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدْ تَهَدَّمَتِ الْجُدُر ، وَاحْتَبَسَ الرَّكْبُ وَالسَّفرُ ، فَضَحِكَ صلى الله عليه وآله وَقالَ : هٰذِهِ سُرْعَةُ مَلالَةِ ابْنِ آدَمَ ، ثُمَّ قالَ : اللّٰهُمَّ حَوالينا وَلَا عَلَيْنا ، اللّٰهُمَّ فِي أُصُولِ الشَّيْحِ وَمَراتِعِ البقع ، فَرُئِي حَوالِي الْمَدِينة يَقْطُرُ الْمَطَرُ قَطراً ، وَما يَقَعُ فِي الْمَدِينَةِ قَطْرَةٌ لِكَرامَتِهِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

اليهودي : إنّ هوداً قد انتصر الله له من أعدائه بالريح ، فهل فعل لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله شيئاً من هذا ؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أُعْطِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ انْتَصَرَ لَهُ مِنْ أَعْدائِهِ بِالرِّيحِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، إِذْ أَرْسَلَ عَلَيْهِم رِيحاً تَذْرُو الْحَصىٰ ، وَجُنُوداً لَمْ يَرَوْها فَزادَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَلىٰ هُودٍ بِثَمانِيَةِ آلافِ مَلَكٍ ، وَفَضَّلَهُ عَلىٰ هُودٍ ، بِأَنَّ رِيحَ عادٍ رِيحُ سَخَطٍ وَرِيحَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله رِيحُ رَحْمَةٍ ، قالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم إِذ جَاءتْكُم جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيْحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾[١] .

اليهودي : إنّ صالحاً أخرج الله له ناقة جعلها عبرة لقومه .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أُعْطِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِن ذٰلِكَ ، إِنَّ ناقَةَ صالِح لَمْ تُكَلِّمْ صالِحاً ، وَلَمْ تَشْهَدْ لَهُ بِالنُّبُوَّةِ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله بَيْنَما نَحْنُ مَعَهُ فِي بَعْضِ غَزَواتِهِ إِذا هُوَ بِبَعِيرٍ قَدْ دَنا ، ثُمَّ رَغا فَأَنْطَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ فُلاناً اسْتَعْمَلَنِي حَتّىٰ كَبِرْتُ ، وَيُرِيدُ نَحْرِي فَأَنا أَسْتَعِيذُ بِكَ مِنْهُ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله إِلىٰ صاحِبِهِ فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهُ ، فَوَهَبَهُ لَهُ وَخَلّاهُ...

---

(١) الأحزاب : ٩.

اليهودي: إنّ إبراهيم قد تيقظ بالاعتبار على معرفة الله تعالى، وأحاطت دلالته بعلم الإيمان به؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَأُعْطِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ، قَدْ تَيَقَّظَ بِالْاعْتِبارِ عَلىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ تَعالىٰ، وَأَحاطَتْ دَلَائِلُهُ بِعِلْمِ الْإِيمانِ بِهِ، وَتَيَقَّظَ إِبْراهِيمُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمُحَمَّدٌ ﷺ كانَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، قَدِمَ تُجّارٌ مِنَ النَّصارىٰ فَنَزَلُوا بِتِجارَتِهِم بَيْنَ الصَّفا وَالْمَرْوَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ بَعْضُهُم فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ وَرِفْعَتِهِ، وَخَبَرِ مَبْعَثِهِ وَآياتِهِ فَقالُوا لَهُ: يا غُلامُ، ما اسمُكَ؟ قالَ مُحَمَّدٌ. قالُوا: ما اسمُ أَبِيكَ؟ قال: عَبْدُاللهِ. قالُوا: ما اسمُ هٰذِهِ ـ وأشاروا إلى الأرض ـ قالَ: الْأَرْضُ، ثُمَّ قالُوا فَمَا اسمُ هٰذِهِ؟ وَأَشارُوا إِلَى السَّماءِ؟ قال: السَّماءُ. قالُوا: فَمَنْ رَبُّهُما؟ قال: اللهُ، ثُمَّ انْتَهَرَهُمْ وَقالَ: أَتُشَكِّكُونِي فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ وَيْحَكَ يا يَهُودِي! لَقَدْ تَيَقَّظَ بِالْاعْتِبارِ عَلىٰ مَعْرِفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ كُفْرِ قَوْمِهِ، إِذْ هُوَ بَيْنَهُم يَسْتَقْسِمُونَ بِالْأَزْلَامِ، وَيَعْبُدُونَ الْأَوْثانَ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ.

اليهودي: إنّ إبراهيم حجب عن نمرود بحجب ثلاثة؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حُجِبَ عَمَّنْ أَرادَ قَتْلَهُ بِحُجُبٍ خَمْسَةٍ، فَثَلَاثَةٌ بِثَلَاثَةٍ، وَاثْنانِ فَضْل، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم سَدّاً﴾[١] فَهٰذَا الْحِجابُ الْأَوَّل، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً﴾ فَهٰذَا الْحِجابُ الثّانِي، ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فَهٰذَا الْحِجابُ الثّالِثُ، ثُمَّ قالَ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾[٢] فَهٰذَا الْحِجابُ الرّابِع، ثُمَّ قالَ: ﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ

---

(١) يس: ٩.

(٢) الإسراء: ٤٥.

مُقْمَحُونَ ﴾[١] ، فَهٰذِهِ حُجُبُ خَمْسَةٌ .

اليهودي : إنّ إبراهيم قد بهت الذي كفر ببرهان نبوته .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَتاهُ مُكَذِّبٌ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَهُوَ اُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ الْجَمْحِي مَعَهُ عَظْمٌ نَخْرٌ فَفَرَكَهُ ثُمَّ قالَ :

يا مُحَمَّدُ ﴿ مَنْ يُحْيي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ فَأَنْطَقَ اللهُ مُحَمَّداً بِمُحْكَمِ آياتِهِ ، وَبَهَتَهُ بِبُرْهانِ نُبُوَّتِهِ ، فَقالَ : ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ، فانْصَرَفَ مَبْهُوتاً .

اليهوديّ : إنّ إبراهيم جذّ أصنام قومه غضباً لله عزّ وجلّ .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله قَدْ نَكَسَ عَنِ الْكَعْبَةِ ثَلاثَ مائَةٍ وَسِتِّيْنَ صَنَماً ، وَنَفاها عَنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَأَذَلَّ مَنْ عَبَدَها بِالسَّيْفِ .

اليهوديّ : إنّ إبراهيم قد اضجع ولده وتلّه للجبين .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَلَقَدْ أُعْطِي إِبْراهِيمُ بَعْدَ الاضْطِجاعِ الْفِداءَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله اُصِيبَ بِأَفْجَعَ مِنْهُ فَجِيْعَةً إِنَّهُ وَقَفَ عَلىٰ عَمِّهِ حَمْزَةَ أَسَدِ اللهِ ، وَأَسَدِ رَسُولِهِ ، وَناصِرِ دِيْنِهِ ، وَقَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ ، فَلَمْ يُبِنْ عَلَيْهِ حُرْقَةً ، وَلَمْ يُفِضْ عَلَيْهِ عَبْرَةً ، وَذٰلِكَ لِيُرْضِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِصَبْرِهِ ، وَيَسْتَسْلِمَ لِأَمْرِهِ ، فِي جَمِيعِ الْفِعالِ .

وَقالَ صلى الله عليه وآله : « لَوْلَا أَنْ تَحْزَن صَفِيَّة لَتَرَكْتُهُ حَتّىٰ يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِ السِّباعِ وَحَواصِلَ الطَّيْرِ ، وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ سُنَّةً بَعْدِي لَفَعَلْتُ ذٰلِكَ » .

اليهودي : إنّ إبراهيم قد أسلمه قومه إلى الحريق فصبر ، فجعل الله عزّ وجلّ النار عليه

---

(١) يٰس : ٨.

برداً وسلاماً ، فهل فعل بمحمّدٍ شيئاً من ذلك ؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ لَمّا نزَلَ بِخَيْبَر سَمَّتْهُ الْخَيْبَرِيَّةُ فَصَيَّرَ اللهُ السُّمَّ فِي جَوْفِهِ بَرْداً وَسَلاماً إِلىٰ مُنْتَهىٰ أَجَلِهِ ، فَالسُّمُّ يُحْرِقُ إِذا اسْتَقَرَّ فِي الْجَوْفِ ، كَمَا أَنَّ النّارَ تُحْرِقُ ، فَهٰذَا مِنْ قُدْرَتِهِ لَا تُنْكِرُهْ .

اليهودي : فإنّ يعقوب أعظم إذ جعل الأسباط من سلالة صلبه ومريم ابنة عمران من بناته .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَعْظَمُ فِي الْخَيْرِ نَصِيباً مِنْهُ ؛ إِذْ جَعَلَ فاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِساءِ الْعالَمِينَ مِنْ بَناتِهِ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام مِنْ حَفَدَتِهِ .

اليهودي : إنّ يعقوب قد صبر على فراق ولده حتى كاد يحرض من الحزن .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَكانَ حُزْنُ يَعْقُوبَ بَعْدَهُ تَلاقٍ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قُبِضَ وَلَدُهُ إِبْراهِيمُ قُرَّةُ عَيْنِهِ فِي حَياتِهِ ، وَخَصَّهُ بِالْاخْتِبارِ لِيُعْظِمَ لَهُ الادِّخارَ فَقالَ ﷺ : « تَحْزَنُ النَّفْسُ وَيَجْزَعُ الْقَلْبُ ، وَإِنّا عَلَيْكَ يا إِبْراهِيمُ لَمَحْزُونُونَ ، وَلَا نَقُولُ : ما يُسْخِطُ الرَّبَّ » ، فِي كُلِّ ذٰلِكَ يُؤْثِرُ رِضا اللهِ عَزَّ ذِكْرُهُ ، وَالاسْتِسْلَامَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْفِعالِ .

اليهودي : إنّ يوسف قاسى مرارة الفرقة ، وحبس في السجن توقياً للمعصية ، فألقي في الجُبِّ وحيداً .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قاسىٰ مَرارَةَ الْغُرْبَةِ ، وَفِراقَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْمالِ ، مُهاجِراً مِنْ حَرَمِ اللهِ تَعالىٰ وَأَمْنِهِ ، فَلَمّا رَأَى اللهُ تَعالىٰ كَآبَتَهُ ، وَاسْتِشْعارَهُ الْحُزْنَ أَراهُ تَبارَكَ وَتَعالَى اسْمُهُ رُؤْيا تُوازِي رُؤْيا يُوسُفَ فِي تَأْوِيلِها ، وَأَبانَ لِلْعالَمِينَ صِدْقَ تَحْقِيقِها فَقالَ :

﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شَاءَ

اللهُ ءامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾(١) وَلَئِنْ كانَ يُوسُفُ عليه السلام حُبِسَ فِي السِّجْنِ فَلَقَدْ حَبَسَ رَسُولُ اللهِ نَفْسَهُ فِي الشِّعْبِ ثَلاثَ سَنِينَ، وَقُطِعَ مِنْهُ أَقارِبُهُ وَذَوو الرَّحِمِ وَالْجَأوهُ لَهُ إِلىٰ أَضْيَقِ الْمَضِيقِ، فَقَدْ كادَهُم اللهُ عَزَّ ذِكْرُهُ كَيْداً مُسْتَبِيناً؛ إِذْ بَعَثَ أَضْعَفَ خَلْقِهِ فَأَكَلَ عَهْدَهُم الَّذِي كَتَبُوهُ بَيْنَهُم فِي قَطِيعَةِ رَحِمِهِ، وَلَئِنْ كانَ يُوسُفُ أُلْقِيَ فِي الْجُبِّ فَلَقَدْ حَبَسَ مُحَمَّدٌ نَفْسَهُ مَخافَةَ عَدُوِّهِ فِي الْغارِ حَتّىٰ قالَ لِصاحِبِهِ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾(٢) وَمَدَحَهُ اللهُ بِذٰلِكَ فِي كِتابِهِ.

اليهوديّ: هذا موسى بن عمران آتاه الله عزّ وجلّ التوراة التي فيها حكم الله.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أُعْطِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، أُعْطِي سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَالْمائِدَةِ وَطواسِينَ وَطٰه وَنِصْفَ الْمُفَصَّلِ وَالْحَوامِيمِ بِالتَّوْراةِ، وَأُعْطِي نِصْفَ الْمُفَصَّلِ وَالتَّسابِيحَ بِالزَّبُورِ، وَأُعْطِي سُورَةَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَراءَة، بِصُحُفِ إِبْراهِيمَ وَصُحُفِ مُوسىٰ، وَزادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله السَّبْعَ الطِّوالَ، وَفاتِحَةَ الْكِتابِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَأُعْطِي الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ.

اليهودي: إنّ موسى ناجاه الله عزّ وجلّ على طور سيناء.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَلَقَدْ أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلىٰ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ، فَمَقامُهُ فِي السَّماءِ مَحْمُودٌ، وَعِنْدَ مُنْتَهَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ.

اليهودي: ألقى الله على موسى محبة منه.

---

(١) الفتح: ٢٧.

(٢) التوبة: ٤٠.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، لَقَدْ أَعْطَى اللهُ مُحَمَّداً ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ، لَقَدْ أَلْقَى اللهُ عَلَيْهِ مَحَبَّةً مِنْهُ ، فَمَنْ هٰذَا الَّذِي يُشْرِكُهُ فِي هٰذَا الاسمِ إِذْ تَمَّ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الشَّهادَةُ ، فَلا تَتِمُّ الشَّهادَةُ إِلَّا أَنْ يُقالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ... فَلا يُرْفَعُ صَوْتُ بِذِكْرِ اللهِ إِلَّا رُفِعَ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ مَعَهُ .

اليهودي : لقد أوحى الله إلى أم موسى لفضل منزلة موسى عند الله .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَلَقَدْ لَطُفَ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ لِأُمِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ أَوْصَلَ إِلَيْها اسْمَهُ حَتّىٰ قالَتْ : شَهِدَ اللهُ وَالْعالِمُونَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ مُنْتَظَرٌ ، وَشَهِدَ الْمَلائِكَةُ عَلَى الْأَنْبِياءِ أَنَّهُمْ أَثْبَتُوهُ فِي الْأَسْفارِ ، وَبِلُطْفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ساقَهُ إِلَيْها وَأَوْصَلَ إِلَيْها اسمَهُ لِفَضْلِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ ، وَرَأَتْ فِي الْمَنامِ أَنَّهُ قِيلَ لَها : إِنَّ ما فِي بَطْنِكِ سَيِّدٌ فَإِذا وَلَدْتِهِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّداً ، فاشْتَقَّ اللهُ لَهُ اسْماً مِنْ أَسْمائِهِ ، فَاللهُ الْمَحْمُودُ ، وَهٰذا مُحَمَّدٌ .

اليهوديّ : إنّ موسى بن عمران أرسله الله إلى فرعون ، وأراه الآية الكبرى .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَرْسَلَهُ إِلىٰ فَراعِنَةٍ شَتّىٰ ، مِثْلِ أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشامٍ ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ ، وَأَبِي الْبُخْتُرِيِّ ، وَالنَّضْرِ بْنِ الْحارِثِ ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ ، وَمِنْبِهٍ وَنَبِيهٍ ابْنَي الْحَجّاجِ وَإِلَى الْخَمْسَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ : الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْمَخْزُومِي ، وَالْعاصِ بْنِ وائِلٍ السَّهْمِي ، وَالْأَسْودِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِي ، وَالْأَسْودِ بْنِ الْمُطَّلِبِ ، وَالْحَرْثِ بْنِ أَبِي الطَّلَالَةِ ، فَأَراهُم الْآيات فِي الْآفاقِ ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .

اليهوديّ : لقد انتقم الله عزّ وجلّ لموسى من فرعون .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَلَقَدِ انْتَقَمَ اللهُ جَلَّ اسْمُهُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الْفَراعِنَةِ . فَأَمّا

الْمُسْتَهْزِئُونَ فَقَدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ إِنّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[1] فَقَتَلَ اللهُ كُلَّ واحِدٍ بِغَيْرِ قَتْلَةِ صاحِبِهِ فِي يَوْمٍ واحِدٍ، فَأَمّا الْوَلِيدُ فَمَرَّ بِنَبْلٍ لِرَجُلٍ مِنْ خَزاعَةَ قَدْ راشَهُ وَوَضَعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَأَصابَتْهُ شَظِيَّةٌ مِنْهُ فَانْقَطَعَ أَكْحَلُهُ حَتّىٰ أَدْماهُ، فَماتَ وَهُوَ يَقُولُ : قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله .

وَأَمّا الْعاصُ بْنُ وائِلٍ فَإِنَّهُ خَرَجَ فِي حاجَةٍ إِلىٰ مَوْضِعٍ فَتَدَهْدَه[2] تَحْتَهُ حَجَرٌ، فَسَقَطَ فَتَقَطَّعَ قِطْعَةً قِطْعَةً، فَماتَ وَهُوَ يَقُولُ : قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله .

وَأَمّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ : فَإِنَّهُ خَرَجَ يَسْتَقْبِلُ ابْنَهُ زَمْعَةَ، فَاسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ فَأَتاهُ جَبْرَئِيلُ فَأَخَذَ رَأْسَهُ فَنَطَحَ بِهِ الشَّجَرَةَ، فَقالَ لِغُلامِهِ : امْنَعْ عَنِّي هٰذا، فَقالَ : ما أَرىٰ أَحَداً يَصْنَعُ بِكَ شَيْئاً إِلَّا نَفْسَكَ، فَقَتَلَهُ وَهُوَ يَقُولُ : قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله .

وَأَمّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله دَعا عَلَيْهِ أَنْ يُعْمِيَ اللهُ بَصَرَهُ، وَأَنْ يُثْكِلَهُ بِوَلَدِهِ، فَلَمّا كانَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ خَرَجَ حَتّىٰ صارَ إِلىٰ مَوْضِعٍ فَأَتاهُ جَبْرَئِيلُ بِوَرَقَةٍ خَضْراءَ فَضَرَبَ بِها وَجْهَهُ، فَعَمِيَ، وَبَقِيَ حَتّىٰ أَثْكَلَهُ اللهُ بِوَلَدِهِ.

وَأَمّا الْحَرْثُ بْنُ أَبِي الطَّلَالَةِ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي السَّمُومِ فَتَحَوَّلَ حَبَشِيّاً فَرَجِعَ إِلىٰ أَهْلِهِ، فَقالَ : أَنَا الْحَرْثُ، فَغَضِبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَقُولُ : قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله .

اليهوديّ : إنّ موسى بن عمران قد أعطي العصا فكانت تتحول ثعباناً .

---

(١) الحجر : ٩٥.

(٢) **تدهده** : أي تدحرج .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ، إِنَّ رَجُلاً كانَ يَطْلُبُ أَبا جَهْلَ بْنَ هِشامٍ دَيْناً عَنْ جَزُورٍ كانَ قَدِ اشْتَراهُ مِنْهُ ، فَاشْتَغَلَ أَبُو جَهْلٍ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَلَمْ يَدْفَعْ لِلرَّجُلِ دَيْنَهُ ، فَشَكا حالَهُ إِلىٰ رَجُلٍ وَكانَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّبِيِّ ، فَقالَ لَهُ : أَدُلُّكَ عَلىٰ رَجُلٍ يَسْتَخْرِجَ حَقَّكَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَدَلَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكانَ أَبُو جَهْلٍ يَقُولُ : لَيْتَ لِمُحَمَّدٍ إِلَيَّ حاجَةً فَأَسْخَرَ بِهِ وَأَرُدَّهُ ، فَأَتَى الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقالَ لَهُ : بَلَغَنِي أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَمْرِو بْنِ هُشامٍ حُسْنَ صَداقَةٍ ، وَأَنا اسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَيْهِ فَأَجابَهُ إِلىٰ ذٰلِكَ وَقامَ مَعَهُ ، فَطَرَقَ بابَهُ فَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ فَقالَ لَهُ : أَدِّ إِلَى الرَّجُلِ حَقَّهُ ، فَقامَ مُسْرِعاً وَأَدّىٰ إِلَيْهِ حَقَّهُ ، فَلَمّا اجْتَمَعَ أَبُو جَهْلٍ بِأَصْحابِهِ قالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَرَقاً مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟ فَقالَ : وَيْحَكُمْ ! اعْذِرُونِي إِنَّهُ لَمّا أَقْبَلَ إِلَيَّ رَأَيْتُ عَنْ يَمِينِهِ رِجالاً بِأَيْدِيهِمْ حِرابٌ تَتَلأْلأُ ، وَعَنْ يَسارِهِ ثُعْبانانِ تَلْمَعُ النِّيرانُ مِنْ أَبْصارِهِما لَوْ امْتَنَعْتُ لَمْ آمَنْ أَنْ يَبْعَجُوا بِالْحِرابِ وَيَقْضِمُنِي الثُّعْبانانِ . هٰذا أَكْبَرُ مِمّا أُعْطِيَ مُوسىٰ .

وَلَقَدْ كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْذِي قُرَيْشاً بِالدُّعاءِ ، فَقامَ يَوْماً فَسَفَّهَ أَحْلامَهُمْ ، وَعابَ دِينَهُمْ ، فَشَتَمَ أَصْنامَهُمْ ، وَضَلَّلَ آباءَهُمْ ، فاغْتَمُّوا مِنْ ذٰلِكَ غَمّاً شَدِيداً ، فَقالَ أَبُو جَهْلٍ : وَاللهِ ! لَلمَوْتُ خَيْرٌ لَنا مِنَ الْحَياةِ ، فَلَيْسَ فِيكُمْ مَعاشِرَ قُرَيْشٍ أَحَدٌ يَقْتُلُ مُحَمَّداً فَيُقْتَلَ بِهِ ؟ فَقالُوا لَهُ : لا ، فَقالَ : أَنا أَقْتُلُهُ فَإِنْ شاءَ بَنُو عَبْدِالْمُطَّلِبِ قَتَلُونِي بِهِ وَإِلَّا تَرَكُونِي ، فَقالُوا لَهُ : إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ اصْطَنَعْتَ إِلىٰ أَهْلِ الْوادِي خَيْراً لا تَزالُ تُذْكَرُ بِهِ .

قالَ أَبُو جَهْلٍ : إِنَّهُ كَثِيرُ السُّجُودِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ ، فَإِذا جاءَ وَسَجَدَ أَخَذْتُ حَجَراً فَشَدَخْتَهُ بِهِ ، فَجاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَطافَ بِالْبَيْتِ سَبْعاً ثُمَّ صَلّىٰ وَأَطالَ

السُّجُودَ ، فَأَخَذَ أَبُو جَهْلٍ حَجَراً فَأَتاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ ، فَلَمّا أَنْ قَرُبَ مِنْهُ أَقْبَلَ فَحَلٌ ـ أي ثعبان ـ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فاغِراً فاهُ ، فَلَمّا أَنْ رآهُ أَبُو جَهْل فَزِعَ مِنْهُ وَارْتَعَدَتْ يَدَهُ وَطَرَحَ الْحَجَرَ فَشَدَخَ رِجْلَهُ فَرَجعَ مَدْمِيّاً مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ يَفِيضُ عَرَقاً ، فَقالَ لَهُ أَصْحابُهُ : ما رَأَيْناكَ كَالْيَوْمِ ؟ قالَ : وَيحْكُمْ ! اعْذِرُونِي فَإِنَّهُ أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِهِ فَحْلٌ فاغِراً فاهُ كادَ أَنْ يَبْتَلِعَنِي فَرَمَيْتُ الْحَجَرَ فَشَدَخَنِي .

اليهوديّ : إنّ موسى قد أعطي اليد البيضاء فهل فعل بمحمدٍ شيء من هذا ؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ أُعْطِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا . إِنَّ نُوراً كانَ يُضِيءُ عَنْ يَمِينِهِ حَيْثُما جَلَسَ ، وَعَنْ يَسارِهِ أَيْنَما جَلَسَ ، وَكانَ النّاسُ يَرَوْنَهُ .

اليهوديّ : إنّ موسى قد ضرب له في البحر طريق فهل فعل بمحمدٍ شيء من هذا ؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أُعْطِي ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ، خَرَجْنا مَعَهُ إِلىٰ حُنَيْنٍ فَإِذا نَحْنُ بِوادٍ يَشْخَبُ ـ أي يسيل ـ فَقَدَرْناهُ فَإِذا هُوَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ قامَةً ، فَقالُوا : يا رَسُولَ اللهِ ، الْعَدُوُّ مِنْ وَرائِنا وَالْوادِي أَمامَنا كَما قالَ أَصْحابُ مُوسىٰ : إِنّا لَمُدْرَكُونَ فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ قالَ : « اللّٰهُمَّ إِنَّكَ جَعَلْتَ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ دَلالَةً فَأَرِنِي قُدْرَتَكَ » وَرَكِبَ صلى الله عليه وآله فَعَبَرَتِ الْخَيْلُ لَا تَنْدىٰ حَوافِرُها ، وَالْإِبِلُ لَا تَنْدىٰ أَخْفافُها ، فَرَجَعْنا فَكَأَنْ فَتَحْنا فَتْحاً .

اليهوديّ : إنّ موسى قد اعطي الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله لَمّا نَزَلَ الْحُدَيْبِيةَ وَحاصَرَهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ ، فَإِنَّ أَصْحابَهُ شَكَوا إِلَيْهِ الظَّمَأَ ، وَأَصابَهُمْ ذٰلِكَ حَتّىٰ الْتَقَتْ خَواصِرُ الْخَيْلِ ، فَذَكَرُوا لَهُ ذٰلِكَ ، فَدَعا بِرَكْوَةٍ يَمانِيَّةٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ الْمُبارَكَةَ فِيها فَتَفَجَّرَتْ مِنْ بَيْنِ أَصابِعِهِ عُيُونُ الْماءِ ، فَصَدَرْنا وَصَدَرَتِ الْخَيْلُ رُواءً ،

وَمَلأْنا كُلَّ مَزادَةٍ وَسِقاءٍ... الخ.

اليهوديّ: إنّ موسى قد أُعطي المنّ والسلوى، فهل أُعطي محمد ﷺ نظير هذا؟

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدُ ﷺ أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَلَّ لَهُ الْغَنائِمَ وَلِأُمَّتِهِ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، فَهٰذا أَفْضَلُ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوىٰ، ثُمَّ زادَهُ بِأَنْ جَعَلَ النِّيَّةَ ـ أي نيّة عمل الخير ـ **لَهُ وَلِأُمَّتِهِ بِلا عَمَلٍ عَمَلاً صالِحاً، وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ ذٰلِكَ قَبْلَهُ، فَإِذا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَإِنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً.**

اليهوديّ: إنّ موسى قد ظلل عليه الغمام.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَقَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ لِمُوسىٰ فِي التِّيْهِ، وَأُعْطِيَ مُحَمَّدُ ﷺ أَفْضَلَ مِنْ هٰذا إِنَّ الْغَمامَةَ كانَتْ تُظِلُّهُ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلىٰ يَوْمِ قُبِضَ، فِي حَضَرِهِ وَأَسْفارِهِ، فَهٰذا أَفْضَلُ مِمّا أُعْطِيَ مُوسىٰ.

اليهودي: هذا داوُد قد ليّن الله له الحديد فعمل منه الدروع.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدُ ﷺ قَدْ أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، إِنَّهُ لَيَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الصُّمَّ الصُّخُوْرَ الصِّلابَ، وَجَعَلَها غاراً، وَلَقَدْ غارَتِ الصَّخْرَةُ تَحْتَ يَدِهِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ لَيِّنَةً حَتّىٰ صارَتْ كَهَيْئَةِ الْعَجِينِ وَقَدْ رَأَيْنا ذٰلِكَ، وَأَلْتَمَسْناهُ تَحْتَ رايَتِهُ.

اليهوديّ: إنّ داوُد بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدُ ﷺ أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا، إِنَّهُ كانَ إِذا قامَ إِلَى الصَّلاةِ، سُمِعَ لِصَدْرِهِ وَجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ عَلَى الْأَثافِي مِنْ شِدَّةِ الْبُكاءِ، وَقَدْ آمَنَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِقابِهِ فَأَرادَ أَنْ يَتَخَشَّعَ لِرَبِّهِ بِبُكائِهِ،

وَيَكُونَ إِماماً لِمَنِ اقْتَدىٰ بِهِ ، وَلَقَدْ قامَ عَشْرَ سِنِينَ عَلىٰ أَطْرافِ أَصابِعِهِ حَتّىٰ تَوَرَّمَتْ قَدَماهُ وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ ، يَقُومُ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتّىٰ عُوتِبَ فِي ذٰلِكَ ، فَقالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ طٰه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[1] بَلْ لِتُسْعَدَ بِهِ ، وَلَقَدْ كانَ يَبْكِي حَتّىٰ يُغْشىٰ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ :

يا رَسُولَ اللهِ ، أَلَيْسَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ؟

قالَ : بَلىٰ أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً . . .

اليهوديّ : إنّ سليمان اُعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ ، إِنَّهُ هَبَطَ إِلَيْهِ مَلَكٌ لَمْ يَهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَهُ ، وَهُوَ مِيكائِيلُ ، فَقالَ لَهُ :

يا مُحَمَّدُ ، عِشْ مَلِكاً مُنَعَّماً ، وَهٰذِهِ مَفاتِيحُ خَزائِنِ الْأَرْضِ مَعَكَ ، وَتَسِيرُ مَعَكَ جِبالُها ذَهَباً وَفِضَّةً ، لا يَنْقُصُ لَكَ فِيما ادُّخِرَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ شَيْءٌ ، فَأَوْمأَ إِلىٰ جَبْرَئِيلَ ، وَكانَ خَلِيلَهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ فَأَشارَ إِلَيْهِ : أَنْ تَواضَعْ ، فَقالَ :

بَلْ أَعِيشُ عَبْداً آكُلُ يَوْماً ، وَلا آكُلُ يَوْمَيْنِ ، وَأَلْحَقُ بِإِخْوانِي مِنَ الْأَنْبِياءِ مِنْ قَبْلِي فَزادَهُ اللهُ الْكَوْثَرَ وَأَعْطاهُ الشَّفاعَةَ ، وَذٰلِكَ أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيا مِنْ أَوَّلِها إِلىٰ آخِرِها سَبْعِينَ مَرَّةً ، وَوَعَدَهُ الْمَقامَ الْمَحْمُودَ ، فَإِذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ أَقْعَدَهُ اللهُ تَعالىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، فَهٰذا أَفْضَلُ مِمّا أُعْطِيَ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدَ .

اليهوديّ : إنّ سليمان قد سُخِّرت له الرياح فسارت به في بلاده غدوّها شهرٌ ورواحها شهرٌ .

---

(١) طـه : ١ ـ ٢ .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ، إِنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصىٰ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَعُرِجَ بِهِ فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ مَسِيرَةَ خَمْسِينَ أَلْف عامٍ فِي أَقَلَّ مِنْ ثُلْثِ لَيْلَةٍ حَتّىٰ انْتَهىٰ إِلىٰ ساقِ الْعَرْشِ ، فَدَنا بِالْعِلْمِ فَتَدَلّىٰ ، فَدُلِّي لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ رَفْرَفٌ أَخْضَرُ وَغَشّي النُّورُ بَصَرَهُ ، فَرَأَىٰ عَظَمَةَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفُؤادِهِ ، وَلَمْ يَرَها بِعَيْنِهِ فَكانَ كَقابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ ، فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ ما أَوْحىٰ ، فَكانَ فِيما أَوْحىٰ إِلَيْهِ الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ واللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١] .

اليهوديّ : هذا يحيى بن زكريا أُوتي الحكم صبياً والحلم والفهم ، وانّه كان يبكي من غير ذنب وكان يواصل الصوم .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هٰذا ، إِنَّ يَحْيىٰ بْنَ زَكَرِيّا كانَ فِي عَصْرٍ لا أَوْثانَ فِيهِ وَلا جاهِلِيَّةَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُوتِيَ الْحُكْمَ وَالْفَهْمَ صَبِيّاً بَيْنَ عَبَدَةِ الْأَوْثانِ وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ ، وَلَمْ يَرْغَبْ لَهُمْ فِي صَنَمٍ قَطُّ ، وَلَمْ يَنْشَطْ لِأَعْيادِهِمْ ، وَلَمْ يُرَ مِنْهُ كَذِبٌ قَطُّ ، وَكانَ أَمِيناً ، صَدُوقاً ، حَلِيماً ، وَكانَ يُواصِلُ صَوْمَ الْأُسْبُوعِ وَالْأَقَلَّ وَالْأَكْثَرَ ، فَيُقالُ لَهُ فِي ذٰلِكَ : فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي ، فَيُطْعِمُنِي ، وَيَسْقِينِي ، وَكانَ يَبْكِي حَتّىٰ يَبْتَلَّ مُصَلّاهُ خَشْيَةً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ .

اليهوديّ : إنّ عيسى بن مريم يزعمون أنه تكلّم في المهد صبياً .

---

(١) البقرة : ٢٨٤.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ سَقَطَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ واضِعاً يَدَهُ الْيُسْرىٰ عَلَى الْأَرْضِ، وَرافِعاً يَدَهُ الْيُمْنىٰ إِلَى السَّماءِ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَبَدا مِنْ فِيهِ نُورٌ رَأىٰ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْهُ قُصُورَ بُصْرىٰ مِنَ الشّامِ وَما يَلِيها، وَالْقُصُورُ الْحُمْرُ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ وَما يَلِيها، وَالْقُصُورُ الْبِيضُ مِنْ اسْطَخْرَ وَما يَلِيها... وَلَقَدْ أَضاءَتِ الدُّنْيا لَيْلَةَ وُلِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله... الخ.

اليهوديّ: إنّ عيسى يزعمون أنه أبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله عزّ وجلّ.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أُعْطِيَ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ، أَبْرَأَ ذَا الْعاهَةِ مِنْ عاهَتِهِ، فَبَيْنَما هُوَ جالِسٌ إِذْ سَأَلَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحابِهِ، فَقالُوا:

يا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَدْ صارَ مِنَ الْبَلاءِ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ لَا رِيْشَ عَلَيْهِ، فَأَتاهُ، فَإِذا هُوَ كَهَيْئَةِ الْفَرْخِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلاءِ، فَقالَ:

قَدْ كُنْتَ تَدْعُو فِي صِحَّتِكَ دُعاءً؟

قالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: يا رَبَّ السَّماءِ، أَيَّما عُقُوبَةٍ مُعاقِبِي بِها فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْها لِي فِي الدُّنْيا.

فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: أَلَا قُلْتَ: ﴿رَبَّنَا ءاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]، فَقالَها، فَكَأَنَّما نَشِطَ مِنْ عِقالٍ، وَقامَ صَحِيحاً وَخَرَجَ مَعَنا...

وذكر الإمام بوادر كثيرة ممن ابتلوا بالأرض والعاهات، وعافاهم الله تعالى ببركة النبي صلى الله عليه وآله. ومن بنود هذه المناظرة:

---

(١) البقرة: ٢٠١.

اليهوديّ: إنّ عيسى بن مريم يزعمون أنّه أنبأ قومه بما يأكلون ومايدّخرون في بيوتهم.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ فَعَلَ ما هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ إِنَّ عِيسىٰ أَنْبأَ قَوْمَهُ بِماكانَ مِنْ وَراءِ حائِطٍ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَنْبأَ عَنْ مُؤْتَةَ وَهُوَ عَنْها غائِبٌ، وَوَصَفَ حَرْبَهُمْ، وَمَنْ اسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مَسِيْرَةُ شَهْرٍ.

وَكانَ يَأْتِيهِ الرَّجُلُ يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَيَقُولُ ﷺ: تَقُولُ أَوْ أَقُولُ؟ فَيَقُولَ: بَلْ قُلْ يا رَسُولَ اللهِ، فَيَقُولَ: جِئْتَنِي فِي كَذا وَكَذا حَتّىٰ يَفْرُغَ مِنْ حاجَتِهِ، وَلَقَدْ كانَ ﷺ يُخبِرُ أَهْلَ مَكَّةَ بِأَسْرارِهِمْ، حَتّىٰ لَا يَتْرُكَ مِنْ أَسْرارِهِمْ شَيْئاً، مِنْها ماكانَ بَيْنَ صَفْوانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَبَيْنَ عُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ إِذ أَتاهُ عُمَيْرٌ، فَقالَ: جِئْتُ فِي فَكاكَ ابْنِي، فَقالَ لَهُ: كَذَبْتَ، بَلْ قُلْتَ لِصَفْوانَ: وَقَدِ اجْتَمَعْتُمْ فِي الْحَطِيمِ، وَذَكَرْتُمْ قَتْلىٰ بَدْرٍ، وَاللهِ لَلمَوْتُ خَيْرٌ لَنا مِنَ الْبَقاءِ مَعَ ما صَنَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِنا، وَهَلْ حَياةٌ بَعْدَ أَهْلِ الْقَلِيبِ؟ فَقُلْتَ أَنْتَ: لَوْلَا عِيالِي وَدَيْنٌ عَلَيَّ لَأَرَحْتُكَ مِنْ مُحَمَّدٍ، فَقالَ صَفْوانُ: عَلَيَّ أَنْ أَقْضِي دَيْنَكَ، وَأَنْ أَجْعَلَ بَناتِي مَعَ بَناتِكَ يُصِيبُهُنَّ ما يَصِيبُهُنَّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَقُلْتَ أَنْتَ: فَاكْتُمْها عَلَيَّ وَجَهِّزْنِي حَتّىٰ أَذْهَبَ فَأَقْتُلَهُ، فَجِئْتَ لِتَقْتُلَنِي، فَقالَ: صَدَقْتَ يا رَسُولَ اللهِ، فَأَنا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّك رَسُولُ اللهِ، وَأَشْباهُ هٰذا مِمّا لَا يُحْصىٰ.

اليهوديّ: إنّ عيسى يزعمون أنه خلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله عزّ وجلّ.

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ فَعَلَ ما هُوَ أَشْبَهُ بِهٰذا؛ إِذ أَخَذَ يَوْمَ حُنَيْنٍ حَجَراً فَسَمِعْنا لِلْحَجَرِ تَسْبِيحاً وَتَقْدِيساً، ثُمَّ قالَ لِلْحَجَرِ: انْفَلِقْ فَانْفَلَقَ ثَلاثَ فِلَقٍ نَسْمَعُ لِكُلِّ فِلْقَةٍ مِنْها تَسْبِيحاً لَا يُسْمَعُ لِلْأُخْرىٰ.

وَلَقَدْ بَعَثَ إِلىٰ شَجَرَةٍ يَوْمَ الْبَطْحاءِ فَأَجابَتْهُ ، وَلِكُلِّ غُصْنٍ مِنْها تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلٌ وَتَقْدِيسٌ ، ثُمَّ قالَ لَها : انْشَقِّي ، فَانْشَقَّتْ نِصْفَيْنِ ، ثُمَّ قالَ لَها : الْتَزِقِي فَالْتَزَقَتْ ، ثُمَّ قالَ لَها : اشْهَدِي لِي بِالنُّبُوَّةِ فَشَهِدَتْ ، ثُمَّ قالَ لَها : ارْجِعِي إِلىٰ مَكانِكِ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ فَفَعَلَتْ ، وَكانَ مَوْضِعُها بِجَنْبِ الْجَزّارِينَ بِمَكَّةَ .

اليهوديّ : إنّ عيسى يزعمون أنه كان سياحاً .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله كانَتْ سِياحَتُهُ فِي الْجِهادِ وَاسْتَنْفَرَ فِي عَشْرِ سِنِينَ ما لَا يُحْصىٰ مِنْ حاضِرٍ وَبادٍ ، وَأَفْنىٰ فِئاماً مِنَ الْعَرَبِ مِنْ مَنْعُوتٍ بِالسَّيْفِ... ـ وذلك لنشر كلمة التوحيد ـ.

اليهوديّ : إنّ عيسى يزعمون كان زاهداً .

لَقَدْ كانَ كَذٰلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله أَزْهَدُ الْأَنْبِياءِ ، كانَ لَهُ ثَلاثَ عَشْرَةَ زَوْجَةً سِوىٰ مَنْ يَطِيفُ بِهِ مِنَ الْإِماءِ ، ما رُفِعَتْ لَهُ مائِدَةٌ قَطُّ وَعَلَيْها طَعامٌ ، وَما أَكَلَ خُبْزَ بُرٍّ قَطُّ ، وَلَا شَبِعَ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ ثَلَاثَ لَيالٍ مُتَوالِياتٍ قَطُّ ، تُوُفِّيَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِأَرْبَعَةِ دَراهِمَ ، ما تَرَكَ صَفْراءَ وَلَا بَيْضاءَ مَعَ ما وُطِّئَ لَهُ مِنَ الْبِلَادِ ، وَمُكِّنَ لَهُ مِنْ غَنائِمِ الْعِبادِ ، وَلَقَدْ كانَ يُقَسِّمُ فِي الْيَوْمِ الْواحِدِ ثَلاثَمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ ، وَيَأْتِيهِ السَّائِلُ بِالْعَشِيِّ فَيَقُولُ : وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ ما أَمْسىٰ فِي آلِ مُحَمَّدٍ صاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَا صاعٌ مِنْ بُرٍّ ، وَلَا دِرْهَمٌ ، وَلَا دِينارٌ .

وانتهت هذه المناظرة التي حفلت بتفوّق الرسول صلى الله عليه وآله على سائر الأنبياء وامتيازه عليهم بما منحه الله وآتاه من الطاقات الهائلة في ميادين الفضائل التي لا حدّ لها . وقد أسلم اليهودي ، وقال :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَسُولُ اللهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ ما أعْطى اللهُ نَبِيّاً دَرَجَةً ، وَلَا مُرْسلاً فَضِيْلَةً إِلَّا وَقَدْ جَمَعَها لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وَزادَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَى الْأَنْبِياءِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَضْعافاً .

وبهر حَبر الأُمّة عبد الله بن عباس من حديث الإمام وقال : أشهد يا أبا الحسن إنّك من الراسخين في العلم .

فقال له الإمام :

وَما لِيَ لَا أَقُولُ ما قُلْتُ فِي نَفْسِ مَنِ اسْتَعْظَمَهُ اللهُ تَعالىٰ فِي عَظَمَتِهِ فَقالَ : ﴿ وإنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1][2] .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مناظرات الإمام واحتجاجاته مع اليهود وقد حفلت بأروع الأدلّة ، وأكثرها إصالة ، مما دعا اليهود الذين سألوه وحاجوه إلى إعلان الإسلام واعتناقه .

---

(١) القلم : ٤.

(٢) بحار الأنوار ١٠ : ٢٨ ـ ٤٨. الاحتجاج ١١١ ـ ١٢٠.

مُنَاظَرَةٌ
مَعَ ٱلزَّنَادِقَةِ

كان الإمام عليه السلام هو المتصدي الوحيد لإبطال الشّبه والأوهام التي تحوم حول الإسلام في تشريعاته وأحكامه ، والتي أثارها الحاقدون على انتصاره ، واقبال الناس أفواجاً على اعتناقه ، ومن المؤكد انه ليس هناك أقدر ولا أولى من حماية الإسلام سوى الإمام عليه السلام ، فقد احاط بفلسفة التشريع الإسلامي ، ووقف على دقائقه ومحتوياته وانه ليس هناك أي تناقض أو تضاد في جميع تشريعاته التي تواكب الفطرة ، وتساير الطبيعة ، وتتفق مع سنن الكون ، ونعرض لبعض شبهات الزنادقة والمنحرفين والمنجمين ، وإبطال الإمام عليه السلام لها .

مع زنديق

وفد على الإمام عليه السلام زنديق ، وقد اترعت نفسه بالأوهام حول الإسلام ، فزعم أنّ هناك تضارباً وتعارضاً في آيات القرآن الكريم ، فقال للإمام :

لولا مافي القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم وسارع الإمام قائلاً :

«ما هُوَ ؟ » .

عرض الزنديق على الإمام عليه السلام ما التبس عليه من الآيات وهي :

قوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿فاليَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إلّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾[4] .

---

(١) التوبة : ٦٧.

(٢) الأعراف : ٥١.

(٣) مريم : ٦٤.

(٤) النبأ : ٣٨.

وقوله تعالى : ﴿ واللهِ ربِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[(١)].

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً ﴾[(٢)].

وقوله تعالى : ﴿إنّ ذٰلكَ لَحَقٌ تَخَاصُمُ أهْلِ النّارِ﴾[(٣)].

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾[(٤)].

وقوله تعالى : ﴿ اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أيْدِيهِم وَتَشْهَدُ أرجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[(٥)].

وقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يومَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إلىٰ ربِّهَا نَاظِرَة ﴾[(٦)].

وقوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَار... ﴾[(٧)].

وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَىٰ ﴾[(٨)].

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾[(٩)].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلّا وَحْياً... ﴾[(١٠)].

---

(١) الأنعام: ٢٣.

(٢) العنكبوت: ٢٥.

(٣) ص: ٦٤.

(٤) ق: ٢٨.

(٥) يس: آية ٦٥.

(٦) القيامة: ٢٢ ـ ٢٣.

(٧) الأنعام: ١٠٣.

(٨) النجم: ١٣ ـ ١٤.

(٩) طه: ١٠٩.

(١٠) الشورى: ٥١.

وقوله تعالى : ﴿ كَلّا إنّهُم عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إلّا أنْ تَأتِيَـهُم المَلائِكَةُ أوْ يَأتِي ربُّك... ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَـافِرُونَ ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فأعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهم إلىٰ يَوْمِ يَلقَونَهُ... ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَـانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ ربِّـهِ ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَأىٰ الْمُجْرِمُونَ النّـارَ فَظنُّوا أنَّهُم مُوَاقِعُوهَـا﴾[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ القِسْطَ لِيَومِ القِيَامَةِ ﴾[٧] .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِيْنُهُ﴾ ، ﴿ومَنَ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ ﴾[٨] .

وانبرى الإمام عليه‌السلام إلى تفسير هذه الآيات بما يرفع التعارض المتوهم :

أَمّا قَوْلُهُ : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ إِنَّما يَعْنِي نَسُوا اللهَ فِي دارِ الدُّنـيا ، لَـمْ يَعْمَلُوا بِطَاعَتِهِ فَنَسِيَهُمْ فِي الآخِرَةِ أَي لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ فِي ثَوابِهِ شَيْئاً فَصارُوا مَنْسِيِّينَ مِنَ الْخَيْرِ .

وَكَذٰلِكَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ

---

(١) المطفّفين : ١٥ .

(٢) الأنعام : ١٥٨ .

(٣) السجدة : ١٠ .

(٤) التوبة : ٧٧ .

(٥) الكهف : ١١٠ .

(٦) الكهف : ٥٢ .

(٧) الأنبياء : ٤٧ .

(٨) المؤمنون : ١٠٢ ـ ١٠٣ .

هـٰذَا﴾ يَعْنِي بِالنِّسْيانِ أَنَّهُ لَمْ يُثِبْهُمْ كَما يُثِيبُ أَوْلِياءَهُ الَّذِينَ كَانُوا فِي دارِ الدُّنْيا مُطِيعِينَ ذاكِرِينَ حِيْنَ آمَنُوا بِهِ وَبِرُسُلِهِ ، وَخافُوهُ بْالْغَيْبِ.

وَأَمّا قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ فَإِنَّ رَبَّنا تَبارَكَ وَتَعالىٰ عُلُوّاً كَبِيراً لَيْسَ بِالَّذِي يَنْسىٰ وَلَا يَغْفِلُ بَلْ هُوَ الْحَفِيظُ الْعَلِيمُ ، وَقَدْ يَقُولُ الْعَرَبُ فِي بابِ النِّسْيانِ قَدْ نَسِيَنا فُلَانٌ فَلَا يَذْكُرُنا ، أَي أَنَّهُ لَا يأْمُرُ لَنا بِخَيْرٍ وَلَا يَذْكُرُنا بِهِ فَهَلْ فَهِمْتَ مَا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ؟

قالَ : نَعَمْ ، فرّجت عنّي فرّج عنك وحللت عنّي عقدة فعظّم الله أجرك . قالَ :

وَأَمّا قَوْلُهُ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ .

وقوله : ﴿ وَاللهِ رَبِّنا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً ﴾ .

وقوله : ﴿إِنّ ذٰلكَ لَحَقٌ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ .

وقوله : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بالوَعِيدِ ﴾ .

وقوله : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِم وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ فِي مَواطِنِ غَيْرِ واحِدٍ مِنْ مَواطِنِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .

المراد : يَكْفُرُ ـ أهل المعاصي ـ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَالْكُفْرُ فِي هـٰذِهِ الآيَةِ « الْبَراءَةُ » تَقُولُ : فَتَبَرَّأَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَنَظِيرُها فِي سُورَةِ إِبْراهِيمَ ، قَوْلُ الشَّيْطانِ : ﴿ إِنّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ ﴾[1] ، وَقَوْلُ إِبْراهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمٰنِ : ﴿كَفَرْنَا بِكُم ﴾

(١) إبراهيم : ٢٢.

يَعْنِي تَبَرَّأْنا مِنكُمْ.

اجتماع العباد في مواطن:

وأفاد الإمام عليه السلام أنّ العباد يجتمعون يوم القيامة في مواطن متعدّدة وهي:

ـ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ يُسْتَنْطَقُونَ وَيَبْكُونَ فِيهِ، فَلَوْ أَنَّ تِلْكَ الْأَصْواتَ بَدَتْ لِأَهْلِ الدُّنيا لَأَذْهَلَتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ عَنْ مَعايِشِهِمْ، وَلَتَصَدَّعَتْ قُلُوبُهُمْ... الخ.

ـ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ فَيُسْتَنْطَقُونَ فِيهِ، فَيَقُولُونَ: ﴿واللهِ ربِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وَهَؤُلاءِ خاصَّةً هُمُ الْمُقِرُّونَ فِي دارِ الدُّنْيا بِالتَّوْحِيدِ، فَلَا يَنْفَعُهُم إِيمانُهُمْ بِاللهِ لِمُخالَفَتِهِمْ رُسُلَهُ وَشَكِّهِمْ فِيمَا أَتَوْا بِهِ عَنْ رَبِّهِم، وَنَقْضِهِمْ عُهُودَهُم فِي أَوْصِيائِهِمْ، وَاسْتِبْدالِهِم الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، فَكَذَّبَهُمُ اللهُ فِيما انْتَحَلُوهُ مِنَ الْإيمانِ بِقَوْلِهِ: ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلىٰ أنفُسِهِم﴾[1] فَيَخْتِمُ اللهُ علىٰ أَفْواهِهِمْ، وَيَسْتَنْطِقُ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ وَالْجُلُودَ فَتَشْهَدُ بِكُلِّ مَعْصِيَةٍ كانَتْ مِنْهُمْ، ثُمَّ يُرْفَعُ عَنْ أَلْسِنَتِهِمُ الْخَتْمُ، فَيَقُولُونَ لِجُلُودِهِمْ: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا؟ قالُوا: أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ.

ـ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ فَيُسْتَنْطَقُونَ، فَيَفِرُّ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَذٰلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[2] فَيُسْتَنطَقُونَ فَلَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ...

---

(١) الأنعام: ٢٤.

(٢) عبس: ٣٤ ـ ٣٦.

ـ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ يُسْتَنْطَقُ فِيهِ أَوْلِياءُ اللهِ وَأَصْفِياؤُهُ، فَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقالَ صَواباً، فَيَقُومُ الرُّسُلُ فَيُسْأَلُونَ عَنْ تَأْدِيَةِ الرِّسالَةِ الَّتِي حَمَلُوها إِلىٰ أُمَمِهِمْ، وَتُسْأَلُ الأُمَمُ فَتَجْحَدُ كَما قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾[1] فَيَقُولُونَ: ﴿مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾[2] فَتَشْهَدُ الرُّسُلُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَيَشْهَدُ بِصِدْقِ الرُّسُلِ، وَتَكْذِيبِ مَنْ جَحَدَها مِنَ الأُمَمِ، فَيَقُولُ ـ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ ـ: ﴿فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ واللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ أَي مُقْتَدِرٌ عَلىٰ شَهادَةِ جَوارِحِكُم عَلَيكُم بِتَبْلِيغِ الرُّسُلِ إِلَيْكُم رِسالَاتِهِم، كَذٰلِكَ قالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾[3] فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّ شَهادَتِهِ، خَوْفاً مِنْ أَنْ يَخْتِمَ اللهُ عَلىٰ أَفْوَاهِهِم، وَتَشْهَدَ عَلَيهِم جَوارِحُهُم بِما كانُوا يَعْمَلُونَ، وَيَشْهَدُ عَلىٰ مُنافِقِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ وَكُفّارِهِمْ بِإِلْحادِهِم وَعِنادِهِم، وَنَقْضِهِم عَهْدَهُ، وَتَغْيِيرِهِم سُنَّتَهُ، وَاعْتِدائِهِم عَلىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَانْقِلَابِهِم عَلىٰ أَعْقابِهِم وَارْتِدادِهِم عَلىٰ أَدْبارِهِم، وَاحْتِذائِهِم فِي ذٰلِكَ سُنَّةَ مَنْ تَقَدَّمَهُم مِنَ الأُمَمِ الظّالِمَةِ الْخائِنَةِ لِأَنْبِيائِها، فَيَقُولُونَ بِأَجْمَعِهِم: ﴿قالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾[4].

ـ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ يَكُونُ فِيهِ مَقامُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَهُوَ «الْمَقامُ الْمَحْمُودُ» فَيُثْنِي عَلَى اللهِ بِمَا لَمْ يُثْنِ عَلَيْهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ، ثُمَّ يُثْنِي عَلَى

---

(١) الأعراف: ٦.

(٢) المائدة: ١٩.

(٣) النساء: ٤١.

(٤) المؤمنون: ١٠٦.

الْمَلائِكَةِ كُلِّهِم ، فَلَا يَبقَىٰ مَلَكٌ إِلَّا أَثْنىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ يُثْنِي عَلَى الْأَنبياءِ ، بِما لَمْ يُثْنِ عَلَيهِم أَحَدٌ قَبْلَهُ ، ثُمَّ يُثْنِي عَلىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ يَبْدَأُ بِالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ ثُمَّ الصّالِحِينَ ، فَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمٰواتِ وَأَهْلُ الْأَرَضِيْنَ ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾ (١) .

فَطُوبىٰ لِمَنْ كانَ لَهُ فِي ذٰلِكَ الْمَكانِ حَظٌّ وَنَصِيبٌ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذٰلِكَ الْمَقامِ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ .

ـ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي مَوْطِنٍ آخَرَ ، وَيُزالُ بَعْضُهُم عَنْ بَعْضٍ ، وَهذا كُلُّهُ قَبْلَ الْحِسابِ ، فَإِذا أُخِذَ فِي الْحِسابِ شُغِلَ كُلُّ إِنسانٍ بِمَا لَدَيْهِ ، نَسْأَلُ اللهَ بَرَكَةَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ .

لقد عرض الإمام عليه السلام إلى تفصيل المواقف التي يقف بها العباد في يوم القيامة وذلك قبل يوم الحساب ، ولا أظن أن رواية وردت عن أئمة الهدى عليهم السلام عرضت لذلك بصورة مفصلة .

ثمّ يأخذ الإمام عليه السلام في تفسير الآيات التي سُئل عنها وغيرها فيقول :

وَأَمّا قَوْلُهُ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلىٰ رَبِّهَا ناظِرَةٌ ﴾ ذٰلِكَ فِي مَوْضِعٍ يَنْتَهِي فِيهِ أَوْلِياءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَما يَفْرُغُ مِنَ الْحِسابِ إِلىٰ نَهْرٍ يُسَمّىٰ « نَهْرَ الْحَيوانِ » فَيَغْتَسِلُونَ مِنْهُ ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ آخَرَ ، فَتَبْيَضُّ وُجُوهُهُم فَيَذْهَبُ عَنْهُمْ كُلُّ أَذىً وَقَذىً وَوَعْثٍ ، ثُمَّ يُؤْمَرُونَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ ، فَمِنْ هٰذَا الْمَقامِ يَنْظُرُونَ إِلىٰ رَبِّهِم ـ أَي إِلىٰ عَطائِهِ كَيْفَ يُثِيبُهُم ، وَمِنْهُ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَذٰلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَسْلِيمِ الْمَلائِكَةِ عَلَيْهِم : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُم

(١) الإسراء : ٧٩ .

طِبْتُم فادْخُلوهـا خالِدِينَ ﴾[١]، فَعِنْدَ ذٰلِكَ أُثِيبُوا بِدُخولِ الْجَنَّةِ، وَالنَّظرِ إِلىٰ ما وَعَدَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿إِلىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أَي مُنْتَظِرَةٌ... الخ.

وَأَمّا قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ ﴾ يَعْنِي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله كَانَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهىٰ حَيْثُ لَا يُجاوِزُها خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَوْلُهُ فِي آخِرِ الآيَةِ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَىٰ ﴾[٢] رَأىٰ جَبْرَئِيل فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ هٰذِهِ مَرَّةٌ وَمَرَّةٌ أُخْرىٰ، وَذٰلِكَ أَن خَلْقَ جَبْرَئِيلَ خَلْقٌ عَظِيمٌ فَهُوَ مِنَ الرُّوحانِيِّينَ الَّذِينَ لَا يُدْرِكُ خَلْقَهُم وَلَا صِفَتَهُم إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ.

وَأَمّا قَوْلُهُ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُوْلاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ... ﴾[٣]، كَذٰلِكَ قالَ اللهُ تَعالىٰ، وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يُوْحِي إِلَيْهِ رُسُلٌ مِنَ السَّماءِ فَتَبْلُغُ رُسُلُ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَقَدْ كَانَ الْكَلَامُ بَيْنَ رُسُلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَبَيْنَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُرْسَلَ بِالْكَلَامِ مَعَ رُسُلِ أَهْلِ السَّماءِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: يا جَبْرَئِيلُ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

فَقَالَ جَبْرَئِيلُ: إِنَّ رَبِّي لَا يُرىٰ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مِنْ أَيْنَ تَأْخُذُ الْوَحْيَ؟

قَالَ: آخُذُهُ مِنْ إِسْرافِيلَ.

---

(١) الزمر: ٧٣.

(٢) النجم: ١٧ ـ ١٨.

(٣) الشورى: ٥١.

قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ يَأْخُذُهُ إِسْرافِيلَ؟

قَالَ: يَأْخُذُهُ مِنْ مَلَكٍ فَوْقَهُ مِنَ الرُّوحانِيِّينَ.

قَالَ: وَمِنْ أَيْنَ يَأْخُذُهُ ذَلِكَ الْمَلَكُ؟

قَالَ: يُقْذَفُ فِي قَلْبِهِ قَذْفاً فَهٰذا وَحْيٌ، وَهُوَ كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِنَحْوٍ واحِدٍ:

مِنْهُ ما كَلَّمَ اللهُ بِهِ الرُّسُلَ.

وَمِنْهُ ما قُذِفَ فِي قُلُوبِهِمْ.

وَمِنْهُ رُؤْيا يَراها الرُّسُلُ.

وَمِنْهُ وَحْيٌ وَتَنْزِيلٌ يُتْلىٰ وَيُقْرَأُ، فَهُوَ كَلَامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَمّا قَوْلُهُ: ﴿كَلّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمحْجُوبُونَ﴾ (١) فَإِنَّما يَعْنِي بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَنْ ثَوابِ رَبِّهِم لَمَحْجُوبُونَ.

وَقَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ (٢) يُخْبِرُ مُحَمَّداً ﷺ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنافِقِينَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ فَقالَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾ وَحَيْثُ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ قالَ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْعَذابُ يَأْتِيهِمْ فِي دارِ الدُّنْيا، كَما عَذَّبَ فِي الْقُرُونِ الأُولىٰ، فَهٰذا خَبَرٌ يُخْبَرُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنهُم، ثُمَّ قالَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءايَاتِ رَبِّك لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءامَنَتْ مِن

---

(١) المطفّفين: ١٥.

(٢) الأنعام: ١٥٨.

قَبْلُ﴾ يَعْنِي لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِي هـٰذِهِ الآيَةُ، وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها.

وَقالَ فِي آيَةٍ أُخْرىٰ: ﴿فَأَتٰـهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[1] يَعْنِي أَرْسَلَ عَلَيْهِم عَذاباً، وَكَذَلِكَ إِتْيانُهُ بُنْيانَهُمْ حَيْثُ قالَ: ﴿فأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَواعِدِ﴾[2] يَعْنِي أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذابَ.

وَأَمّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِم كَافِرُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَعقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِم إِلىٰ يَومِ القِيامَةِ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَل عَمَلاً صَالِحاً﴾ يَعْنِي: الْبَعْثَ، فَسَمّاهُ لِقاءً.

كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ﴾[3] يَعْنِي: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ فَإِنَّ وَعْدَ اللهِ لَآتٍ: مِنَ الثَّوابِ وَالْعِقابِ، فَاللِّقاءُ هاهُنا لَيْسَ بِالرُّؤْيَةِ، وَاللِّقاءُ هُوَ الْبَعْثُ.

وَأَمّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرأىٰ الْمجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُوَاقِعُوهَا﴾ يَعْنِي تَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَها.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيه﴾[4].

وَأَمّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُنافِقِينَ: ﴿وَتَظنُّونَ باللهِ الظُّنونَا﴾[5]، فَهُوَ ظَنٌّ

---

(١) الحشر: ٢.

(٢) النحل: ٢٦.

(٣) العنكبوت: ٥.

(٤) الحاقّة: ٢٠.

(٥) الأحزاب: ١٠.

شَكٍّ وَلَيْسَ ظَنَّ يَقِينٍ، وَالظَّنُّ ظَنَّانِ: ظَنُّ شَكٍّ، وَظَنُّ يَقِينٍ، فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَعادِ مِنَ الظَّنِّ فَهُوَ ظَنُّ يَقِينٍ، وَما كانَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا فَهُوَ ظَنُّ شَكٍّ.

وَأَمّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْط ليَومِ القِيامَةِ فَلا تُظْلَم نَفسُ شَيْئاً﴾ فَهُوَ مِيْزانُ الْعَدْلِ، يُؤْخَذُ بِهِ الْخَلائِقُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، يُدِيْنُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى الْخَلايِقَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَيَجْزِيهِمْ بِأَعْمالِهِم، وَيَقْتَصُّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظّالِمِ.

وَمَعْنىٰ قَوْلِهُ: ﴿ فَمَن ثَقُلَت مَوازِينُه ﴾ و: ﴿ وَمَن خَفَّتْ مُوَازِينَهُ ﴾، فَهُوَ قِلَّةُ الْحِسابِ وَكَثْرَتُهُ، وَالنّاسُ يَوْمَئِذٍ عَلىٰ طَبَقاتٍ وَمَنازِلَ:

فَمِنْهُم مَنْ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً، وَيَنْقَلِبُ إِلىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً.

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَلَبَّسُوا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا، وَإِنَّما الْحِسابُ هُناكَ عَلىٰ مَنْ تَلَبَّسَ بِها هاهُنا.

وَمِنْهُم مَنْ يُحاسَبُ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ، وَيَصِيرُ إِلىٰ عَذابِ السَّعِيرِ.

وَمِنْهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَقادَةُ الضَّلالَةِ، فَأُوْلَـٰئِكَ لا يُقِيمُ لَهُمْ وَزْناً، وَلا يَعْبأُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ وَتَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ، وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ.

الزنديق:

- أجد الله يقول: ﴿ قُلْ يَتوفَاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[١].

وفي موضع آخر يقول: ﴿ اللهُ يَتوفَّىٰ الأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا ﴾[٢].

---

(١) السجدة: ١١.

(٢) الزمر: ٤٢.

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِين ﴾[١] وما أشبه ذلك ، فمرّة يجعل الفعل لنفسه ، ومرّة لملك الموت ، ومرّة للملائكة .

ـ أجده يقول : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾[٢].

ويقول : ﴿وإنِّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾[٣] ، ففي الآية الأُولى انّ الأعمال الصالحة لا تُكفر .

وفي الثانية أنّ الإيمان والأعمال الصالحات لا تنفع إلّا بعد الإهتداء .

ـ وأجده يقول : ﴿ وَسْئَل مَنْ أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾[٤] كيف يسأل الحيّ من الأموات قبل البعث والنشور ؟

ـ أجده يقول : ﴿ إنّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلىٰ السّموات والأرضِ والجِبَالِ فأبَيْنَ أنْ يَحمِلْنَهَا وأشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنْسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[٥] فما هذه الأمانة ، ومن هذا الإنسان ، وليس من صفة العزيز العليم التلبيس على عباده ؟

ـ أجده قد شهر هفوات أنبيائه بقوله : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبّهُ فَغَوَىٰ ﴾[٦].

وبتكذيبه نوحاً لمّا قال: ﴿ إنّ ابنِي مِنْ أهْلِي ﴾[٧] بقوله: ﴿ انَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ ﴾[٨].

---

(١) النحل : ٣٢.
(٢) الأنبياء : ٩٤.
(٣) طه : ٨٢.
(٤) الزخرف : ٤٥.
(٥) الأحزاب : ٧٢.
(٦) طه : ١٢١ .
(٧) هود : ٤٥.
(٨) هود : ٤٦.

وبوصفه إبراهيم بأنّه عبد كوكباً مرّة ، ومرّة قمراً ، ومرّة شمساً .

وبقوله في يوسف : ﴿ **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَـانَ رَبِّهِ** ﴾[١] .

وبتهجينه موسى حيث قال : ﴿ **ربِّ أرِنِي أنْظُر إلَيْكَ قالَ لَنْ تَرَانِي** ﴾[٢] .

وببعثه جبرئيل وميكائيل على داوُد حيث تسوّرا المحراب ، وبحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغضباً ، وأظهر خطأ الأنبياء وزللهم ، ووارى اسم من اغتر وفتن خلقاً وضل وأضل ، وكنى عن أسمائهم في قوله : ﴿ **وَيَوْمَ يَعَـضُّ الظـالمُ عَـلىٰ يَدَيهِ يَقُولُ يَالَيتَني اتخَذْتُ مَعَ الرَسولِ سَبِيْـلاً ياوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أتخِذ فُـلاناً خَلِيلاً لَقَد أضلَّنِي عَنِ الذكْر بَعد إذْ جَـاءَنِي** ﴾[٣] فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ماذكر من أسماء الأنبياء ؟

ـ وأجده يقول : ﴿ **وجَاءَ ربُّـك والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً** ﴾[٤] .

و ﴿ **هَـلْ يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ تَـأْتِيَهُم الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ ربُّـكَ أَوْ يَـأْتِـي بَـعْضُ آيـاتِ رَبِّـكَ** ﴾[٥] .

و ﴿ **لَقَد جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ** ﴾[٦] فمرّة يجيئهم ومرّة يجيئونه .

ـ وأجده يقول : ﴿ **ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّـعِيمِ** ﴾[٧] فـما هـذا النـعيم الذي يُسأل العباد عنه ؟

---

(١) يوسف : ٢٤ .
(٢) الأعراف : ١٤٣ .
(٣) الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩ .
(٤) الفجر : ٢٢ .
(٥) الأنعام : ١٥٨ .
(٦) الأنعام : ٩٤ .
(٧) التكاثر : ٨ .

- وأجده يقول : ﴿ بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُم ﴾[(١)] ما هذه البقية ؟
- وأجده يقول : ﴿ يَاحَسْرَتىٰ عَلىٰ مافَرَّطْتُ فِي جَنْبِ الله ﴾[(٢)] .

و ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله ﴾[(٣)] .

﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾[(٤)] .

﴿ وأصْحَابُ اليَمِينِ مَاأَصْحَابُ اليَمِين ﴾[(٥)] .

﴿ وأصْحَابُ الشِمالِ مَاأَصْحَابُ الشمَالِ ﴾[(٦)] ، ما معنى الجنب والوجه واليمين والشمال فإن الأمر في ذلك ملتبس جداً ؟

- وأجده يقول : ﴿ الرَّحْمنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾[(٧)] .

ويقول : ﴿ ءَأَمِنتُم مَن فِي السَمَاءِ ﴾[(٨)] .

﴿ وَهُوَ الّذِي فِي السَمَاءِ إلٰهُ وَفِي الأرْضِ إلٰهُ ﴾[(٩)] .

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أيْنَمَا كُنْتُم ﴾[(١٠)] .

﴿ ونَحنُ أقْرَبُ إلَيهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ﴾[(١١)] .

---

(١) هود : ٨٦.
(٢) الزمر : ٥٦.
(٣) البقرة : ١١٥.
(٤) القصص : ٨٨.
(٥) الواقعة : ٢٧.
(٦) الواقعة : ٤١.
(٧) طه : ٥.
(٨) الملك : ١٦.
(٩) الزخرف : ٨٤.
(١٠) الحديد : ٤.
(١١) ق : ١٦.

﴿ مَايَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إلّا هُـوَ رَابِعُهُم ﴾[١].

ـ وأجده يقول : ﴿وإنْ خِفْتُم ألاّ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَىٰ فانْكِحُوا مَا طَـابَ لَكُـمْ مِـنَ النِّسَاءِ﴾[٢] وليس يشبه القسط في اليتامى من نكاح النساء ولاكل النساء أيتام فما معنى ذلك ؟

ـ وأجده يقول : ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِنْ كَانُوا أنْفُسَهُم يَظْلِمُونَ ﴾[٣] فكيف يـظلم الله ؟ ومن هؤلاء الظلمة ؟

ـ وأجده يقول : ﴿ قُلْ إنَّـمَـا أعِظُكُم بِواحِدَةٍ ﴾[٤] ما هذه الواحدة ؟

ـ أجده يقول : ﴿ وَمَاأرسَلْنَاكَ إلّا رَحْمَةً للعَـالَمِينَ ﴾[٥] وأرى مخالفي الإسلام ، معتكفين على باطلهم غير مقلعين عنه ، وأرى غيرهم من أهل الفساد مختلفين في مذاهبهم يلعن بعضهم بعضاً ، فأي موضع للرحمة العامة لهم المشتملة عليهم ؟

ـ أجده قد بيّن فضل نبيّه على سائر الأنبياء ، ثمّ خاطبه في أضعاف ما أثـنى عليه في الكتاب من الإزراء عليه ، وانتقاص محله ، وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب أحداً من الأنبياء ، مثل قوله :

﴿وَلَو شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُم عَلَىٰ الهُدَىٰ فَـلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾[٦].

وقوله : ﴿ وَلَوْلَا أنْ ثَبَّتْنَـاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ إلَيْهِم شَيْئَاً قَلِيْلاً ﴾[٧].

---

(١) المجادلة : ٧.

(٢) النساء : ٣.

(٣) الأعراف : ١٦٠.

(٤) سبأ : ٤٦.

(٥) الأنبياء : ١٠٧.

(٦) الأنعام : ٣٥.

(٧) الإسراء : ٧٤.

﴿إذَنْ لأذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيْرَاً﴾[(١)].

وقوله : ﴿ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مااللهُ مُبدِيهِ وَتَخْشَىٰ النّاسَ واللهُ أحقُّ أنْ تَخْشَاهُ﴾[(٢)].

وقوله : ﴿ وَمَا أدْرِي مايُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ ﴾[(٣)].

وقال : ﴿ مَافَرّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ ﴾[(٤)].

﴿ وَكُلَّ شَيءٍ أحصَينَاهُ فِي إمَامٍ مُبِيْنٍ ﴾[(٥)]، فإذا كانت الأشياء تحصى في الإمام وهو وصيّ النبيّ ، فالنبيّ أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها : ﴿ ومَاأدرِي مَايُفعَلُ بِي وَلَا بِكُم ﴾ وهذه كلّها صفات مختلفة ، وأحوال متناقضة ، وأُمور مشكلة ، فإن يكن الرسول والكتاب حقّاً فقد هلكت لشكّي في ذلك ، وإن كانا باطلين فما عليّ من بأس ؟

جواب الإمام :

وانبرى الإمام ﷺ إلى تفنيد هذه الشبه والأوهام ، قائلاً :

« **سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيْلِ مَا سَأَلْتَ** » ، وفيما يلي ذلك :

أمّا قوله تعالى : ﴿ اللهُ يَتوفَىٰ الأنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا﴾ .

وقوله : ﴿ قُلْ يَتوفّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ ﴾ .

﴿تَوفّتْهُ رُسُلُنا﴾ .

---

(١) الإسراء : ٧٥.

(٢) الأحزاب : ٣٧.

(٣) الأحقاف : ٩.

(٤) الأنعام : ٣٨.

(٥) يس : ١٢.

﴿الَّذِينَ تَتَوفَّاهُم المَلائِكةُ ظَالِمِي أنْفُسِهِم﴾ (١) فَهُوَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَتَولّىٰ ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَفَعَلَ رُسُلُهُ وَمَلائِكَتُهُ فِعْلَهُ لِأَنَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، فَاصْطَفىٰ جَلَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَسَفَرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (٢) فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ تَوَلّتْ قَبْضَ رُوْحِهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ تَوَلّتْ قَبْضَ رُوْحِهِ مَلائِكَةُ النِّقْمَةِ ، وَلِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوانٌ مِنْ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَالنِّقْمَةِ يَصْدُرُوْنَ عَنْ أَمْرِهِ ، وَفِعْلُهُمْ فِعْلُهُ ، وَكُلُّ مَا يَأْتُونَهُ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ ، وَإِذا كَانَ فِعْلُهُمْ فِعْلَ مَلَكِ الْمَوْتِ ، وَفِعْلُ مَلَكِ الْمَوْتِ فِعْلَ اللهِ لِأَنَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ عَلىٰ يَدِ مَنْ يَشاءُ ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ ، وَيُثِيبُ وَيُعاقِبُ عَلىٰ يَدِ مَنْ يَشاءُ ، وَإِنَّ فِعْلَ أُمَنائِهِ فِعْلُهُ كَمَا قَالَ : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللهُ ﴾ (٣) .

وَأَمّا قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وإِنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يُغْنِي إِلَّا مَعَ الاهْتِداءِ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمانِ كانَ حَقِيْقاً بِالنَّجاةِ مِمّا هَلَكَ بِهِ الْغُواةُ ، وَلَوْ كانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَنَجَتِ الْيَهُودُ مَعَ اعْتِرافِها بِالتَّوْحِيدِ ، وَإِقْرارِها بِاللهِ ، وَنَجا سائِر الْمُقِرِّينَ بِالْوَحْدانِيَّةِ ، مِنْ إِبْلِيْسَ فَمَنْ دُونَهُ بِالْكُفْرِ ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

---

(١) النحل : ٢٨ .

(٢) الحجّ : ٧٥ .

(٣) الإنسان : ٣٠.

﴿ الَّذِينَ ءامَنُوا وَلَم يَلْبِسُوا إيمانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾(١).

وَبِقَوْلِهِ : ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءامَنَّا بِأَفْوَاهِهِم وَلَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُم ﴾(٢)، وَلِلْإِيمانِ حالاتٌ وَمَنازِلُ يَطُولُ شَرْحُها. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْإِيمانَ قَدْ يَكُونُ عَلىٰ وَجْهَيْنِ :

إيمانٌ بِالْقَلْبِ وَإيمانٌ بِاللِّسانِ، كَما كانَ إيمانُ الْمُنَافِقِينَ عَلىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ لَمّا قَهَرَهُمْ بِالسَّيْفِ، وَشَمَلَهُمُ الْخَوْفُ فَإِنَّهُم آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُم، فَالْإِيمانُ بِالْقَلْبِ هُوَ التَّسْلِيمُ لِلْرَّبِّ، وَمَنْ سَلَّمَ الْأُمُورَ لِمالِكِها لَمْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ أَمْرِهِ، كَمَا اسْتَكْبَرَ إِبْلِيسُ عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ، وَاسْتَكْبَرَ أَكْثَرُ الْأُمَمِ عَنْ طاعَةِ أَنْبِيائِهِم، فَلَمْ يَنْفَعْهُمُ التَّوْحِيدُ، كَما لَمْ يَنْفَعْ إِبْلِيسَ ذَلِكَ السُّجودُ الطَّوِيلُ، فَإِنَّهُ سَجَدَ سَجْدَةً وَاحِدَةً أَرْبَعَةَ آلافِ عامٍ، وَلَمْ يُرِدْ بِها غَيْرَ زُخْرُفِ الدُّنْيا، وَالتَّمْكِينَ مِنَ النَّظِرَةِ، فَلِذَلِكَ لَا تَنْفَعُ الصَّلاةُ وَالصَّدَقَةُ إِلَّا مَعَ الاهْتِداءِ إِلىٰ سَبِيلِ النَّجاةِ، وَطُرُقِ الْحَقِّ، وَقَدْ قَطَعَ اللهُ عُذْرَ عِبادِهِ بِتَبْيِينِ آياتِهِ، وَإِرْسالِ رُسُلِهِ، لِئَلَا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَلَمْ يُخْلِ أَرْضَهُ مِنْ عالِمٍ بِما تَحْتاجُ إِلَيْهِ الْخَلِيْقَةُ، وَمُتَعَلِّمٍ عَلىٰ سَبِيلِ النَّجاةِ، أُوْلئِكَ هُمُ الْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ ذَلِكَ فِي أُمَمِ الْأَنْبِياءِ وَجَعَلَهُمْ مَثَلاً لِمَنْ تَأَخَّرَ، مِثْلُ قَوْلِهُ فِي قَوْمِ نُوحٍ: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلّا قَلِيل﴾(٣).

---

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) المائدة: ٤١.

(٣) هود: ٤٠.

وَقَوْلُهُ فِيمَن آمَنَ مِنْ أُمَّةِ مُوسىٰ: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(١).

وَقَوْلُهُ فِي حواري عِيسَى حَيْثُ قالَ لِسَائِرِ بَنِي إِسْرائِيلَ: ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلىٰ اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ءامَنَا بِاللهِ واشْهَد بأنّا مُسْلِمونَ ﴾(٢) يَعْنِي: بِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَما أَجابَهُ ـ أَي عِيسىٰ ـ مِنْهُمْ إِلَّا الْحَوارِيُّون.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِلْعِلْمِ أَهْلاً، وَفَرَضَ عَلَى الْعِبادِ طاعَتَهُم بِقَوْلِهِ: ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَسولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُم ﴾(٣).

وَبِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَو رَدُّوهُ إِلىٰ الرّسَولِ وإِلىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُم لَعَلِمَهُ الّذِيْنَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُم ﴾(٤).

وَبِقَوْلِهِ: ﴿ اتّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ ﴾(٥).

وَبِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلّا اللهُ والرّاسِخُونَ فِي العِلْمِ ﴾(٦) ﴿وَأْتُوا البُيوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾(٧)، وَالْبُيُوتُ هِيَ بُيُوتُ الْعِلْمِ الَّذِي اسْتَوْدَعَهُ الْأَنْبِياءُ، وَأَبْوابُها أَوْصِياؤُهُم، فَكُلُّ مَنْ عَمِلَ مِنْ أَعْمالِ الْخَيْرِ فَجَرىٰ عَلىٰ

---

(١) الأعراف: ١٥٩.
(٢) آل عمران: ٥٢.
(٣) النساء: ٥٩.
(٤) النساء: ٨٣.
(٥) التوبة: ١٠٩.
(٦) آل عمران: ٧.
(٧) البقرة: ١٨٩.

غَيْرِ أَيْدِي أَهْلِ الاصْطِفاءِ وَعُهُودِهِم وَشَرائِعِهِم وَسُنَنِهِم وَمَعالِمِ دِينِهِم مَرْدُودٌ وَغَيْرُ مَقْبُولٍ، وَأَهْلُهُ بِمَحَلِّ كُفْرٍ، وَإِنْ شَمِلَتْهُمْ صِفَةُ الْإِيمانِ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلىٰ قَوْلِهِ تَعالىٰ: ﴿ وَمَامَنَعَهُم أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُم نَفَقَاتُهُم إِلّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يأتُونَ الصَّلاةَ إِلّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[1]؟ فَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمانِ إِلىٰ سَبِيلِ النَّجاةِ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ إِيمانُهُ بِاللهِ مَعَ دَفْعِ حَقِّ أَوْلِيائِهِ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ، وَكَذٰلِكَ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُم إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأسَنَا﴾[2].

وَهٰذا كَثِيرٌ فِي كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْهِدايَةُ هِيَ: الْوَلَايَةُ كَما قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ يَتَولَّ اللهَ ورسولَهُ والذِيْنَ ءامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ ﴾[3] وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي هٰذَا الْمَوْضِعِ هُمُ الْمُؤْتَمَنُونَ عَلَى الْخَلَائِقِ مِنَ الْحُجَجِ وَالْأَوْصِياءِ فِي عَصْرٍ بَعْدَ عَصْرٍ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ أَقَرَّ أَيْضاً مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِالشَّهادَتَيْنِ كانَ مُؤْمِناً. إِنَّ الْمُنافِقِينَ كانُوا يَشْهَدُونَ: أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيَدْفَعُونَ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ بِمَا عَهِدَ بِهِ مِنْ دِيْنِ اللهِ وَعَزائِمِهِ وَبَراهِينِ نُبُوَّتِهِ إِلىٰ وَصِيِّهِ، وَيُضْمِرُونَ مِنَ الْكَراهَةِ لِذَلِكَ، وَالنَّقْضِ لِمَا أَبْرَمَهُ مِنْهُ عِنْدَ إِمْكانِ الْأَمْرِ لَهُمْ، فِيما قَدْ بَيَّنَهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِمُوا تَسْلِيماً ﴾[4].

---

(١) التوبة: ٥٤.

(٢) غافر: ٨٥.

(٣) المائدة: ٥٦.

(٤) النساء: ٦٥.

وَبِقَوْلِهِ: ﴿ وَمَـا مُحَمَّدٌ إلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل أفإِينْ مَاتَ أوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَى أعْقَـابِكُم ﴾[١].

وَمِثْل قَوْله: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق ﴾[٢]، أَي لَتَسْلُكُنَّ سَبِيلَ مَنْ كـانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي الْغَدْرِ بِالْأَوْصِياءِ بَعْدَ الْأَنْبِياءِ.

وَهٰذا كَثِيرٌ فِي كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ شَقَّ عَلَى النَّـبِيِّ مـا يَـؤُولُ إِلَيْهِ عاقِبَةُ أَمْرِهِمْ، وَإِطْلَاعِ اللهِ إِيّاهُ عَلىٰ بَوارِهِمْ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَـلَّ إِلَـيْهِ: ﴿ فَـلَا تَـذْهَبْ نَـفْسُكَ عَـلَيْهِم حَسَـرَاتٍ ﴾[٣]، ﴿فَـلاَ تَأْسَ عَـلَىٰ القَـوْمِ الكَافِرِينَ﴾[٤].

أَمّا قَوْلُهُ: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ فَهٰذا مِـنْ بَـراهِـينِ نَبِيِّـنا الَّتِي آتاهُ اللهُ إِيّاها، وَأَوْجَبَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلىٰ سائِرِ خَلْقِهِ، لِأَنَّهُ لَمّا خَتَمَ بِهِ الْأَنْبِياءَ، وَجَعَلَهُ اللهُ رَسُـولاً إِلىٰ جَـمِيعِ الْأُمَـمِ، وَسـائِرِ الْـمِلَلِ، خَصَّهُ اللهُ بِالارْتِقاءِ إِلَى السَّماءِ عِنْدَ الْمِعْراجِ، وَجَمَعَ لَهُ يَـوْمَئِذٍ الْأَنْـبِياءَ، فَعَلِمَ مِنْهُمْ ما أُرْسِلُوا بِهِ، وَحَـمَلُوهُ مِـنْ عَـزائِـمِ اللهِ وَآيـاتِهِ وَبَـراهِـينِهِ، وَأَقَرُّوا جَمِيعاً بِفَضْلِهِ وَفَضْلِ الْأَوْصِياءِ وَالْحُجَجِ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِ وَفَضْلِ شِيعَةِ وَصِيِّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ الَّذِينَ سَلَّمُوا لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلَهُم، وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْ أَمْرِهِم، وَعَـرَفَ مَـنْ أَطـاعَهُمْ وَعَـصاهُمْ مِـنْ أُمَـمِهِمْ، وَسائِرِ مَنْ مَضىٰ وَمَنْ غَبَرَ، أَوْ مَنْ تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ.

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الإنشقاق: ١٩.

(٣) فاطر: ٨.

(٤) المائدة: ٦٨.

وَأَمّا هَفَواتُ الْأَنْبِياءِ وَما بَيَّنَهُ اللهُ فِي كِتابِهِ، وَوُقُوعُ الْكِنايَةِ... مِمَّنْ شَهِدَ الْكِتابُ بِظُلْمِهِمْ فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ أَدَلِّ الدَّلائِلِ عَلىٰ حِكْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْباهِرَةِ، وَقُدْرَتِهِ الْقاهِرَةِ، وَعِزَّتِهِ الظّاهِرَةِ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ بَراهِينَ الْأَنْبِياءِ تَكْبُرُ فِي صُدُورِ أُمَمِهِمْ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ بَعْضَهُمْ إِلٰهاً، كَالَّذِي كانَ مِن النَّصارىٰ فِي ابْنِ مَرْيَمَ، فَذَكَرَها دَلالَةً عَلىٰ تَخَلُّفِهِم عَنِ الْكَمالِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَلَمْ تَسْمَعْ إِلىٰ قَوْلِهِ فِي صِفَةِ عِيسىٰ حَيْثُ قالَ ـ فِيهِ وَفِي أُمِّهِ ـ: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[1]؟ يَعْنِي أَنَّ مَنْ أَكَلَ الطَّعامَ كانَ لَهُ ثِقْلٌ، وَمَنْ كانَ لَهُ ثِقْلٌ فَهُوَ بَعِيدٌ مِمّا ادَّعَتْهُ النَّصارىٰ لابْنِ مَرْيَمَ، وَلَمْ يُكَنِّ عَنْ أَسْماءِ الْأَنْبِياءِ تَبَجُّراً[2] أَوْ تَعَزُّراً[3]...

إلى آخر ما أفاده الإمام في هذا الموضوع.

وَأَمّا قَوْلُهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ فَذلِكَ كُلُّهُ حَقٌّ، وَلَيْسَتْ جِيئَتُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ كَجِيئَةِ خَلْقِهِ فَإِنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ.

وَمِنْ كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ تَأْوِيلُهُ عَلىٰ غَيْرِ تَنْزِيلِهِ، وَلَا يُشَبَّهُ تَأْوِيلُهُ بِكَلَامِ الْبَشَرِ، وَلَا فِعْلِ الْبَشَرِ، وَسَأُنَبِّئُكَ بِمِثالٍ لِذَلِكَ تَكْتَفِي بِهِ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالىٰ وَهُوَ حِكايَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إِبْراهِيمَ عليه السلام حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنِّي

---

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) البجر: العيب.

(٣) التعزير: اللوم والتأديب.

ذَاهِبٌ إِلىٰ رَبّي ﴾[١]، فَذَهابُهُ إِلىٰ رَبِّهِ تَوَجُّهُهُ إِلَيْهِ فِي عِبادَتِهِ وَاجْتِهادُهُ، أَلَا تَرىٰ أَنَّ تَأْوِيلَهُ غَيْرُ تَنْزِيلِهِ ـ أَي غَيْرُ ظاهِرِهِ ـ؟ وَقَالَ: ﴿ وأنْزَلَ لَكُم مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾[٢]، وَقَالَ: ﴿ وأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾[٣] فَإِنْزالُهُ ذَلِكَ خَلْقُهُ إِيّاهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ ﴾[٤] أَي الْجاحِدِينَ، وَالتَّأْوِيْلُ فِي هٰذَا الْقَوْلِ باطِنُهُ مُضادٌّ لِظَاهِرِهِ.

وَمَعْنىٰ قَوْلِهِ: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُم المَلائِكَة أَوْ يَأْتِي رَبُّك ﴾ فَإِنَّمَا خاطَبَ نَبِيَّنا مُحَمَّداً ﷺ هَلْ يَنْتَظِرُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلَائِكَةُ فَيُعايِنُوهُمْ؟

﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾، يَعْنِي بِذَلِكَ أَمْرَ رَبِّكَ، وَالْآياتُ هِيَ الْعَذابُ فِي دارِ الدُّنْيا، كَما عَذَّبَ الْأُمَمَ السَّالِفَةَ، وَالْقُرُوْنَ الْخَالِيَةَ.

وَقالَ: ﴿ أَوَلَم يَرَوا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[٥]، يَعْنِي بِذَلِكَ ما يَهْلِكُ مِنَ الْقُرُونِ فَسَمّاهُ إِتْياناً.

وَقالَ: ﴿ قَاتَلَهُم اللهُ أَنّىٰ يُؤفَكُونَ ﴾[٦]، أَيْ لَعَنَهُمُ اللهُ أَنّىٰ يُؤْفَكُونَ، فَسَمَّى اللَّعْنَةَ قِتالاً.

---

(١) الصافّات: ٩٩.

(٢) الزمر: ٦.

(٣) الحديد: ٢٥.

(٤) الزخرف: ٨١.

(٥) الرعد: ٤١.

(٦) المنافقون: ٤.

وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿ قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَه ﴾[١]، أَيْ لُعِنَ الإِنسانُ.

وَقَالَ: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُم وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُم ومَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيتَ وَلكنَّ اللهَ رَمىٰ ﴾[٢]، فَسَمّىٰ فِعْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِعْلاً لَهُ، أَلَا تَرىٰ تَأْوِيلَهُ عَلىٰ غَيْرِ تَنْزِيلِهِ؟

وَمِثْل قَوْلِهِ: ﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِهم كَافِرُونَ ﴾[٣] فَسَمَّى الْبَعْثَ لِقاءً.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾[٤]، أَيْ يُوْقِنُونَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، وَاللِّقاءُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الْبَعْثُ وَعِنْدَ الْكَافِرِ الْمُعايَنَةُ وَالنَّظَرُ.

ويأخذ في إيضاح هذه الجهة أنّ المراد غير التنزيل.

وَأَمّا مَعْنىٰ قَوْلِهِ: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدُ مِنهُ ﴾[٥] فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ أَقَامَها عَلىٰ خَلْقِهِ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ مَجْلِسَ النَّبِيِّ إِلَّا مَنْ يَقُوْمُ مَقَامَهُ، وَلَا يَتْلُوهُ إِلَّا مَنْ يَكُونُ فِي الطَّهارَةِ مِثْلَهُ، لِئَلّا يَتَّسِعَ لِمَنْ ماسَّهُ حِسُّ الْكُفْرِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقاتِ انْتِحالَ الاسْتِحْقاقِ بِمَقامِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ...

وعرض الإمام عليه السلام بعض الأمور التي ترتبط بذلك.

وَأَمّا الْأَمانَةُ الَّتِي ذَكَرْتَها فَهِيَ الْأَمانَةُ الَّتِي لا تَجِبُ وَلَا تَجُوزُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا فِي الْأَنْبِياءِ وَأَوْصِيائِهِمْ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ ائْتَمَنَهُمْ عَلىٰ خَلْقِهِ،

---

(١) عبس: ١٧.

(٢) الأنفال: ١٧.

(٣) السجدة: ١٠.

(٤) البقرة: ٤٦.

(٥) هود: ١٧.

وَجَعَلَهُمْ حُجَجاً فِي أَرْضِهِ ... إلى آخر ماذكره.

وَأَمّا ما كَانَ مِنَ الْخِطابِ بِالانْفِرادِ مَرَّةً وَبِالْجَمْعِ مَرَّةً، مِنْ صِفاتِ الْبارِي جَلَّ ذِكْرُهُ، فَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى اسْمُهُ عَلىٰ ما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِالانْفِرادِ وَالْوَحْدانِيَّةِ، هُوَ النُّورُ الْأَزَلِيُّ الْقَدِيمُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا يَتَغَيَّرُ وَيَحْكُمُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رادَّ لِقَضائِهِ، وَلَا ما خَلَقَ زادَ فِي مُلْكِهِ وَعِزِّهِ، وَلَا نَقَصَ مِنْهُ مَا لَمْ يَخْلُقْهُ، فَخَلَقَ ما شاءَ كَمَا شاءَ، وَأَجْرَىٰ فِعْلَ بَعْضِ الْأَشْياءِ عَلىٰ أَيْدِي مَنِ اصْطَفىٰ مِنْ أُمَنائِهِ، وَكانَ فِعْلُهُمْ فِعْلَهُ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرَهُ، كَمَا قالَ: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ ﴾ [1] وَجَعَلَ السَّماءَ وَالْأَرْضَ وِعاءً لِمَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ لِيَمِيزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ، مَعَ سابِقِ عِلْمِهِ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنْ أَهْلِها ...

وتحدّث الإمام بصورة مستوعبة عن الإمامة وضرورتها وما يرتبط بالموضوع.

وَأَمّا قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجْهَهُ ﴾ [2] فَالْمُرادُ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا دِينَهُ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُحالِ أَنْ يَهْلِكَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَبْقَى الْوَجْهُ، هُوَ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنْ ذلِكَ، إِنَّما يَهْلِكُ مَنْ لَيْسَ مِنْهُ. أَلَا تَرىٰ أَنَّهُ قالَ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [3]؟

وحوت المناظرة التالية على بعض البحوث التي لا يقرها العلم، وقد أعرضنا عن ذكرها لاعتقادنا أنّها من الموضوعات، ونكتفي بهذا المقدار منها [4].

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) ومن أراد الوقوف عليها فإنها في الاحتجاج للطبرسي ١: ٣٥٨ ـ ٣٨٤.

مع ابن الكوّاء

أمّا ابن الكوّاء ، فهو خبيث دنس قد اترعت نفسه بالزندقة والمروق من الدين ، وكان من سعة حلم الإمام عليه السلام وعظيم أخلاقه أن فسح المجال لهذا الوضر الخبيث بالتطاول عليه ، ولم يتّخذ معه الإجراءات الصارمة فيعتقله أو ينفيه ، وقد آل أمر هذا الخبيث أن صار من عيون الخوارج ، فكان يجابه الإمام بالكلمات القاسية فيقول له :

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1].

فيجيبه الإمام الممتحن بقوله تعالى :

﴿ فاصْبِر إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِيْنَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[2].

وعلى أي حال فقد جرت بين الإمام وابن الكوّاء عدّة مناظرات لم يكن غرض ابن الكوّاء الوقوف على الواقع والتعرّف على الحقّ ، وإنّما غرضه امتحان الإمام وازعاجه ، ومن بين تلك المناظرات ما يلي :

ابن الكوّاء : أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنهار ؟

وعن أعمى بالليل وأعمى بالنهار.

وعن أعمى بالليل بصير بالنهار.

---

(١) الزمر : ٦٥.

(٢) الروم : ٦٠.

وعن أعمى بالنهار بصير بالليل ؟

الإمــام :

« سَلْ عَمّا يَعْنِيكَ وَلَا تَسأَلْ عَمّا لَا يَعْنِيْكَ . وَيْلَكَ !

أَمّا بَصِيْرٌ بِاللَّيْلِ وَبَصِيْرٌ بِالنَّهارِ : فَهُوَ رَجلٌ آمَنَ بِالرُّسُلِ وَالْأَوْصِياءِ الَّذِينَ مَضَوْا وَبِالْكُتُبِ وَالنَّبِيّينَ وَآمَنَ بِاللهِ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَقَرَّ لِي بِالْولَايَةِ ، فَأَبْصَرَ فِي لَيْلِهِ وَنَهارِهِ .

وَأَمّا بَصِيْرٌ بِاللَّيْلِ أَعْمَى بِالنَّهارِ : فَرَجُلٌ آمَنَ بِالْأَنْبِياءِ وَالْكُتُبِ ، وَجَحَدَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنْكَرَ حَقّاً فَأَبْصَرَ بِاللَّيْلِ وَعَمِيَ بِالنَّهارِ .

وَأَمّا أَعْمَىٰ بِاللَّيْلِ أَعْمىٰ بِالنَّهارِ : فَرَجُلٌ جَحَدَ الْأَنْبِياءَ وَالْأَوْصِياءَ وَالْكُتُبَ الَّتِي مَضَتْ ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ ، وَلَمْ يُقِرَّ بِوَلَايَتِي ، فَجَحَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَنَبِيَّهُ فَعَمِيَ بِاللَّيْلِ وَعَمِيَ بِالنَّهارِ .

وَأَمّا أَعْمىٰ بِاللَّيْلِ وَبَصِيْرٌ بِالنَّهارِ ، فَرَجُلٌ جَحَدَ الْأَنْبِياءَ الَّذِينَ مَضَوا وَالْأَوْصِياءَ وَالْكُتُبَ ، وَأَدْرَكَ مُحَمَّداً ﷺ فَآمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَآمَنَ بِإِمامَتِي ، وَقَبِلَ وِلَايَتِي ، فَعَمِيَ بِاللَّيْلِ وَأَبْصَرَ بِالنَّهارِ .

وَيْلَكَ يابْنَ الْكَوّاءِ ! نَحْنُ بَنُو أَبِي طَالِبٍ ، بِنا فَتَحَ اللهُ الْإِسلَامَ ، وَبِنا يَخْتِمُهُ »[١] .

ولم يكن يبغي ابن الكوّاء في هذه المناظرة الوقوف على الواقع والانتهال من نمير علوم الإمام ، وإنّما كان يبغي التبكيت بالإمام وامتحانه .

❋ ❋ ❋

---

(١) الاحتجاج ١ : ٣٢٩.

كان إمام المتّقين على المنبر يخطب الناس ويوعظهم ، ويرشدهم إلى طريق الحقّ ، فانبرى إليه ابن الكوّاء فقال له :

أخبرني عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً ؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كانا أم مِنْ فضّة ؟

فأجابه الإمـام :

« لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً وَلَا مَلَكاً ، وَلَمْ يَكُنْ قَرْناهُ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، وَلٰكِنَّهُ كانَ عَبْداً أَحَبَّ اللهَ فَأَحَبَّهُ اللهُ ، وَنَصَحَ لِلهِ فَنَصَحَ اللهُ لَهُ ، وَإِنَّما سُمِّي « ذَا الْقَرْنَيْنِ » لِأَنَّهُ دَعا قَوْمَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَضَرَبُوهُ عَلىٰ قَرْنِهِ فَغابَ عَنْهُم حِيناً ثُمَّ عادَ إِلَيْهِمْ ، فَضُرِبَ عَلىٰ قَرْنِهِ الْآخَرِ ، وَفِيكُمْ مِثْلُهُ »[١].

يعني نفسه الشريفة ، فقد ضربه عمرو بن عبد ودٍّ على قرنه الأوّل ، وضربه الزنيم الفاجر ابن ملجم ضربة أُخرى على هامته ففلقها ، وكانت بها شهادته .

❁ ❁ ❁

روى الأصبغ بن نباتة قال : كنت جالساً عند الإمام عليه السلام فجاء ابن الكوّاء ، فقال للإمام : مَنِ البيوت في قول الله عزّ وجلّ : **﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِها ﴾**[٢] ؟

فقـال الإمـام عليه السلام :

« نَحْنُ الْبُيوتُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِها أَنْ تُؤْتىٰ مِنْ أَبْوابِها ، نَحْنُ بابُ اللهِ وَبُيُوتُهُ الَّتِي يُؤْتىٰ مِنْها ، فَمَنْ تابَعَنا وَأَقَرَّ بِوَلَايَتِنا فَقَدْ أَتَى الْبُيوتَ مِنْ أَبْوابِها ،

---

(١) المصدر السابق ١ : ٣٤١.

(٢) البقرة : ١٨٩.

وَمَنْ خالَفَنا وَفَضَّلَ عَلَيْنا غَيْرَنا فَقَدْ أَتَى الْبُيوتَ مِنْ ظُهُورِها».

فقال ابن الكوّاء: **﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾**(١) ؟

فأجابه الإمــام:

«نَحْنُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ نَعْرِفُ أَنصارَنا بِسِيمَاهُمْ، وَنَحْنُ الْأَعْرافُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَنا وَعَرَفْناهُ، وَلَا يَدْخُلُ النّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَنا وَأَنْكَرْناهُ، وَذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ شاءَ عَرَّفَ لِلنّاسِ نَفْسَهُ حَتّىٰ يَعْرِفُوهُ وَحْدَهُ، وَيَأْتُوهُ مِنْ بابِهِ، وَلٰكِنَّهُ جَعَلَنا أَبْوابَهُ وَصِراطَهُ وَبابَهُ الَّذِي يُؤْتىٰ مِنْهُ، فَقالَ ـ فِيمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِنا وَفَضَّلَ عَلَيْنا غَيْرَنا فَإِنَّهُمْ ﴿عَنِ الصِّراطِ لَنَاكِبُونَ﴾(٢) »(٣).

❊ ❊ ❊

كان الإمام عليه السلام على المنبر يخطب الناس، فانبرى إليه ابن الكوّاء فقال له: يا أمير المؤمنين، ما الذاريات ذرواً ؟

«الرِّياحُ».

ما الحاملات وقراً ؟

«السَّحابُ».

ما الجاريات يُسراً ؟

«السُّفُنُ».

ما المقسّمات أمراً ؟

---

(١) الأعراف: ٤٦.

(٢) المؤمنون: ٧٤.

(٣) الاحتجاج ١: ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

« الْمَلَائِكَةُ ».

وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً.

« ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَابْنَ الْكَوّاءِ! كِتابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَلَا يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضاً سَلْ عَمّا بَدا لَكَ ».

سمعته يقول: ﴿ **بِرَبِّ الْمَشَارِقِ والْمَغَارِبِ** ﴾(١).

ويقول: ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ** ﴾(٢).

وقال في آية أخرى: ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** ﴾(٣).

« يابْنَ الْكَوّاءِ! هٰذَا الْمَشْرِقُ وَهٰذَا الْمَغْرِبُ ».

وأومأ إلى جهة المشرق والمغرب.

« وَأَمّا قَوْلُهُ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ فَإِنَّ مَشْرِقَ الشِّتاءِ عَلىٰ حِدَة وَمَشْرِقَ الصَّيْفِ عَلىٰ حِدَةٍ، أَمَا تَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ قُرْبِ الشَّمْسِ وَبُعْدِها؟

وَأَمّا قَوْلُهُ: ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ والْمَغَارِبِ ﴾، فَإِنَّ لَها - أي الشمس - **ثَلَثَمائَةٍ وَسِتِّينَ بُرْجاً، تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بُرْجٍ وَتَغِيبُ فِي آخَرَ، فَلَا تَعُودُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ قابِلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ »**.

كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟

« ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَابْنَ الْكَوّاءِ! سَلْ مُتَعَلِّماً وَلَا تَسْأَلْ مُتَعَنِّتاً، مِنْ مَوْضِعِ

---

(١) المعارج: ٤٠.

(٢) الرحمن: ١٧.

(٣) المزمل: ٩.

قَدَمِي إِلىٰ عَرْشِ رَبِّي أَنْ يَقُولَ قائِلُ ـ مُخْلِصاً ـ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ».

ما ثواب من قال: لا إله إلّا الله ؟

« مَن قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصاً طُمِسَتْ ذُنُوبُهُ كَما يُطْمَسُ الْحَرْفُ الْأَسْوَدُ مِنَ الرَّقِّ الْأَبْيَضِ، فَإِنْ قالَ ثانِيَةً: لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ مُـخْلِصاً خَـرَقَتْ أَبْـوابَ السَّمٰواتِ وَصُفُوفَ الْمَلَائِكَةِ حَتّىٰ تَقُولَ الْمَلَائِكَةُ اخْشَـعُوا لِـعَظَمَةِ اللهِ، فَـإِذا قـالَ ثـالِثَةً: لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ ـ مُـخْلِصاً ـ تَـنْتَهِي دُونَ الْـعَرْشِ، فَـيَقُولُ الْجَلِيلُ: لَأَغْفِرَنَّ لِقَائِلِكَ بِما كانَ فِيهِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعالىٰ: ﴿ إِلَـيْهِ يَـصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[1] ارْتَفَعَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ ».

أخبرني عن قوس قزح ؟

« لَا تَقُلْ: قَوْسُ قَزَحٍ، فَإِنَّ قَزَحاً اسْمُ شَيْطانٍ، وَلٰكِنْ قُلْ: قَوْسُ اللهِ إِذا بَدَا يَبْدُو الْخِصْبُ وَالرِّيْفُ ».

أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ ؟

« عَنْ أَيِّ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ تَسْأَلُنِي ؟ ».

قال: أخبرني عن أبي ذرّ الغفاري ؟

« سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا أَظَلَّتِ الْخَضْراءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْـغَبْراءُ، ذا لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ ».

أخبرني عن سلمان الفارسي ؟

« بَخٍ بَخٍ سَلْمانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَمَنْ لَكُم بِمِثْلِ لُقْمانَ الْحَكِيمِ ؟ عَلِمَ عِلْمَ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ».

---

(١) فاطر: ١٠.

أخبرني عن حذيفة بن اليماني ؟

«ذَاكَ أُمْرُؤٌ عَلِم أَسْماءَ الْمُنافِقِينَ ، إِنْ تَسْأَلُوهُ عَنْ حُدُودِ اللهِ تَجِدُوهُ بِها عالِماً» .

أخبرني عن عمّار بن ياسر ؟

«ذَاكَ أُمْرُؤٌ حَرَّمَ اللهُ لَحْمَه وَدَمَهُ عَلَى النّارِ أَنْ تَمَسَّ شَيْئاً مِنها» .

اخبرني عن نفسك ؟

«كُنْتُ إِذا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ ، وَإِذا سَكَتُّ ابْتُدِئْتُ» .

أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : **﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأَخْسَرِينَ أعْمَالاً ﴾**[1] ؟

«كَفَرَةُ أَهْلِ الْكِتابِ : الْيَهُودَ وَالنَّصارىٰ ، وَقَدْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ فابْتَدَعُوا فِي أَدْيانِهِمْ ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» .

ثمّ نزل الإمام عن المنبر ، وضرب بيده على منكب ابن الكوّاء ، وقال له :

«يَابْنَ الْكَوّاءِ ! ما أَهْلُ النَّهْرَوانِ مِنْكَ بِبَعِيدٍ !» .

فقال ابن الكوّاء : ما أُريد غيرك ، ولا أسأل سواك .

ولم تمض الأيام حتّى كان ابن الكوّاء في مقدّمة المحاربين للإمام يوم النهروان ، فقيل له : بالأمس تسأل أمير المؤمنين وأنت اليوم تقاتله ؟

وانبرى إليه رجل فطعنه برمحه فهلك عدوّ الله[2] .

* * *

---

(١) الكهف : ١٠٣ .

(٢) الاحتجاج ١ : ٣٨٦ ـ ٣٨٨ .

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه :

« سَلُوْنِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، سَلُونِي عَنْ كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَوَاللهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللهِ فِي لَيْلٍ وَنَهارٍ إِلَّا وَقَدْ أَقْرأَنِيها رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَها » .

فقام إليه ابن الكوّاء فقال له : فما كان ينزل عليه وأنت غائب ؟

قال عليه السلام :

«كانَ رَسُولُ اللهِ ماكَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَأَنا غَائِبٌ عَنْهُ حَتّىٰ أَقْدِمَ عَلَيْهِ ، فَإِذا قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَيَقْرَأُنِيهِ ، وَيَقُولُ لِي : يا عَلِيُّ ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ بَعْدَكَ كَذا وَكَذا ، وَتَأْوِيلُهُ كَذا وَكَذا ، فَيُعَلِّمُنِي تَنْزِيلَهُ وَتَأْوِيلَهُ »(١) .

---

(١) الاحتجاج ١ : ٣٨٦ ـ ٣٨٨.

مع رجل

ارتقى الإمام عليه السلام المنبر في الكوفة ، وقال :

« **سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَأَنا لَا أُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ دُونَ الْعَرْشِ إِلَّا أَجَبْتُ عَنْهُ ، لَا يَقُولُها بَعْدِي إِلَّا مُدَّعٍ أَوْ كَذّابٌ مُفْتَرٍ** » .

فقام إليه رجل ، وفي عنقه كتاب كالمصحف وكان رجلاً آدمَ طوالاً ، جعد الشعر كأنّه من يهود العرب ، فرفع صوته قائلاً :

أيُّها المدَّعي لما لا يعلم . . . أنا سائلك فأجب ، فوثب إليه جماعة من شيعة الإمام لمعاقبته ، فنهرهم الإمام ، وقال لهم :

« **دَعُوْهُ وَلَا تُعَجِّلُوهُ فَإِنَّ الْعَجَلَ وَالطَّيْشَ لَا يَقُومُ بِهِ حُجَجُ اللهِ ، وَلَا بِإِعْجالِ السَّائِلِ تَظْهَرُ بَراهِينُ اللهِ تَعَالىٰ** » .

ثمّ التفت إلى السائل ، فقال له :

« **سَلْ بِكُلِّ لِسَانِكَ وَمَبْلَغِ عِلْمِكَ ، أُجِبْكَ إِن شاءَ اللهُ تَعالىٰ بِعِلْمٍ لَا تَخْتَلِجُ فِيهِ الشُّكُوكُ ، وَلَا تُهَيِّجُهُ دَنَسُ رَيْبِ الزَّيْغِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ** » .

وانبرى الرجل سائلاً :

كم بين المشرق والمغرب ؟

« مَسَافَةُ الْهَواءِ » .

ما مسافة الهواء ؟

« دَوَرانُ الْفَلَكِ » .

ما دوران الفلك ؟

« مَسِيْرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ » .

صدقت .

متى القيامة ؟

« عِنْدَ حُضُورِ الْمَنِيَّةِ وَبُلُوغِ الأَجَلِ » .

صدقت .

أين بكَّة من مكَّة ؟

« مَكَّةُ أَكْنافُ الحَرَمِ ، وَبَكَّةُ مَوْضِعُ الْبَيْتِ » .

لِمَ سمّيت مكّة ؟

« **لِأَنَّ اللهَ تَعَالىٰ مَكَّ الأَرْضَ** ـ أي مدّ الأرض ـ **مِنْ تَحْتِها** » .

لِمَ سمّيت بكّة ؟

« لِأَنَّها بَكَّتْ رِقَابَ الْجَبّارِينَ ، وَأَعْناقَ الْمُذْنِبِينَ » .

صدقت .

أين كان الله قبل أن يخلق عرشه ؟

« سُبْحَانَ مَنْ لَا تُدْرِكُ كُنْهَ صِفَتِهِ حَمَلَةُ عَرْشِهِ عَلىٰ قُرْبِ رَبَواتِهِم مِنْ كُرْسِيِّ كَرَامَتِهِ ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مِنْ أَنْوارِ سُبُحاتِ جَلَالِهِ .

وَيْحَكَ ! لَا يُقالُ : اللهُ أَيْنَ ؟ وَلَا فِيْمَ ؟ وَلَا أَيّ ، وَلَا كَيْف » .

صدقت .

كم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ؟

« أَتُحْسِنُ أَنْ تَحْسِبَ ؟ » .

نعم .

« لَعَلَّكَ لا تُحْسِنُ أَنْ تَحْسِبَ » .

بلى ، إني أحسن أن أحسب .

« أَرَأَيْتَ إِنْ صُبَّ خَرْدَلٌ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ يَسُدَّ الْهَواءَ ، وَمَا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّماءِ ، ثُمَّ أُذِنَ لَكَ عَلىٰ ضَعْفِكَ أَنْ تَنْقُلَهُ حَبَّةً حَبَّةً مِنْ مِقْدارِ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَمُدَّ فِي عُمُرِكَ ، وَأُعْطِيتَ الْقُوَّةَ عَلىٰ ذٰلِكَ ، حَتّىٰ نَقَلْتَهُ وَأَحْصَيْتَهُ لَكَانَ ذٰلِكَ أَيْسَرَ مِنْ إِحْصاءِ عَدَدِ أَعْوامِ مَا لَبِثَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ الْأَرْضَ وَالسَّماءَ ، وَإِنَّما وَصَفْتُ لَكَ عُشْرَ عُشْرِ الْعَشِيرِ مِنْ جُزْءٍ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنَ التَّقْلِيلِ وَالتَّحْدِيدِ » .

فبهر الرجل وراح يقول :

فَأَنْتَ أَصْلُ الْعِلْمِ هادِي الْهُدى ... تَجْلُو مِنَ الشَّكِّ الْغَياهِيبا

حُزْتَ أَقاصِي كُلِّ عِلْمٍ فَمَا ... تُبْصَرُ إِنْ غُولِبْتَ مَغْلُوبا

لَا تَنْثَنِي عَنْ كُلِّ أُشْكُولَةٍ ... تُبْدِي إِذا حُلَّتْ أَعاجِيبا

لِلّهِ دَرُّ الْعِلْمِ مِنْ صاحِبٍ ... يُطْلَبُ إِنْساناً وَمَطْلُوباً [1]

---

(١) بحار الأنوار ١٠ : ١٢٦ ـ ١٢٨ .

مع ذعلب

كان إمام المتقين عليه السلام على المنبر، وهو يدعو الناس إلى سؤاله قائلاً:

«سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرأَ النَّسَمَةَ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ فِي لَيْلٍ أُنْزِلَتْ أَوْ فِي نَهارٍ، مَكِّيِّها وَمَدَنِيِّها، سَفَرِيِّها وَحَضَرِيِّها، نـاسِخِها وَمَـنْسُوخِها، وَمُـحْكَمِها وَمُـتَشابِهِها، وَتـأْوِيلِها وَتَـنْزِيلِها لَأَخْبَرْتُكُمْ...».

فانبرى إليه ذعلب، وكان ذرب اللسان بليغاً، شجاعاً فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبةً لأُخجِّلنَّه اليوم لكم في مسألتي، فرفع عقيرته قائلاً:

يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك؟

فصاح به الإمام:

«وَيْلَكَ يا ذِعْلِبُ لَمْ أَكُنْ بِالَّذِي أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ».

كيف رأيته؟ صفه لنا؟

وأخذ الإمام في وصفه لله تعالى قائلاً:

«وَيْلَكَ، لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشاهَدَةِ الْأَبْصارِ، وَلـكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِـحقائِقِ الْإِيمانِ.

وَيْلَكَ يا ذِعْلِبُ، إِنَّ رَبِّي لَا يُوصَفُ بِالْبُعْدِ، وَلَا بِالْحَرَكَةِ، وَلَا بِالسُّكُونِ،

وَلَا بِـقِيامٍ ، قِـيامِ انـتِصابٍ ، وَلَا بِـجَيْئَةٍ ، وَلَا بِـذَهابٍ ، لَـطِيفُ اللَّـطافَةِ لَا يُوصَفُ بِاللُّطفِ ، عَـظِيمُ الْـعَظَمَةِ لَا يُـوصَفُ بِـالْعِظَمِ ، كَـبِيرُ الْكِـبْرِياءِ لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ ...»[1].

إلى آخر ما تفضل به في صفة المبدع العظيم ، الذي لا يخضع لأوصاف الممكنات التي يطرق عليها العدم ، ويؤول أمرها إلى التراب .

لقد كان وصيّ رسول الله ﷺ ، وباب مدينة علمه ، متصدّياً لكلّ ما يرد على الإسلام من أوهام فيكشفها ببالغ حججه ، وعظيم برهانه .

(١) بحار الأنوار ١٠ : ١١٨.

مُناظَرة مَعَ المُنَجِّمين

أمّا علم النجوم فإنّه من العلوم القديمة ، وقد ذهب فريق من علماء هذا الفنّ القدامى إلى أنّ الكواكب حيّة مريدة مختارة ، وانّ لها الاستقلال التامّ في جميع مجريات الأحداث ، بمعنى أنّها العلّة التامّة المؤثّرة ، أو أنّها شريكة في التأثير ، وهذا المعنى قد حرّمه الإسلام ولم يجزه ؛ لأنّه صريح وواضح في إنكار الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ، وانّ جميع ما يجري في الكون من أحداث يستند إليه ، فالاعتقاد بأنّ المؤثر هي الكواكب مروق من الدين ، قد أفتى فقهاء الإمامية بكفر من يذهب إلى ذلك[1].

فقد ورد في بعض الأخبار أنّ المنجّم بمنزلة الكاهن وهو بمنزلة الساحر الذي هو بمنزلة الكافر[2].

وعلى أي حال ، فإنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أنكر هذا العلم بالمعنى الذي ذكرناه ، وشجب الآثار التي ذكروها له ، وكان من بين ما أُثر عنه في ذلك ما يلي :

---

(١) القواعد للشهيد . جامع المقاصد . بحار الأنوار وغيرها .

(٢) المكاسب وغيرها .

مع منجّم في بعض أسفاره

لمّا عزم الإمام عليه السلام على سفرٍ له بادر إليه منجم ، فقال له : إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم . . .

فأنكر عليه الإمام ذلك وقال له :

« أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سارَ فِيها صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سارَ فِيها حاقَ بِهِ الضُّرُّ ، فَمَنْ صَدَّقَ بِهٰذا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ ، وَاسْتَغْنىٰ عَنِ الْإِعانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ ، وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ » .

وأضاف الإمام قائلاً :

« أَيُّها النّاسُ ، إِيّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا ما يُهْتَدىٰ بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ، فَإِنَّها تَدْعُو إِلَى الْكَهانَةِ ، وَالْمُنَجِّمُ كالْكَاهِنِ ، وَالْكاهِنُ كالسَّاحِرِ ، وَالسّاحِرُ كالْكَافِرِ ، وَالْكافِرُ فِي النّارِ ، سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ »[1] .

لقد نهى الإمام عليه السلام عن تعلم النجوم ، فإنها تدعو إلى الضلال ، وانصراف الإنسان نحوها ، واعراضه عن قدرة الله تعالى ومشيئته .

---

(١) المكاسب ٢ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

مع منجّم آخر

التقى الإمام عليه السلام مع منجم آخر نهاه عن المسير، فقال له الإمام:

«أَتَدْرِي ما فِي بَطْنِ هٰذِهِ الدَّابَّةِ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثىٰ؟».

فقال المنجم: إن حسبت علمت...

فرمقه الإمام بطرفه، وقال له:

«مَنْ صَدَّقَكَ عَلىٰ هٰذَا الْقَوْلِ، فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، قالَ اللهُ: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَافِي الأَرْحَامِ وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ بأَيّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

ما كانَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله يَدَّعِي ما ادَّعَيْتَ، أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سارَ فِيها صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ، وَالسَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سارَ فِيها حاقَ بِهِ الضُّرُّ؟ مَنْ صَدَّقَكَ بِهٰذا اسْتَغْنىٰ بِقَوْلِكَ عَنِ الاسْتِعانَةِ بِاللهِ، وَأُحْوِجَ إِلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ عَنْهُ»[2].

ويستثنى من حرمة تعلم النجوم معرفة الأنواء الجوية التي تعرف بها الأوضاع الفلكية كالخسوف الناشئ عن حيلولة الأرض بين النيرين، والكسوف الناشئ عن

---

(١) لقمان: ٣٤.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

حيلولة القمر بين الأرض والشمس ، فيكون القمر مانعاً عن رؤية الشمس ، فإنّ تعلُّمَ النجوم من أجل هذه الغاية وماشابهها لا بأس به ولا محذور فيه .

وبهذا انطوى الحديث عن احتجاج الإمام عليه السلام ومناظراته ، وليست هي جميع ما أُثر عنه في هذا الميدان ، فقد حفلت مصادر التأريخ والحديث بالكثير منها ، وقد آثرنا الإيجاز فيها وتركنا الباب مفتوحاً للمؤلفين عن الإمام عليه السلام .

المحتويات

مناظرته مع النصارى

٦٧ ـ ٨٤

مناظرته مع اليهود

٨٥ ـ ١١٣

مناظرته مع الزنادقة

١١٥ ـ ١٥٦

مناظرته مع المنجّمين

١٥٧ ـ ١٦٣